

معالم الأيمان
في
معرفة أهل القيروان

صنّفه

أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي. الدباغ
(٦٠٥ - ٦٩٦ هـ)

أكملهُ وعلّق عليه

أبو الفضل أبو الفاسم بن عيسى بن ناجي الشنقي
(٨٣٩ - هـ)



تحقيق

محمد عبد الحفيظ

دكتور
محمد أبو العزيم أبو النور
مدرس الحديث بكلية أصول الدين

الجزء الثاني

المكتبة العتيقة بونس

الناشر

مكتبة الخانجي بمصر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

ﷺ وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ﷺ

ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم ﷺ

ومنهم :

● ٨٧ ﴿ أبو عبد الله : أسد بن الفرات بن سنان ﴾

مولى بنى سليم رحمة الله تعالى عليه (١) .

[قال أبو العرب : أصله من أبناء جُندُ خراسان - نيسابور] (٢)

﴿ قال ﴾ ولد بنجران (٣) سنة اثنتين وأربعين ومائة .

(١) راجع ترجمته في طبقات علماء أفريقية لأبي العرب ص ١٦٣ - ١٦٦ ، وللخشني ص ٢٣٥ ، ورياض النفوس ١/١٧٢ - ١٨٩ ، وترتيب المدارك ٢/٤٦٥ - ٤٨٠ ، وتضارة الأندلس ص ٥٤ ، وشجرة النور الزكية ١/٦٢ ، والديباج المذهب ص ٨٩ ، وتذكرة الحفاظ ١/٢٤٨ .

(٢) ما بين القوسين ليس في المخطئة ، وفي طبقات أبي العرب : « كان أوله من خراسان من نيسابور » .

(٣) في الرياض والمدارك والديباج : « ولد بجران » وهو الصواب ، لأن الأولية التي ذكرت عن البلدة منسوبة إلى حران كما في معجم البلدان ٣/٤٢ وهي بجهة بين الرها والرقعة من حوض الفرات على طريق النازحين من خراسان (إيران) التي منها أصل المترجم ، ومن المعلوم أن العمران انتشر بعد الطوفان فيما بين التهرين .

وأما نجران فهي بلدة بين اليمن والحجاز لا تذكر بتلك الخصوصية الأزلية .

وقد ميزها القاضي عياض في المدارك بأمر آخر حين حكى قول بعضهم : لأنه ولد بجران ،

من ديار بكر .

﴿قلت﴾ : قيل : ويقال إنها أول مدينة بنيت على وجه الأرض بعد الفرق .

﴿قال﴾ : وقدمه به أبوه مع محمد بن الأشعث : القيروان / سنة أربع وأربعين ٢ : ٢
ومائة (١) وهو ابن عامين .

﴿قلت﴾ : زاد المالكي عن أسد : فأنقنا بها خمس سنين ، ثم دخلنا إلى تونس ، فأنقنا بها نحو تسع سنين ، فلما بلغت ثمانى عشرة علمت (٢) القرآن فى قرية على وادى مجردة .

﴿قال﴾ فرأت أمى بها كأنّ حشيشاً نبت فى ظهري ترعاه البهائم ، فعبرت رؤياها عند معبر ، قال : سوف يكون قبل هذا الغلام علم يحمل عنه .

﴿قال﴾ سمع من على بن زياد ، ثم ارتحل إلى المشرق (٣) فلتقى من أصحاب أبى حنيفة القاضى أبى يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وأسد بن عمرو ، ثم سمع الحديث شلى يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، وعلى المسيب بن شريك ، وهيثم بن كيشير وغيرهم .

(١) سقطت من المطبوعة

(٢) فى المطبوعة : « وكان يعلم » وفى الخطية : « وكان تعلم » وما أثبتناه : عن الرياض وهو أظهر .

(٣) يظهر من : هذا أن تعليمه كان أولاً بتونس ، ومنها كانت رحلته إلى المشرق ، وبهذا صرح المالكي فى الرياض حيث روى عن أسد قوله : « دخلت مع أبى إلى القيروان فى جيش ابن الأشعث ، فأنقنا بها خمس سنين ، ثم رحلنا إلى تونس فأنقنا بها نحو تسع سنين ، فلما بلغت ثمان عشرة . . . الخ

أما على بن زياد الذى تفقه به أسد بن القرات فقد قال فيه أبو العرب : من أهل تونس ثقة مأمون خير متعبد بارع فى الفقه ، ممن نضحى الله عز وجل .

روى أنه سمع على هيثم اثني عشر ألف حديث .

وسمع الفقه بمصر على عبد الرحمن بن القاسم ، وعنه دوتن الأُسدية ، وقدم بها القيروان ، فسمعها منه خلق كثير ، منهم سحنون وغيره ثم أظهر مذهب أبي حنيفة لقضية تركناها^(١) ، وأخذه الناس عنه وانتشرت إمامته .

(قلت) : قال المالكي^(٢) : قال سليمان بن سالم : أخبرني غير واحد من شيوخي أن أسدا خرج إلى المشرق في سنة اثنتين وسبعين ومائة فقصده مالك بن أنس فلما فرغ من سماعه منه قال له : « زدني يا أبا عبد الله » وكأنه استقلَّ الموطن فقال له مالك : « حسبك ما للناس » .

وكان مالك إذا سئل عن مسألة كتبها أصحابه فيصير لكل واحد منهم^(٣) سماع مثل سماع ابن القاسم فرأى أسدًا أمرًا يطول عليه ، وخاف أن يفوته ما رغب فيه من لُقى الرجال ، والرواية عنهم ، فرحل إلى العراق .

وذكر غير سليمان أنه سأل مالكا يوما عن مسألة فأجابه فيها ، فزاد أسد في السؤال ، فأجابه ، فزاده ، فأجابه ، ثم زاده فقال له مالك : حسبك يا مغربي ! إن أحببتَ الرأي فعليك بالعراق .

== روى عن مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد وغيرهم ولم يكن بعصره بافرقية مثله وهو الذي أدخل موطنًا مالك وجامع سفيان المغرب .

له ترجمة في المدارك ١/٣٢٦ - ٣٢٩ و ٢/٤٦٤ - ٤٦٥ ط:ب والديباج ص ١٩٢-١٩٣

(١) سيأتي الحديث عنها آخر الترجمة .

(٢) في رياض النفوس ١/١٧٣ - ١٧٤

(٣) سقطت من المطبوعة .

وذ كرم بعض المؤرخين عن أسد أنه قال : « لقد كان أصحابُ مالك - ابن القاسم وغيره يحملونني أسال مالكا عن المسألة فاذا سألته أجابني فيقولون لي : « قل له : فلو كان كذا وكذا » ؟ (فأقول له فضاق عليّ يوماً فقال لي : سلسلة بنت سلسلة^(١) إذا كان كذا وكذا كان كذا وكذا^(٢)) : إن أردت هذا فعليك بالعراق ، فقلت لأصحابي : « أتريدون أن تأخذوا العقارب^(٣) بيدي . « ؟ لا أعود إلى مثل هذا . »

وعن أسد قال : دخلت أنا وحرث ابن أسد القفصى ، وغالب ابن مهدى على مالك بن أنس لأودعه فتقدم إليه صاحباي فقالا له : « أوصنا يرحمك الله » فأوصاهما ، ثم قال لي : أوصيك بتقوى الله تعالى والقرآن والنصيحة لهذه الأمة ، فلما خرجنا من عنده قال لي صاحباي : زادك والله علينا يا أبا عبد الله .

قال سليمان : وماودعه ابن القاسم قط إلا وهو يقول : أوصيك بتقوى الله تعالى^(٤)

(١) في الرياض : « سلسلة »

(٢) ما بين القوسين ليس في الخطية وهو في الرياض والطبوعة .

(٣) لبست في الخطية ولا في الطبوعة وهي في الرياض .

(٤) في الرياض : قال . سليمان : ولما ودعه ابن القاسم قال له : أوصيك بتقوى الله والقرآن ونشر هذا العلم .

وتد نوه القاضي وغيره بفراسة مالك في هذا حيث كان من وصيته لأسد : « مناصحة هذه الأمة خيراً » ثم ولى بعدها القضاء .

ولا تلبس هذه القصة بما روى عن الحرث بن أسد القفصى ، قال : لما أردنا وداع مالك دخلت عليه أنا وابن القاسم وابن وهب ، فقال له ابن وهب : أوصنا . فقال : اتق الله وانظر عن تنقل ؟

قال أسد : فبينما نحن مع محمد بن الحسن يوماً في الحلقة إذ أتاه رجل يتخطى الناس له ، حتى صار إليه ، فسمعنا محمداً يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون !؟ مصيبة ما أعظمها !؟ مات مالك بن أنس !؟ مات أمير المؤمنين في الحديث !؟ .

ثم فشا الخبر في المسجد / ، وماج^(١) الناس حُزناً لموت مالك بن أنس . ٣ : ٢
وكان بعد ذلك إذا حدث عن مالك اجتمع عليه الناس واستدّت^(٢) عليه الطرق رغبة في حديث مالك ، وإذا حدث عن غيره لم يجئه إلا الخواص .
وعن سليمان بن سالم عن أسد قال : قلت لمحمد بن الحسن : إني^(٣) غريب قليل النفقة والسماع منك نزر ، والطلبة عندك كثير ، فما حيلتي ؟ قال : « اسمع

— وقال لابن القاسم : اتق الله وانصر ما سمعت .
وقال لي : اتق الله وعليك بلاوة القرآن .

وهي مروية في المدارك ٢ / ٤٩٠ ، والرياض ١ / ١٧٢ ، والديباج ص ١٠٦ والراوى فيها هو الحارث بن أسد . أما الراوى في القصة التي معنا فهو أسد بن القرات — والقاضى عياض في المدارك ينفي اللبس فيعرف بمن كان مع أسد ويقول عن أسد : لما ودعت مالكا حين خروجي للعراق ، دخلت عليه وصاحبان لي ، وما حارث التميمي ، وغالب صهر أسد ، قلنا له : أوصنا . الخ :

وهذه القصة مروية في المدارك ٣ / ٤٦٦ ، والرياض ١ / ١٧٤ . قصة وداع الحارث وصاحبه ابن القاسم لم يكن فيها أسد بن القرات . . وكانت وداعاً من الجميع لمالك ولذلك يقول فيها الحارث . لما أردنا وداع مالك . .

أما الأخرى فهي لوداع أسد مالكا . . وقد دخل معه الاثنان تبعاً وما : الحارث وغالب صهره . . ولذا يقول أسد : لما ودعته . . دخلت عليه وصاحبان لي . .
وإنما قلنا هذا لما قيل لهنما قصة واحدة وإن اختلفت الأسماء .

(١) في الأصل : « وناح » وما أثبتناه موافق لما في الرياض .

(٢) في الرياض : « وانسدت »

(٣) في الخطبة : « بن غريب » وهو تحريف .

مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلتُ لك الليل -وحدك فتبيت عندي ، وأسمك ، ،
فكنت أبيتُ عنده ، وكنت في بيت في سقيفة - وكان يسكن العلو - فكان
ينزل إليّ ويجعل بين يديه قلدحاً فيه الماء ، ثم يأخذ في القراءة ، فإذا طال الليل
ورآني نَسْتُ مَلا يده ، ونَضَحَ به في وجهي ، فأنتبه . فكان ذلك دأبي ودأبه حتى
أتيتُ كلِّي ما أريدُ من السماع عليه .

﴿قال﴾ أَسَد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : وَكُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا فِي حَلَقَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ حَتَّى
[صاح] (١) صَاحُحٌ : الْمَاءُ لِلسَّبِيلِ : فَحَمَمْتُ مُبَادِرًا فَشَرِبْتُ الْمَاءَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى
الْحَلَقَةِ ، فَقَالَ لِي مُحَمَّدٌ [بِنِ الْحَسَنِ] (٢) : « يَا مَغزِبِي أَتَشْرَبُ مَاءَ السَّبِيلِ ؟ » فَقُلْتُ :
« أَصْلَحَكَ اللهُ ، وَأَنَا ابْنُ السَّبِيلِ » ، ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ .

فلما كان عند الليل إذ أتانا إنسان هَرَجَ البابَ ، فخرجت إليه ، فإذا بخادم
محمد بن الحسن فقالت : مولاي يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : ما علمتُ أنك ابن
السبيل غيرَ يومِي (٣) هذا ، فخذ هذه النفقة فاستمن بها كلِّي حاجتك ، ثم دَفَعْتُ
إلى صرة ثقيلة ، فقالت في نفسى : هذه دراهم أوفرت بها فلما دخلت بيتي وفتحتها
فإذا فيها ثمانون ديناراً .

وعن أبي محمد بن أبي زيد ، عن عبد الله بن أبي شعيب بن الحداد ، عن أبي
سعيد قال :

• (١) ليست في ت

• (٢) من الرياض

• (٣) في الرياض : « إلا في يومى »

بلغنى عن محمد بن الحسن ما أعجبنى ! وذلك أن أسداً نفذت نفقته . وكان يطلب العلم - ولم يبق معه ما يتحمل به في انصرافه إلى إفريقية ، فأعلم محمد بن الحسن بذلك ، فأحب إدخال المنفعة عليه ، فقال : « إني أذكر شأنك لولى العهد ، وأرجو أن يصلك بما تُحْمَلُ به إلى بلدك ، وتتقوى به على ما أنت بسبيله .

فلما لقيه ذاكره أمره فقال له : « يأتى إلى الحاجب يوم هذا وكذا ، فيوصله إلى فأعلمه محمد بن الحسن بذلك ، وأمره أن يَمْضَى إليه إلى الوعد ، وقال له : « اعلم أنك عندهم حيث تضع نفسك ، فإن أنزات نفسك في مكان حسن أنزلوك فيه ، وإن أنزات نفسك في غير ذلك أنزلوك فيه » .

فلما كان ذلك اليوم مضى أسد فدخل على الحاجب ، فأجلسه ثم دخل على ولى العهد ، فخرج الحاجب وخادم معه ، فأمره بالدخول ، فدخل أسد والخادم بين يديه حتى انتهى به إلى موضع ، فأمره بالجلوس فيه حتى يرجع إليه ، ومضى الخادم فأقام شيئاً ، ثم رجع ومعه مائدة مفضاة فجعلها بين يديه ، وقال له « كل » قال أسد : « فكسرت بينى وبين نفسى ، وقلت : هذه مكرمة أو منقصة ؟ ما أرى هذه إلا منقصة » اوقات له :

« هذا الذى جئت به منك أو من مولاك ؟ » قال :

« مولاى أمرنى أن / آتيتك به ، وهو أرسلنى إليك » قلت له : ٢ : ٤

« إن مولاك لا يرضى بهذا : أن يكون ضيفه يأكل دونه ! يا غلام هذا برُّ
منك . وجبت مكافأتك على » - وكانت معي في جيبى أربعون درهما لم يبق
معي من جميع نفقتى سواها - فدفعتها إلى الخادم وقلت له : « ارفع مائدتك »
فرفع المائدة .

ثم دخل ، فأعلم مولاہ بالذي كان مني ، قال : « فيلغنى أنه لما حكى ما فعلت
وما قلت قال : حُرٌّ (١) والله الذي لا إله إلا هو ! ثم خرج إلى الخادم فقال :
ادخل ، فضيقت عليه وهو على سرير ، والحاجب على سرير قبائته ، وسرير ثالث
ليس عليه أحد ، فسلمت ، فأمرني بالجلوس على السرير الخالي ، فجلست وأقبل
يسألني فأجبتہ ، فلما قرب انصرافي أخذ رُقعة وكتب فيها وختمها ودفعتها إلي وقال :
« قف بهما على صاحب الديوان ، وتعود اليانا ان شاء الله تعالى ، فلنك عندنا
مما تُسرُّ به .

فأخذت الرُقعة ، وخرجت وليس معي شيء ، ولا بقي معي من نفق شيء .
فاحتقرت الرُقعة ولم أمض بها .

فلما كان من الغد لقيت محمد بن الحسن فقال لي : « ما صنعت ؟ » فأخبرته
بالذي كان ، فقال لي : قم الساعة فوصل (٢) الرُقعة ولا تتوان . فمضيت بها

(١) في ت والطبوعة : « حق » .

(٢) في الرياض : « فوصل » وفي الطبوعة : « ووصل » .

فدفعتها الى صاحب الديوان ، فدفع الى عشرة آلاف ، فأخذتها ومضيت
إلى محمد بن الحسن فأعلمته بما كان فقال لي : « [لك] (١) فيما وصل إليك من
هذه عون على ما أنت بسبيله ، وفيها ما تحمل به إلى بلدك ، وإن عدت إلى القوم
كنت لهم خادما . »

فتركت العودة إليهم .

* * *

وذكر سليمان بن سالم أنه لما وصل أسد إلى مصر بعد وفاة مالك رحمه الله
تعالى اجتمع مع عبد الله بن وهب ، فسأله عن مسألة فأجابه ابن وهب بالرواية ،
فأراد أن يدخل عليه غير الرواية ، فقال له ابن وهب : « حسبك إذ أدينا إليك
الرواية » .

ثم أتى إلى أشهب ، فسأله عن مسألة (٢) فأجابه ، فقال له أسد : « من يقول
هذا: مالك أو أبو حنيفة ؟ فقال أشهب : « هذا من قولي عاقل الله ! » فقال
له (٢) « إنما سألتك عن قول مالك وأبي حنيفة ، فتقول : هذا قولي ؟ » فدار
بينهما كلام ، فقال عبد الله بن عبد الحكم : « مالك ولهذا ؟ هذا رجل أجابك
بجوابه ، فان شئت فاقبل وإن شئت فترك » ففرق بينهما فأتى إلى عبد الرحمن
ابن القاسم .

(١) من م .

(١) من الرياض .

(٢) في الرياض : « المسألة »

﴿ قلت ﴾ :

وذكر أن أشهباً ازدري مالكا وأبا حنيفة مرة لا تجرارها في مجلسه فقال
أسد: « يا أشهب ، يا أشهب ، فأسكته الطلبة وقيل له : ما أردت أن تقول ؟
فقال : (أردت أن أقول : مثلك ومثلها مثل رجل أتى بين بحرین فبال فرغا
بوله ^(١) فقال هذا بحر ثالث .

وذكر ابن أبي أبي رفيق أنه قال له ذلك مشافهة .

قال المالكي : ^(٢) ووجد ابن القاسم كل يوم وليلة يحتم ثلاث ختم ، وقد أضنى
نفسه من العبادة ، فسأله عن مسألة فأجابته ، ثم أدخل عليه فأجابته حتى انقطع
أسد في السؤال ، فقال له ابن القاسم : « يا مغرب زد ، وقال لي : من أين أنت
حتى أبين لك قول مالك ؟ » .

٥ : ٢ فعندها قام أسد على قدميه في المسجد ، وقال / : معاشر الناس إن كان مالك
ابن أنس قد مات فهذا مالك .

فكان يفتدو إليه كل يوم يسأله وبجيبه ابن القاسم حتى دون ستين

(١) أرغى البائل صارت ! وله رغوّة ، ورغا اللبن صارت له رغوّة - اه قاموس .

(٢) في رياض النفوس . وقد ذكر هذا متصلاً بالحديث عن ابن القاسم الذي أورده الدباغ
عنه ثم فصل بين أجزاء قصة أسد مع ابن القاسم بحديث عن أشهب . ففي الرياض : ففرق بينهما .
نزل أسد وأتى إلى عبد الرحمن بن القاسم ، وهو يحتم كل يوم وليلة ثلاث ختمات . . الخ

كتاباً وسمّاها (الأَسَدِيَّة) .

وقيل : إن ابن القاسم ترك لأسد في سؤاله ختمة (١) .

فلما عزم أسد على الرحيل إلى إفريقية قام عليه أهل مصر فسألوه في كتاب الأَسَدِيَّة أن ينسخوه ، فأبى عليهم فقدّموه إلى القاضي بمصر فقال لهم القاضي : وأى سبيل لكم عليه ؟ رجل سأل رجلاً فأجابه وهو [بين (٢)] أظهركم فسألوه كما سأله : فرغبوا إلى القاضي في سؤاله ، أن يقضى حاجتهم ، فسأله القاضي فأجابه إلى ذلك فنسخوها حتى فرغوا منها .

﴿ قلت ﴾ :

قال شيخنا أبو عبد الله : محمد بن محمد بن عرفة الورعني (٣) : يقوم من امتناع أسد من نسخ ما ألّفه عن ابن القاسم ما نصّ عليه الموثقون بعده : أن من عمل وفاة وأثبتها عند القاضي وطلب رجل أن يأخذ نسخة منها وشهودها أحياء حاضرون فانه لا يُجبر على أن يأخذ نسخة منها إذا امتنع

(١) في المدارك ٤٦٩/٢ قال أسد : قال لي ابن القاسم : كنت أختم في اليوم واليلة ختمتين فقد نزلت لك عن واحدة رغبة في إحياء العلم .

(٢) لبست في ت .

(٣) هو إمام تونس وخطيبها بجامعتها الأعظم حسين سنة أخذ العلم عن ابن عبد السلام ومحمد الوادي آشي والشريف التلساني وغيرهم . روى عنه عيسى الفبرني والدماميني وابن فرحون وغيرهم . حج سنة ٧٩٢ وأخذ عنه المصريون والمدنيون . وألف في التفسير والمنطق والفقه والأصول توفي سنة ٨٠٣ . وله ترجمة في شجرة النور الزكية ٢٢٧/١

بخلاف (١) ما إذا تعذر شهود وثيقة لموتهم أو غيبتهم ولا يوجد غيرهم فإنه يجبر ،
ويأخذ منه مقدار ما يُجبر عايه فيما خسره في الرق (٢) وغيره ، وبه العمل .

(قال المالكي) : ولما عزم أسد على الرحيل وجه معه ابن القاسم بضاعة وقال
له : « إذا قدمت إفريقيا فبعها ، واشتر بئمنها رقوقا وانسخ الكتاب ووجه به إلى »
فلما قدم أسد افريقية أظهره وأسمعه الناس ، وانتشر بافريقية .

وكان سحنون ومحمد ابن رشيد (٣) يكتبانها فلما سمع أسد بذلك شح على
الكتاب ولم يعطها لأحد .

قال سليمان : قال محمد ابن سحنون : فبقي على سحنون منها كتاب
القسم فأتى رجل من الجزيرة [إلى أسد]^(٤) فسأله في كتاب القسم فأتى أن
يعطيه إياه حتى حلف أنه لا يعطيه لسحنون ، فلما صار الكتاب إلى الرجل أتى
به إلى سحنون وقال : « خذه يا أبا سعيد فما أعطيتُه^(٥) حتى حلفت ، وأنا أ كفر
عن يميني » فسككت الأسدية عند سحنون .

(١) في ت : فإنه لا يجبر على ذلك من أن يأخذ من ذلك نسخة إذا امتنع

(٢) الرق بفتح الراء المشددة وكسرهما : جلد رقيق يكتب فيه ، والصحيفة البيضاء التي
يكتب فيها ويسجل . وجمعه رقوق بضم الراء وكسرهما . راجع القاموس ٢٣٦/٣ - ٢٣٧

(٣) في الرياض : محمد بن رشد .

(٤) ليست في ت .

(٥) في الرياض : « فما أعطانيه » .

قال أبو القاسم: زياد بن يونس السيوري^(١) لما (تهيأ) سحنون للخروج إلى مصر خرج وخرج معه مشايخ أهل العلم وفيهم أسد فقال لسحنون: (أما إنه لو كان معك هذا الديوان لسمعتَه على ابن القاسم)؟ فقال سحنون: «أما لأنه في وعائي» .

ثم شيعوه وانصرف فوصل إلى ابن القاسم فسأله ابن القاسم عن أسد: ما فعل الله به؟ فأخبره بما نُشر من عامه في جميع الآفاق؛ فُسِّرَ بذلك عبد الرحمن بن القاسم، ثم شافه سحنون وسأله عن جميع الأسدية وأجابه عنها، ورجع عن بعض ما أجاب به أسداً، فلما فرغ كتب له كتاباً (٢) إلى أسد وأمره فيه أن يرُدَّ مدوّنته على مدونة سحنون، فلما قدم سحنون بالكتاب دفعه إلى أسد فلما قرأه أراد أن يفعل ما أمره به من ذلك، فشاوَر في ذلك جماعة من تلامذته، فقالوا: «لا تفعل، فإنك تتضع عند الناس/ إن فعلت ذلك [ويسود بذلك عليك]^(٣) وترجع له تلميذاً ٦ : ٢ وأنت أدركت مالكا، وأخذت عنه، ودخلت الكوفة، فأخذت عن أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، فأترك هذا واحمل عن هؤلاء» .

(١) في الرياض : « السدي »

(٢) أسقط المؤلف هنا ما رتب عليه كلامه عن أبي القاسم السيوري . وفي الرياض : ثم شافه سحنون في مسائل سأله عنها ، فرد عليه جوابها ثم طلب سحنون أن يسمعه المدونة وأجابه ابن القاسم إلى القراءة وإلى ما اشترط عليه فيها من جهة أتوان مالك وتم له ما أراد فلما فرغ كتب له الخ .

(٣) من الرياض .

قبل منهم كلامهم ، وفعل ما أشاروا به ، ولم يقبل كتاب ابن القاسم في ذلك ، وتمسك بكتابه الذي سماه الأسدية ، ونشر مذاهب أهل العراق^(١) .

﴿ قلت ﴾ :

للى هذا أشار الشيخ الدباغ رحمه الله تعالى^(٢) فيما تقدم من قوله ثم أظهر مذهب أنى حنيفة لقضية تركناها .

﴿ قال المالكي ﴾ .

وعن عبد الله بن سعيد بن الحداد ، عن أبيه قال : (سمعت معمرأ يقول : دخلت على أسد فوجدته يبكي ، فقلت له : « أمصية نزلت بك » ؟ فقال : « لا ، ولكنه جاءني كتاب ابن القاسم فأمرني فيه أن أردّ كتابي على كتاب سحنون ، وأناربيته » ، فقلت له : « أنت أهل لما أصابك ، لأنما عرف ابن القاسم بك » ، فقال لي : « لا تفعل ، فلورأيت ابن القاسم لعزّ عليك أن تقول هذا فيه » .

وقيل . إن أسداً ضرب شيخاً من شيوخ إفريقية في معرفة الحديث ، لما شهد عليه عنده في وقت ولايته القضاء أنه انتقض ابن القاسم ، فضربه على ذلك ضرباً عظيماً .

(١) في الرياض بعد هذا : تحدث المالكي عن مذهب أسد فقال : « والمشهور عن أسد رحمه الله تعالى أنه كان يلتزم من أقوال أهل المدينة وأهل العراق ما وافق الحق عنده ، ويحق له ذلك ، لاستجاره في العلوم ، وبجته عنها ، وكثرة من لقي من العلماء والمحدثين »

(٢) ص ٥ من هذا الجزء .

فهذا يدل على محبته فيه (١) .

﴿ قلت ﴾ :

وكان شيخنا أبو الفضل : أبو القاسم بن أحمد البرزلي رحمه الله تعالى يقول :
« الصواب ما فعله أسد لأنه سمع من ابن القاسم أجوبتها مشافهة ، والرفع على
الخط (٢) مختلف فيه بين أهل العلم ، فلا يُترك شيء مجمع عليه لشيء
مختلف فيه . »

﴿ قال المالكي ﴾ :

ونشر سحنون مدوّنته ، وسمعا عليه أهل المغرب ، وانتشر ذكرها في
الآفاق ، وعول الناس عليها ، وأعرضوا عن الأسدية ، وغلب عليها اسم
سحنون .

﴿ قلت ﴾ :

ويقال : إن ابن القاسم رحمه الله تعالى لما بلغه ما فعل أسد دعا على الأسدية
أن لا يُنتفع بها فأجيب دعاؤه .

(١) الرياض ١ / ١٨١

(٢) يعني بذلك خط ابن القاسم حين أسقط من المدونة ما لم يكن بصيغة الجزم ،
وما لم يقف عليه من قول مالك ، وقال المالكي في الرياض ١ / ١٨٠ : « حديثه عن قراءة
المدونة على سحنون : وأسقط منها ابن القاسم : « وأظن مالكا قال في هذه المسألة كذا وكذا ،
وإخالف مالكا قال كذا وكذا » وقال لابن القاسم : « ما تقف عليه من قول مالك كتبته
وما لم تقف عليه تركته ، وتكلمت فيه ربما ظهر لك من ذلك »

﴿ قال المالكي ﴾ :

قال أبو (١) جعفر القصرى :

كان أسد إمام العراقيين بالقيروان كافة مشهورا بالفضل والدين ، ودينه ومذهبه السنة يقول « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وكان يُدعّم (٢) من يقول غير هذا .

قيل لسحنون (٣) : « إن أسدا كان يقول بخلق القرآن ؟ » فقال : « والله ما قاله ، ولو قاله ما قلناه » .

وعن أبي سنان (٤) قال : « كان أسد إذا سرد أقاويل العراقيين يقول له مشايخ كانوا يجالسونه بمن يذهب إلى مذهب أهل المدينة : أو قد التنديل الثانى يا أبا عبد الله ! فيسرد أقاويل أهل المدينة » .

وكان ابن غانم يشاوره ويُعجّب به ، وكان أسد يقول « ضربنا فى طلب العلم آباط الإبل ، واغتربنا فى البلدان ، ولقينا العلماء ، وغيّرنا إنما طلب العلم خلف كانون أبيه ، ووراء منسج أمه ، ويريدون أن يلحقونا » يعنى بذلك أبا محرز (٥) .

(١) من الرياضى ١/١٨١

(٢) يدعّم : ينسبه إلى البدعة .

(٣) القائل لسحنون هو بكر بن حماد راجع طبقات أبي العرب ص ١٦٤

(٤) هو أبو سنان : زيد بن سنان الأسدى ، وستأقّى ترجمته .

(٥) هو أبو محمد : محمد بن عبد قيس بن يسار بن مسلم الكنانى القاضى ، ستأقّى ترجمته

ومدحه محمد بن الحسن بمكة ووصفه بالمناظرة والدراسة والسماع .

﴿ ذَكَرَ وِلايَتَه القَضَاءَ وَغزَوَه صَقْلِيَةَ ﴾

لمامات ابن غانم تولى / عَوَّضَه أَبُو مَحْرَزٍ عَلِي مَاسِيَاتٍ : ٧ : ٢

قال المالكي (١) : ثم إن علي بن حميد سعى عند زيادة الله في صرف أبي محرز وتولية أسد وتلطف به فأبى عليه ، ووصف له أسدا ، وذكر له فضله ، واشتهاره بالعلم ، فولاه مع أبي محرز وكانا يقضيان جميعاً وذلك سنة أربع ومائتين ، ولم يُعلم بالتقديرات قاضيان قبلهما في مصرٍ واحد ، يقضيان جميعاً .

﴿ قلت ﴾ :

يريد أن كلا منهما يقضى في موضعه من أراد أسدا من المتداعيين حكم عنده ، ومن أراد أبا محرز حكم عنده .
وبهذا القول قال المازري .

ومنع بعضهم الولاية على هذا ، لأنه يؤدي إلى التشاجر بين أهل البلد :
أن يدعو أحد الخصمين إلى قاضٍ والآخر إلى قاضٍ آخر .
ومنع ابن شعبان تعدد القاضى بالنسبة إلى كل قضية (٢) .
الحكم إلا بإمضاء غيره ، لأنه لا يكون الحاكم نصف حاكم .

(١) في الرياض ١/١٨٥

(٢) بياض بالأصل ولعل المعنى « بالنسبة إلى كل قضية لا يمضى فيها الحكم . . . إلا الخ

وزعم الباجي الإجماع عليه ، وذاكر أنها وقعت ، وأن غيره لم يقس
في ذلك .

ودخل سحنون بن سعيد ، وعون بن يوسف ، وابن رشيد على أسد بن
القرات لـ ١٠١ بحث إليهم فسألهم عن مسألة فابتدر بجوابه صاحباً سحنون وسكت
سحنون فلما خرجوا قال له صاحبه : « لم لم تتكلم ؟ » فقال سحنون : « ظهر
لي أن جوابك خطأ » وبين لهما ذلك فقالا له : « لم لم تتكلم بهذا ونحن عنده ؟ »
قال : « خشيت أن ندخل عليه ونحن أصدقاء . ونخرج عنه ونحن
أعداء » .

قال عياض : « يحمل هذا على أن سحنون علم أن القضية لا يفوت أمرها بما
ذكرناه ، ولو علم ذلك لبادر بما ظهر له بمحضته » .

﴿ قال المالكي ﴾ : ولم يزالا على ذلك حتى ثار منصور الطنبدي (١) على
زيادة الله مع جماعة الجند وحاصروه في القصر القديم نحواً من اثنتي عشرة سنة ،
وملك منصور مدينة القيروان وإفريقية ، ونزل بعسكره بين شرقي القيروان
وغربها (٢) وخذق هناك خندقاً ، فخرج إليه أسد وأبومحرز وهما قاضيان ، فدخلا
على منصور وعنده وجوه الأجناد وغيرهم ، فقال لهما منصور في كلام كان منه :
« اخرجنا عنى ، أما تعلمان أن هذا البأس ظلم المسلمين ؟ » .

(١) ثائر تونسي منسوب إلى « طنبدة » بلدة بأحراز تونس في مكان المحمدية

(٢) في الرياض ٣/١٨٦ « وقبليها »

فأما أبو محرز فتكلم ، لأنه خاف من منصور ، ومن أصحابه فقال : نعم وظلم اليهود والنصارى ، وأما أسد فقال : كنتم أعوانا لهم ^(١) قبل هذا الوقت وأنتم [وهو] ^(٢) على مثل هذا الحال ، وكما وسعنا الوقوفُ عنه وعنكم فكذلك يسعنا الوقوفُ عنه وحده .

فصال عليه بعض الجند ، ثم انصرفا جميعا وهما خائفان .

ثم انهزم منصور والجند في شهر رمضان سنة إحدى عشرة ومائتين ، وفتح الله عز وجل لزيادة الله ، ورجع إليه مُلك إفريقية وسور مدينة القيروان .

ولما جرى الصلح بين زيادة الله وبين أهل صقلية والهدنة كان فيه « إن من دخل إليهم من المسلمين وأراد أن يردوه إلى المسلمين كان ذلك عليهم ، فلما وصل «قيمة» الرومي رَفَعَ إليه أن عند الروم أسارى من المسلمين ، فجمع زيادة الله الناس وأحضر أبا محرز وأسداً ، فسألها عن ذلك .

٨ : ٢

فأما أبو محرز فقال : « يُستأني في هذا الأمر حتى يتبين » .

وأما أسد فقال : « يُسأل رسلهم عن هذا » .

فقال أبو محرز : « كيف يقبل قول الرسل عليهم ، أو دفعهم عنهم ؟ فقال أسد :

(١) في الرياض « له »

(٢) من الرياض

بالرسل هادئناهم وبالرسل نجعلهم ناقضين ، قال الله عزوجل ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا
تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(١) فكذلك لا تماسك به ، ونحن
الأعلون :

فسأل زيادة الله الرسل فقالوا : « نعم حبسوم لأنهم في ذينهم لا يحل لهم
ردهم » - وكان في الرسل مسلم - فأمر حينئذ زيادة الله بالغزو إليهم فمارع أسد
إلى الخروج ، فكان زيادة الله يتناقل عن ذلك وكان أسد يقول :

« وجدوني رخيصة فلم يقبلوني ، وقد أصابوا من يُجرى لهم مرا كسبهم من
النواتية^(٢) فما أحوجهم إلى من يُجرىها بالكتاب والسنة^(٣) » .

وعن أحمد ابن أبي سليمان أنه قال : « كره علماء إفريقية غزو صقلية للعهد الذي
كان لهم ، لأنه لم يصح عندهم أنهم تمضوا العهد » .

ولما ولي زيادة الله أسداً على تلك الفزاة وعزم عليه في ذلك قال : « أضح
الله الأمير ! - من بعد القضاء والنظر في الحلال والحرام تعزلي وتولينى الإمارة ؟ »
قال له زيادة الله : - إني لم أعزلك عن القضاء إلا وقد ولىتكم الإمارة
وهي أشرف من القضاء وأبقيت لك اسم القضاء ، فأنت قاض أمير » .

فخرج أسد على ذلك ، ولم يجتمع لأحد الولاية والقضاء ببلد إفريقية إلا لأسد ،

(١) سورة آل عمران : ١٣٩

(٢) النواتي بتشديد الياء الأخيرة : الملاحون في البحر الواحد نوتي . اه قاموس ١/ ١٥٩

(٣) ياله من قول ! وصدق الله حيث يتول « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم

المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون »

فخرج ومعه من جيشه نحو عشرة آلاف رجل وذكر^(١) أنه لما خرج على الجيش متوجها إلى سوسة ليركب منها إلى صفلية خرج معه وجوه أهل العلم ، ووجوه الناس ، وأمر زيادة الله أن لا يبقى أحد من رجاله إلا خرج لتشيعه . فركب أسد في جمع عظيم فلما رأى جمع الناس بين يديه وخلفه ويمينه وشماله ، وقد صهلت الخيول وضربت الطبول ، ونشرت البنود قال « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له » ثم قال : « معشر الناس ؟ والله ما وُلِّيَ لي أبٌ ولا جدٌ ولا إيةٌ قط ، وما رأى أحدٌ من سلفي هذا قط ، وما رأيت ماترون إلا بالأقلام فأجهدوا أنفسكم ، وأتمبوا أبدانكم في طلب العلم ، وتدوينه وكابدوا^(٢) عليه ، واصبروا على شدته فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة^(٣) » .

ووصل إلى صفليّة وزحف إليه « بلاطة » ملك صفلية يقال إنه كان في مائة ألف وخمسين ألفا ، قال ابن أبي الفاضل : فرأيت أسدا في يده اللواء وهو يُزْمِزِمُ^(٤) فحملوا علينا فكانت فينا روعة شديدة ، وأقبل أسد على قراءة « يس » فلما فرغ منها قال للناس « هؤلاء عجم الساحل هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم » فحمل وحمل الناس معه فهزم الله تعالى « بلاطة » وأصحابه فلما انصرف أسد رأيت الدم وقد سال مع قناة اللواء مع ذراهه حتى صار تحت إبعه .

(١) في الرياض ١/١٨٨ قال المناصكي و ذكر بعض شيوخنا أن أسدا لما خرج الخ

(٢) في ت وكابروا وفي الرياض وكافروا

(٣) تنويه بالعالم بعد أن نوه بالكتاب والسنة وهو يلفت الى أنها جميعا طريق النصر والنجاح في الدنيا والآخرة .

(٤) الزمزمة : الصوت البعيد له دوى أو صوب يديره المرء في خياشيمه وحلقه فيعلمه عنه

معنى خاصته راجع القاموس ١/١٢٦

- ومعنى قواه : عجم الساحل : أى الذين هربوا من الساحل لفتح (١) إفريقية .

وكتب زيادة الله بن الأغب بفتح صقلية على يد أسد ابن القرات إلى المأمون (٢) .

٩ : ٤

ويقال/ إن أسدا قال « لقيمة » النصرانى الرسول : « اعتر لنا ، فلا حاجة لنا فى أن تعينونا » ؛ وقال لهم : اجعلوا على رؤوسكم سياء تعرفون بها ؛ لئلا يتوهم أحد منا أنكم من هؤلاء الواقفين لنا فيصيبكم بمكروه ، فقلوا ذلك (٣) .

قال سليمان بن سالم : « وكان أسد وابن قادم قد اختلفا ، وذلك أن أسدا لما وصل بالناس إلى صقلية أخذ (٤) الناس الجوع حتى أكلوا اللحم الخليل ، فمشى الناس إلى ابن قادم ، فمضى إلى أسد فقال له : « ارجع بنا إلى إفريقية فإن حياة رجل مسلم أحب إلينا من أهل الشرك كلهم » .

فقال له أسد : « ما كنت لأكسر غزوة عن المسلمين فى المسلمين خير كثير . فأبى عليه الناس ذلك ، فأراد إحراق المراكب فبدت من ابن قادم كلمة فقال : « على أقل من هذا قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه » فتناوا أسد بالسوط فضر به .

(١) فى الخطبة : «فتح» وما أوتناه عن الرياض

(٢) رياض النفوس ١٨٨/١

(٣) فى الرياض : فجعلوا على رؤوسهم الحشيش فكانت تلك سيمام

(٤) فى الرياض « أضر »

ولم يجرده وإنما ضربه أسواط يسيرة قدر الثلاثة أو الأربعة ، وتمادت عزيمته وبصيرته ،
فقاتل الروم قتالا شديدا ، حتى قتلهم وهزمهم وسباهم وغنم أموالهم وفتح صقلية
وأباد الروم واستأصلهم ، وسكنها المسلمون واستوطنوها ثم شاء الله بذنوب أهلها
أن وقع بهم عدوهم . أسأل الله حله وأمانه وعافيته (١)

﴿ قال ﴾ :

واستفتح من صقلية مواضع كثيرة .

﴿ قلت ﴾ :

ما ذكره من تخصيص مواضع كثيرة خلاف ظاهر ما تقدم من كونه افتتحها
وأباد أهلها واستأصلهم .

﴿ قال ﴾ :

وتوفى من جراحات أصابته شديدة وهو محاصر لسرقومه ، وذلك في شهر
ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ودفن ببنك اللوضع رحمه الله
وهو أول من فتح صقلية .

﴿ قلت ﴾ :

ما ذكره من كونه توفى سنة ثلاث عشرة مثله للمالكى (٢) وهذا

(١) رياض النفوس ١/ ١٨٨ - ١٨٩

(٢) في الرياض ١/ ١٧٣

مناقض لقوله تولى القضاء سنة أربع ، وبعد ذلك حصر زيادة الله نحو اثني عشر
عاما ، وبمدها غزا صقلية ، وكذلك قوله : « ثم انهزم منصور سنة إحدى عشرة »
مناقض لما قبله ^(١) .

وقيل : توفي سنة سبع عشرة وقيل : سنة ثلاث عشرة . وقبره ومسجده
بصقلية .

ولد سنة خمس وأربعين ومائة ، ويقال سنة ثلاث ، ويقال سنة اثنين
وأربعين .

(٢) هذه المناقضات كلهم لا تتم إلا على التسليم بأن مدة الحصار كانت اثني عشر عاما وليس
ذلك صحيحا . فان ثورة جند تونس مع منصور كانت سنة ٢٠٨ وكانت هزيمته سنة ٢١١ . وإذا
خالطنا في تحديد مدة الحصار لافى وفاة أسد بن الفرات

ومنهم :

● ٨٨ (أبو خالد : عبد الخالق يعرف بالقتات)^(١)

﴿ قال ﴾ :

كان من المجتهدين في العبادة ، كثير الخوف ، دائم الحزن .

﴿ قلت ﴾ :

زاد المالكي : وكان من أصحاب البهلول روى عنه واصل بن عمرو التبعدي
وسحنون بن هلال صاحب سحنون .

﴿ قال ﴾ :

قال سعيد بن العسال : « سألى سهل بن يونس بمصر عن عبد الخالق ؟ »
فقلت له : « قطعته الخوف عن العمل » فقال لي : « ما يضره ذلك لو كان عبد الخالق
في نبي إسرائيل لصوّر في الكنائس » .

وروى أن عبد الخالق رأى يوماً خيلاً يسابق بها ، فتقدم منها فرسان ، وقد
تقدم أحدهما عن الآخر ثم إن الثاني منهما لم يزل يحث حتى تقدم الذي تقدمه

(١) راجع ترجمته في رياض النفوس ١ / ٢٣٢ - وطبقات علماء إفريقية لأبي العرب

أولا ، فجعل عبد الخالق يتخلل الناس حتى وصل إلى الفرس الذي سبق ، فجعل
١٠:٢ يقبل جحفتـه^(١) ويقول / : بارك الله فيك صبرتَ وظفرتَ ثم سقط
مفضيا عليه .

﴿ قلت ﴾ :

في كلامه بتر لقول المالكي : « رأى جماعة فسأل عنهم ، فقيل : ينظرون
لخيل تتسابق فقال : « محضر صالح بلغنى أن الملائكة تشهده » . فهو إنما حضر
على هذا لكونه راجحا على ما ذكره ، وليس في كلام الشيخ ما يدل
على هذا .

﴿ قال ﴾ :

وروى أن إبراهيم بن الأغب بمث إلى عبد الخالق فقال له : بلغنى أن
لك عيالا ، وأنتك من العرب فخذ هذه المائة دينار ، فقال له : أنا غنى عنها !
إبراهيم زيدوه مائة أخرى ، فقال عبد الخالق لو كانت لى حاجة إليك لكانت
لى فى المائة كفاية ، فلم يزل يقول : زيدوه وعبد الخالق يقول كلامه الأول ؛
حتى بلغ معه خمسمائة دينار ؛ فقال لإبراهيم : « أفسدكم البربرى » - يعنى البهلولى
بن راشد - « والله لو أدركته لجعلته يرقص خلفى » . قال عبد الخالق « فأحسست
شعرى قد خرج من عمامتى » ثم أقبلت عليه فقالت له : « والله لو أدركته لكنت
عليه أهون من هذا الطين الذى يُعجن بين يدي ! ثم انصرفت .

(١) الجفظة من الخيل بمنزلة الشفة من الإنسان

وكان سبب موته أنه حضر جنازة بياب تونس ، فذكر بعض الحاضرين
الآخرة وأهوالها فصاح عبد الخالق ثم ولّى نحو الفحص هاربا على وجهه فضينا
في أثره ، فأصبناه جاثيا على ركبتيه خارا على وجهه ، فحملناه على دابته ثم أقمنا
بعد ذلك أياما نعوده ، حتى مات رحمة الله تعالى عليه .

ومنهم :

● ٨٩ ﴿ ابو محرز : محمد بن عبد الله بن قيس ﴾

(ابن مسلم الكنانى القاضى)^(١)

قيل : اسمه أحمد .

﴿ قال ﴾ :

سمع من مالك بن أنس ، ومن عباد بن كثير وعبد الرحمن بن أنعم . وعبد
الله بن فروخ .

﴿ قلت ﴾ :

ما ذكر من كونه سمع من مالك مثله ذكر ابن شعبان القرطبي وغيره .

فإن قلت : أليس هذا خلاف ما أشار إليه أسد بن القرات في قوله « ضربنا
في طلب العلم واغتربنا في البلدان إلى آخره ؟ » فإن ظاهره يقتضى أنه لم يرحل
من القيروان ؟

(١) راجع ترجمته في طبقات أبي العرب ص ١٦٦-١٦٧ ورياض النفوس ١/١٨٩ - ١٩٦

قلت : رأى رحمه الله أن فرائته على الإمام مالك رحلة يسيرة بالنسبة إلى رحلة
أسد فكانه لم يرتحل والله تعالى أعلم .

﴿ قال ﴾ :

وكان فاضلاً ورعاً كثير الصدقة ، فصيح اللسان ، بصيراً بالغة والشعر .

﴿ قلت ﴾ :

وقال غيره : كان رحمه الله تعالى صدوقاً ثقة عفيفاً قتيها عارفاً بالحجة ، ورعاً
كثير الثبت في أحكامه ، لِقناً ذهنًا عارفاً بالغة والشعر ، يصنع الشعر ويحده سار
سيرة قضاة العدل .

﴿ قال ﴾ ولى^(١) القضاء بعد عبد الله بن غانم سنة إحدى وتسعين ومائة . وقد
كان إبراهيم ابن الأغلّب أراد أن يولى غيره فقال له [رجل] من أكابر أصحابه :
إن كنت تريد الله فعليك بصاحب الأمانة : أبي محرز . وكان يلبس عملة
كبيرة . فقال له إبراهيم : يا أبا محرز إني عزمت على توليتك القضاء فقال
أبو محرز ، لست أصلح لهذا ، ولا أطيعه : فقال إبراهيم / : لو كان الأغلّب بن
سالم ، ويزيد بن حاتم باقين لم أكن أميراً ، ولو كان عبد الله^(٢) بن غانم وابن
فروخ باقين لم تكن أنت قاضياً ، ولكل زمان رجال ، وعلى الأمير الاختيار ،
فتمثل أبو محرز :

١١ : ٢

(١) راجع الرياض ١/١٩٢

(٢) في الرياض ولو كان ابن أنعم

خلت الديار فسدت غير مسود

ومن الشقاء تفردي بالسود

وامتنع^(١)؛ فتلطف به إبراهيم . ثم أمر إبراهيم عامر بن معمر أن يأخذ
بضميه^(٢) ويخرجه من باب المقصورة إلى الجامع فيقعه إلى النظر بين الخصوم
فعل ، فلما نظر أبو محرز بين الخصوم كبر الناس وسمع إبراهيم التكبير ،
قال : « قبل أبو محرز القضاء »^(٣) .

ولم يزل قاضيا إلى أن مات .

وروى عن أسد بن القرات قال : « بعث الأمير زيادة الله في طلبي وطلب
أبي محرز وكان قد أشرك بيننا في القضاء ليشهدنا على شراء اشتراه فاقبلت إلى
قنطرة أبي الربيع ، فألقيت أبا محرز واقفا ينتظرنى ، فقلت : كيف أصبحت يا أبا
محرز ؟ ، فارد على شيتا ، ومضيئا حتى دخلنا على زيادة الله ، فأجلس أبا محرز
عن يمينه وأسداً عن يساره ، ثم دفع صكاً إلى أسد ليقراه فقرأ فقرأ في أوله
« بسم الله الرحمن الرحيم » وقال : « هذا ما اشترى الأمير زيادة الله بن إبراهيم »
فقال له أبو محرز : « أخطأت » قال أسد : « أيها الأمير لقيته اليوم فسلمت عليه ،

(١) في الرياض « فقال له » « قد وليتك القضاء ، فامتنع »

(٢) الضبع : العضد

(٣) ذكر أبو العرب في الطبقات من ١٦٧ أت أبا محرز لما ولي القضاء جمع كل عبد له
وماشية فأراهم للناس وقال « هذا ما أملك ثم قال إنى قد أحضرت إليكم جميع ما أملك
لأريكم إياه ، فان زدت على ما ترون شيتا فأنا خائن »

وذ كره المالكى أيضا

فلم يردّ عليّ ، ولم أقرأ إلا كلمتين ، فقال لي : « أخطأت » فنظر الأمير إلى أبي
مُحرز ، فقال أبو مُحَرز :

إنه لم يسلم عليّ - ولو سلم لرددت عليه السلام ، وما كنت أستجيز ترك
ذلك - وإنما قال لي : كيف أصبحت ؟ وقد أصبحت مغموماً ^(١) ولو أعلمته
بالسرّته ، وقرأ فلم يذكر « بسم الله الرحمن الرحيم » فأخطأ .

فلما انقضى أمر الكتاب دخل الحاجب فقال :

أعز الله الأمير ، بالباب رجل ذكر أنه رأى للأمير رؤيا ، فقال له « اكتبها
منه فجنّني بها » قال : « قد أردت ذلك منه فأبى وقال : « لا أقصها إلا عليه » ،
فقال : « أئذن له » فدخل عليه فقال : « مارؤياك ؟ » قال : « رأيت [كأن] ^(١)
جبريلَ عليه السلام هبط من السماء إلى الأرض ومعه نور ، حتى وقف بين يديك
وصافحك » فقال زيادة الله : « هذا عدل يجريه الله على يدي » قال أسد : « فسمعت
أبامحرز يقول - بكلام خفي - كذب والله » ، قلت « والله لا يسبّني بها أبو محرز » ،
فبادرت وقلت : « كذب لك الرجل أيها الأمير » فغضب زيادة الله حتى رُئيَ
الغضب في وجهه ، ثم التفت إلى أبي مُحَرز كالمحرّك له عليه ، لما يعلم بينهما ،
فقال أبو محرز : صدق أسد ، وكذب الرجل ، إن جبريلَ عليه السلام لا ينزل
إلا بوحي على نبيّ ، وقد انقطع الوحي بعد وفاة محمد ﷺ تسليما لأنه لا نبي

(١) في الرياض «محموماً»

(٢) من الرياض

جده وهذا وأمثاله إنما يأتونك طلبا لدنياك ، فاتق الله عز وجل ، فسكت زيادة الله ، وخرج الرجل ، فقام أبو محرز وأسد وخرجا ، فالتفت أسد إلى أبي محرز وقال :

أحسن الله لك جزاءك فيما رددت عني من زيادة الله فقال أبو محرز :
أمسك ، لله / فعلته لالك (١) .

١٢ : ٢

﴿قلت﴾ فيما ذكره أبو محرز نظر ؛ لأنه لا مانع من نزول جبريل عليه السلام للأرض بغير وحى .

وغالب ظني أني سمعت هذا من شيخنا أبي مهدي ، رحمه الله تعالى - وبهذه الحكاية قال أسد : « لله در أبي محرز ، والله ما أباح دينه علي ما كان بيني وبينه من الشحناء » .

وكان أسد أوسع من أبي محرز علما ، وأغزرَ فقها ، وكان أبو محرز أقل فقها ، وأكثر صوابا في كثير من الأوقات .

قال محمد بن زوار : قال الأمير زيادة الله بن إبراهيم يوما لأسد وأبي محرز : ما تقولان في دخول الحمام مع الجوارى ؟ فقال له أسد : ما بذلك من بأس إمامك ونظرك إليهن وإلى فروجهن حلال ! فخالقه أبو محرز في ذلك وقال للأمير : « إن كان يحل لك أن تنظر إلى عوراتهن فلا يجوز لبعضهن أن ينظر إلى عورة بعض » .

(١) الرياض ١/١٩٢ - ١٩٣

رَقول أبي محرز به الفتوى من شيوخي^(١) ، وما ذكره أسد لا يمدّ بقولا
وإنما هي ثقلة منه في فتوى على البديهة - ولهذا لم يرد على أبي محرز - .

وإنما يسوغ الجواز لو كانت معه جارية واحدة ، ومثله في المنع دخواه مع
زوجتيه : وجوازه مع زوجته .

وقال الشيخ أبو القاسم بن شلبون : « حدثونا أن رجلين استعدى أحدهما
على الآخر عند أبي محرز ، وأثبت القاضي شاهدين بعد أن كشف عنهما
فُدعلا^(٢) ، فلما أراد أن يوجه الحكم على المشهود عليه [بعد أن أعذر إليه -
أتاه المشهود عليه]^(٣) بعد صلاة المغرب ، فهجم عليه في سقيفته ، فقال : « أيها
القاضي عزمت على أن تحكم علي ؟ » فقال : نعم قال « فامرأته طالق ثلاثا ؛ وكل
مملوك له حرٌّ إن كان شهد عليّ هؤلاء إلا بزور » فقال أبو محرز^(٤) : « قد
كشفت عنهما فلم يبلغني عنهما إلا خيرة ثم أصبح أبو محرز [توجه]^(٥) إلى مجلس
قضائه ، فجلس وأقبل المشهود به فقال له : « احكم لي أصلحك الله » قال : « نعم

(١) الأصل في هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تباشر المرأة فتنتها لزوجها ؛ كأنه
ينظر إليها » فقد قال القاضي : هذا أصل لما لك في سد الذرائع ؛ وقد أخذ منه الفقهاء تحريم نظر
كل من الرجل والمرأة إلى عورة من لا يحل له قال النووي : فيه تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل ،
والمرأة إلى عورة المرأة ، وهذا مما لا خلاف فيه

راجع في هذا ما رواه البخاري في كتاب النكاح باب لا تباشر المرأة المرأة فتنتها لزوجها
٢٩٢/٩ وانظر ما علق به ابن حجر عند شرحه للحديث

(٢) أي بعد أن استوتق من عدالتهما

(٣) ما بين القوسين ليس في ت

(٤) في الرياض قبل هذا : « ليس هذا على »

(٥) في الرياض

ولكن تأتيني بالشاهدين الذين شهدا أريد أن أسألها عن شيء بقى على لم أسألها عنه ، فأحضرها ، فلما جاسا في حلقة القاضي أبى محرز قال القاضي - بأعلى صوته لحاجبه سكر: « إنَّ في حَلَقَتِي شَاهِدِي زُور، فامض إلى باب سلم فأتني بجملين حتى أحملهما عليهما وأطوَّفُهما ، فضى ، فامتفت أحد الشاهدين إلى الآخر وقال: « قم بنا ، فما أحسبه يَحمَل على هذين الجملين غيرنا » فهربا متسللين حتى غابا ، فلما أتى بالجملين قال أبو محرز للمشهود له : « أين شاهدك ؟ » فقال له : « ها هنا كانا الساعة ، ولا أدرى أين توجهنا » : فقال له : « ياعدو الله تجترى علينا بشهود الزور ؟ » وهم بضربه .

﴿ قلت ﴾ إن أراد بقوله « إني أريد أن أسألها عن شيء بقى على » ظاهره لكونه لما حلف المشهود عليه بما حلف تأمل الوثيقة ثانيا فظهر له فيها ما يقتضى ذلك فواضح .

وإن لم يكن الأمر كذلك - كما هو السياق وإنما قصد بما فعله هل يطمئنان في الموضوع ، فيعلم أنه لا ريبية في شهادتهما عندهما ، يحكم ، أو ينصرفان ، فتكون ريبية في شهادتهما ، فليس يجاز على مذهب مالك ، ولا يجوز له أن يعمل ذلك . /

١٣: ٢

وكان الغالب على أبى محرز مذهب أبى حنيفة فيحمل على ذلك والله أعلم .

وسكت عنه ابن شلبون وأبو بكر المالكي وغيرها^(١).

وقد افتي هو وأسد بقبول توبة الزنديق .

قال المالكي : إنما تقلدا فيه مذهب أهل العراق ، وإلا فمذهب أهل المدينة

عدم قبولها .

ومذهب أبي محرز جواز شرب النبيذ وحرمة أسد .

﴿قال﴾ وكان أبو محرز يجلس الخصوم في داره ويجعل للنساء يوما عند باب

داره التي بزقاق ابن دينار .

قال أبو العرب^(٢) : كان أبو محرز مبتلى بصب الماء في الوضوء ، وكان

شديدا الورع فرفع إلى إبراهيم أنه ينزع خاتمه وقت الوضوء من إصبعه ويضعه في

بيته فيطبع به النساء^(٣) ما أحبوا قرصده إبراهيم يوما في وقت وضوئه ، ثم وجّه

إليه خادمين فوجداه في هيئة الوضوء ، فقالا له : « يقول لك الأمير أين خاتمك؟ »

فقال لهما : « ها هو ذا معلق في عنقي بخيط ! » فرجعا إلى الأمير وعرفاه فمجب

من ذلك .

(١) ابن شلبون هو عبد الخالق بن أنى سعيد تفقه بإبن أبي هشام وكان الاعتماد عليه في القبروان في الفتوى والتدريس بعد أبي محمد بن أبي زيد توفي سنة ٣٩٩ وترجمته في الديباج

(٢) الرياض ١/١٨٩

(٣) في الرياض : « أهله »

﴿ قلت ﴾ أراد بقوله : « ها هو ذا معلق » أراها إياه ، وتقدم ما يقتضى أن خاتم القاضى كان فى زمانهم لطبع من يدعى - إذا بعث كتابه لذلك طبع عليه .

وذكر سليمان بن عمران : إن الصف القبلى من « الرهادرة » و « الرفائين » وبعض حوانيت « الكتائين » وما وراء ذلك كانت دورا لقوم ، فبنيت حوانيت ، وسميت الحوانيت الجدد ، ونقل الناس من أسواقهم إليها ، وأخذوا بسكناها وعمارتها للأمير وكان [صديق] لأبى محرز أخذ بسكن حانوت منها ، فأقبل يوما يدخل على أبى محرز على عادته ، فلما رآه أبو محرز صاح به : ارجع وراءك ! فقال له : « أصلح الله القاضى إني مجبور على سكناها ومع هذا فإني اشترت الحانوت » ، فقال له أبو محرز : « هب أنك اشترت الحانوت من أصحابه ، فما تفعل بطريقك إلى الحانوت . ممن تشتره ؟ »

﴿ قلت ﴾ ما قاله أبو محرز فى غاية الصواب ، وبه أقول لأنه وإن كان مجبورا على سكناها ، فهو قادر على أن يترك تلك الصنعة التى نقل بسببها . وينتقل إلى ما ينسب به فى صنعة أخرى ، بحيث لا يُنقل إليها ، والرزق على الله عز وجل ! .

وسوق « الرهادرة » عندنا اليوم : أصله للمخزن ، وكان خراباً - وكان

سوق « الرهادرة ^(١) » للرعية الذي هو الآن « للشواشين ^(٢) » ومن معهم -
أمر من مضي من السلاطين من أدر كناه أن يُبنى ذلك الخراب حوانيت ،
ويُنقل له أصحاب سوق « الرهادرة » جبراً ، وفقد ذلك ، ومن أراد أن يسكن
خارجة ، ولو بقربه لا يترك ! وربما يترك أشهراً ثم يردّ إلى سكنائها
كرها .

وهذا لا يجوز .

وما يأخذه القضاة من كراء تلك الحوانيت في مرتباتهم لا يجوز . - وهو
مكس ^(٣) ، وجرحه في إمامتهم وشهادتهم ^(٤) .

﴿ قال ﴾ وتوفى أبو محرز سنة أربع عشرة ومائتين .

﴿ قلت ﴾ في كلامه بتر لقول غير واحد كابن الرقيق : توفى يوم الخميس

(١) الرهادرة أو الرهادنة كما في الرياض باعة الأئمة القديمة ، وأسواتهم متمارفة
قديماً .

والرهادنة جمع رهدنت ورهدون بفتح الراء في الأول وضمها في الثاني . والرهدن في الأصل
طائر كالمصفور بكمة ، ويقال كذلك للأحقق .
والرهدون : الكذاب ، ولعلمهم سموا الرهادنة لهذا ؛ فانهم يتوسلون إلى رواج سلمهم
بالكذب غالباً .

راجع في أصل السادة لسان العرب ٥١/١٧ .

(٢) الشواشين هذا في الأصول واعلمها تصحيف عن « الشرايشين » راجع النجوم
الزاهرة ٢٠٩/٨

(٣) المكس : الجباية ، والنقص ، والظلم ، وضريبة تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق
اه قاموس ٢٥٢/٢

(٤) هذه القضية تناول حكم احتكار الأسواق لجانب الدولة بدون اعتبار حق المالكين
لأصولها .

في شهر رمضان العظم لعشر بقين منه / سنة أربع عشرة ومائتين ودفن بباب ٢ : ١٤ سلم^(١) رحمه الله .

﴿ قلت ﴾ : ويقال أن جدّه « قيساً » صحب النبي ﷺ ، وقاتل معه ،
ودخل أفريقيا مع « عبد الله بن أبي سرح » سنة سبع وعشرين ، في خلافة
عمان بن عفان رضي الله عنه .

والتوازل المستعرضة هنا كانت بين عصر سليمان بن عمران ، وبين عصر ابن ناجي ،
في العصر الأول اغتصبت دور من أربابها واتخذت حوانيت وأجر التجار على عمارتها وترك
حوانيتهم فكان الضرر في ذلك من ناحيتين .

وفي الثاني أحدثت الحوانيت بخراب ولسكن التجار أجبروا على الانتقال إليها من حوانيتهم
وتركها لصناع آخرين

وقد قال الفقهاء كلمتهم الصريحة في حرمة ذلك كله احتراماً للحقوق المكتسبة ، وبالغ
ابن ناجي في القول بحرمة المرتبات المذكورة وبالتجريح بذلك وهذه مسألة اختلفت
فيها أقطار الفقهاء ، ليس هذا محلاً لبسطها .

(١) بقبرة قريش وهي المعروفة الآن بالجنح الأخضر

ومنهم :

٩٠ • ﴿ أحمد بن أبي محرز - المتقدم ذكره الآن ﴾

﴿ قال ﴾ : كان أفضل الناس في زمانه ، وأورعهم ، وأعدلهم حاكومة ،
وأكثرهم إشفافاً .

﴿ قلت ﴾ وقال غيره : كان بحراً من بحور العلم ، حافظاً للشئ ، جامعاً لها ،
إماماً فيها ، عارفاً بأصول الديانات . من أهل الورع والكرامات - على
هدى وسنة واستقامة ، كثير البكاء غزير الدمعة .

وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع ، قامعاً لهم ، غيوراً على
الشريعة ، شديداً في ذات الله تعالى .

﴿ قال ﴾ : ولي القضاء مجبورا ، جبره عليه « زيادة الله بن إبراهيم ^(١) » وذلك
أنه عرض القضاء على جماعة من العلماء ، فامتنعوا ، فجمعهم وقال : « انظروا
من يقدّمون لصلاتهم » ؟ فلما كان وقت الصلاة قدّموا أحمد بن أبي محرز ،

(١) هو زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب تولى إمارة تونس من سنه

فصلّى بهم ، فقال زيادة الله : « قد رضوا الدينهم من رضيتة أنا لديني ! » فحبره على القضاء .

﴿ قلت ﴾ يريد - كما صرح به غيره - أنّ جهم كان في مقصورة عنده ، ولما استنعموا من تعيين بعض من حضر أمرهم أن لا يخرجوا من ذلك المكان حتى يمينوا له قاضيا ، وهربوا من ذلك أيضا [ف] قام عنهم ، ودسّ عليهم من يعلمه من يقدموه للصلاة .

﴿ قال ﴾ : ولما قبل القضاء اشترط على الأمير : أن لا يقبل أحداً من أقاربه ، ولا من حشمه ، ولا من يطوف به وكيلاً .

وكان « زيادة الله » يقول : لا أبالي [إن سألتني الله] ما قدمت عليه يوم القيامة ، وقد قدمت عايه بأربعة ، قيل : وما هن ؟ قال : بنائى المسجد الجامع بالقيروان ، وبنائى القنطرة بباب الربيع ، وبنائى الحصن بسوسة ^(١) ، وتولييتى أحمد بن أبي محرز قضاء إفريقية .

﴿ قلت ﴾ في كلامه بتر أقول أبو الربيع عن زيادة الله : أنه قال : أعتقت في الجامع ستة وثمانين ألف دينار . قال أبو العرب : كان أحمد بن أبي محرز ورعاً . لم يحكم بحكم حتى مات !

(١) هو قصر الرباط الباقي إلى الآن راجع عنه «ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية

وقال الشيخ أبو بكر ابن اللباد: « بلفنا أن أحمد ابن أبي محرز لم يحكم بحكم
في قضائه منذ ولى إلى أن مات إلا بحكم واحد ، يقال : إنه حكم في حمار
وغيره وعنه » .

﴿ قال ﴾ : وقال سحنون : « إن سلم أحد من القضاء فما سلم إلا أحمد بن أبي
محرز ، لم يقض في أيامه إلا في قضيتين أداهما من ماله » .

﴿ قلت ﴾ لا أدري كيف أسمع هذا ؟ ! والواجب عليه - وإن قدم مكرها -
أن يُنجز الأحكام بين الناس ، ولا يتوقف إلا فيما يجب التوقف فيه لصعوبته
لعدم وجود النص فيه .

وأما كونه لم يحكم بحكم - وإن قلّ وظهر وجه صوابه على ظاهر اللفظ
أو إلا في مسألة أو مسألتين - فهذا لا يجوز . لأنه تضييع لأحكام المسلمين في مدة
١٥ : ٢ قضائه ، وهي تسعة أشهر ، وقد تمين عليه / ذلك .

وكيف يفتخر به « زيادة الله » ؟ وإنما يفتخر إذا أنجز الأحكام الواقعة بين
الخاصة ، والعامّة وسوى بينهم فيها كما هو ظاهر فيما يأتي في قضية « على
ابن حميد » .

﴿ قال ﴾ : وروى أن أبا سنان : زيد بن سنان الأسدي ^(١) شهد عند أحمد

(١) ستأتي ترجمته بعد قليل في هذا الجزء

مِنْ أَبِي مُحَرَّزٍ ، فَرَدَّ شَهَادَتَهُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا رَدَدْتُ شَهَادَتَكَ لِأَنَّكَ زَكَيْتَ
مِنْ لَا تَعْرِفُهُ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمِيرَ « زِيَادَةَ اللَّهِ » سَأَلَ أَبَا سَنَانَ عَنْ « أَحْمَدَ بْنِ أَبِي مُحَرَّزٍ » ،
فَزَكَاهُ ، فَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ .

﴿ قُلْتُ ﴾ : رَأَى أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ . لِكَوْنِهِ لَمْ يَمَاشِرْهُ ، وَإِنَّمَا
يَعْرِفُهُ مِنْ بَعْدُ ، وَلَوْ عَاشِرَهُ وَاطَّلَعَ عَلَى أَحْوَالِهِ لَمَا زَكَاهُ - فَهُوَ زَكَى مَنْ
لَا يَعْرِفُ .

وَلَا يُقَالُ : إِنَّمَا هَذَا مِنْهُ عَلَى طَرِيقِ الْوَرَعِ ، لِأَنَّ فِيهِ إِسْقَاطَ حَقِّ مُسْلِمٍ ، وَهُوَ
مِنْ شَهْدِهِ ، وَالْوَرَعُ إِنَّمَا هُوَ فِي غَيْرِ هَذَا .

﴿ قَالَ ﴾ : وَذَكَرَ فِي مَجْلِسِ « أَحْمَدَ بْنِ أَبِي مُحَرَّزٍ » ، أَنَّ « عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ »
عَرَضَ عَلَى « إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عُبَيْلَةَ » أَنْ يُولِيَهُ الْقَضَاءَ ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ « إِبْرَاهِيمُ » ،
فَشَدَّدَ عَلَيْهِ « عُمَرُ » فَقَالَ « إِبْرَاهِيمُ » : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ ^(١) فَلَمْ يُكْرِهْهَا
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى حَمْلِهَا ، وَلَا عَسَفَهَا إِذْ أَشْفَقَتْ مِنْهَا ، فَبَكَى « أَحْمَدُ بْنُ أَبِي
مُحَرَّزٍ » عِنْدَ ذَلِكَ بَكَاءً شَدِيدًا ، وَلَمْ يُنْتَفِعْ بِهِ بَاقِيَ نَهَارِهِ .

وحكى « محمد بن زرقون » أن رجلاً تخاصم مع الأبرارى عند أحمد بن أبى محرز » فجفا عليه فأمر بأدبه ، فلما كان فى تلك الليلة راجع أحمد بن أبى محرز » نفسه فى أمر الأبرارى ليتحلل منه ، فوجده قد رحل إلى الحج ، فلفحه إلى مدينة « قلشانة »^(١) فسأله أن يحلله فحلله ثم رجع ، فلما سار فى بعض الطريق قال لنفسه : رَجُلٌ فعلت به ما فعلت فى جماعة من المسلمين ، سألته أن يحلنى فيما بينى وبينه ؟ هذا لا يصح !. فرجع إلى رُقعة الحاج ، وجلس فى وسط الناس ، واستحضر الأبرارى وأعلم أهل الرقعة بالقصة ، ثم سأل الأبرارى بحضرتهم أن يحلله ، أو يقتص منه ، فحلله الأبرارى ، وقال : إنك لم ترد إلا خيراً - إنما رفعت كلامى عليك ولم أجل القضاء ، وقد أخطأت فأنت فى حل عن طيب نفس !

﴿ قلت ﴾ : هذا منه على طريق الورع ، وفى مثل هذا يقال ذلك . وفى زماننا لا يفعل ؛ اثلاً يتجاسر على القضاة .

﴿ قال أبو بكر المالكى ﴾^(٢) : وذكر بعض من له عناية بأخبار القضاة : أن رجلاً من أهل القيروان تخاصم مع رجل يُعنى^(٣) به على بن حميد الوزير فى دار من دور مدينة القيروان بالسماط الأعظم ، فلما نشبت الخصومة فى الدار

(١) مدينة قديمة جنوب القيروان تكرر ذكرها فى هذا الكتاب وقد عفاً فارها

الآن وإليها ينسب آل القلشاني ، قضاة تونس

(٢) فى الرياض ص ٣٠٦

(٣) يعنى به : أى هم به

عند « أحمد بن أبي محرز » وجب عقلها حتى يفصل فيها ، فطَبَعَ (١) على الرجل الذي يُعْنَى به « علي بن حميد » فمضى ذلك الرجل إلى « علي بن حميد » فأخبره ، فأمر « علي بن حميد » بمجلّ الطابع .

وكان علي بن حميد هذا في دولة ابن الأغلب بمحل الوزارة ، ورفع الرايات (٢) ١٦ : ٢ حتى كانوا يدعونه العم - فمضى الرجل المطبوع / له إلى القاضي - وهو جالس في مجلس قضائه بجامع القيروان - فأخبره بذلك ، فغضب عند ذلك القاضي ، وضمّ ديوانه ، ومضى إلى داره ، وأخذ سجلّ ولايته ، ومضى إلى قصر الأبير القديم نصف النهار ، ووقتَ قائلة الأمير « زيادة الله » فوافق مسروراً الحاجب ، فسأله الإذن على زيادة الله ، فمنعه من ذلك ، وقال : « ليس هذا وقتَ لُذْن » ، فقال له القاضي أحمد : « فتمننى من بابي » ؟ قال له : « لا أمْنُك ولا أمرُك » : فأتى القاضي أحمد إلى باب قصر زيادة الله فقرّع حَلَقَتَهُ ، فخرجت والدة زيادة الله من مقصورتها فزِعَتْ : فقال (٤) لها : « القاضي أحمد أراد (٥) الإذن على

(١) في الرياض : « قطعها على الرجل » والطبع في الأصل : الحَمَّ وضع الشيء عليه . طبعها ختم
والمراد أقل الدار بشيء مخنوم كما يفعل الآن بالجمع لأحمر الخنوم وذلك حتى ينظر في أمرها .

راجع اللسان ١٠٢/١٠ وما ذكر بهامش الرياض ٣٠٦-٣٠٧ .

(٢) في الرياض : « ورفيم الرياضة »

(٣) في الرياض : « فقبل لها »

(٤) في الرياض : « يربد »

الأمير لأمر دمه : فأتت إلى مقصورة زيادة الله - وهو نائم على سرير - فخرت حلقه الباب ، فقال زيادة الله « من هذا » ؟ قالت : « الوالدة ! » قال لها : « وما جاء بك » ؟ قالت : « القاضي بالباب ، ذكر أنه أتى في أمر دمه » فأذن له في الدخول عليه ، فسلم بالإمارة ، وقصّ عليه قصته وقال : « هذا سجلك فإن أردت أن تعانيني ، فإن الله تعالى يُجْزِلُ مَثْوَبَتِكَ » فكان من جوابه له : « لا تفضب ، اجلس في خارج القصر حتى أريك ما أفعله » .

فخرج القاضي أحمد إلى سقيفة القصر ، وقام زيادة الله فاغتسل ، ولبس ثيابه وركب ، وركب أحمد القاضي معه يحاذيه ولا يدرى أين يتوجه الأمير ، حتى دخل من باب أبي الربيع ، ووقف بالقرب من الجامع ، فقال للقاضي : « أين الدار التي أمرتُ بطبعمها ؟ » فقال : « هي هذه » قال : « اجعل عليها طابعا » فعمل ذلك ، وختم بخاتم الأمير زيادة الله ! ثم عطف على القاضي فقال له : « إننا نرضيك » .

فلما سمع عليّ بن حميد بزيادة الله ووقوفه بالسماط الأعظم ، خرج راجلا حتى أتاه ، فسكان من زيادة الله إلى عليّ كلامٌ حَسَنٌ ، منه أن قال له : والله لولا واجبٌ قديمٌ محبتك ما جعلت طابعا إلا على رأس من حله . فتبرأ عليّ بن حميد من ذلك الرجل ، وودَّ أن حياته انقضت قبل ذلك اليوم .

وجرى مثل ذلك غيرَ ما مرة ، رحمة الله تعالى ورضوانه على الأمير وقاضيه أمين .

* * *

﴿قلت﴾ : وهكذا كانت القضاة ، وذُهبهم عن حرمة الشرع العزيز ، ونُصرة الأمير لهم !

وشاهدت في زماننا قائد الموضع يُخرج مَنْ يسجنه القاضى ، ويقول : إن عليه طلب المخزن - وهو يكذب في ذلك - وهب أنه يصدق فلا يجوز له ذلك ، وإن هو فعله فأقلُّ المراتب أن يردّه كما كان ، ويتناقل بعض القضاة عن ذلك ثلاثين خاشن معه فما ينصفه في مرتبته فأحرى أن لو خاف من تسببه في عزله .

وقد وَقَفْتُ في هذا الباب في مدينة « باجة »^(١) - وطاردني ولاتها بمكاتبتهم لأمير المؤمنين : أبي فارس : عبد العزيز وغلبتهم عنده ، والمباشر لى في ذلك شيخنا أبو مهدى : عيسى القبريني رحمه الله تعالى ، فأنى جواب أمير المؤمنين : أنّ من عليه طلب المخزن من البوادى ، وسبق حكم الشرع فيه / ٢ : ١٧ فإن ادعى ذلك فلكه مقدم . وإن سبق طلب المخزن فيه ، ودعى للشرع يؤخذ

(١) باجة Bega إحدى مدن الأندلس القديمة بنيت أيام الأفاصرة بينها وبين قرطبة مائة فرسخ قال أبو عبد الله الحميري وتفسير باجة في كلام المعجم : الصاح وذكران الذى سماها بذلك هو يوليوس قيصر راجع صفة جزيرة الأندلس ص ٣٦ وما ذكر بهامش الاحاطة ١/٤٦٠

طلب الخرن منه من حكرٍ أو غيره ، ويُردُّ بغور ذلك القاضي ، وينفذ فيه حكمه .

على هذا يكون العمل .

﴿ قال ﴾ ولما حضرت أحمد بن أبي محرز الوفاة أوصى إلى ابنه عمران أن يستر موته ، وأن يغسله ، ويكفنه ، ويصلى عليه فيمن حضره من خاصته ، وأن يخرج به إلى قبره ، فلما مات قُبل ذلك به ، فلما أُخرج من الدار وافاهم خلف الخادم من عند زيادة الله ومعه اثنا عشر ثوباً وبُرْمَةٌ فيها مسك ! وقال : « يا عمران ما هذا الذي صنعت ؟ » فاعتذر إليه فقال : « هل من سبيلٍ إلى أن تدخل هذه الثياب ؟ » فقال عمر : « أن لا سبيل إلى ذلك » ، فافزع خلف البُرْمَةَ على الكفن ، ثم مضى بجنازته ، فوافاهم زيادة الله بالمصلى فصلى عليه .

﴿ قلت ﴾ في كلامه بتر لزيادة غيره : وحضر دفنه وعزى عمران ولده ثم قال زيادة الله : يا أهل القيروان ! لو أراد الله بكم خيراً لم يزل أحمد بن أبي محرز بين أظهركم .

﴿ قال ﴾ وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين ومائتين .

ومنهـم :

● ٩١ ﴿ أبو زكرياء : محمد بن رشيد مولى

عبد السلام بن مفرج ^(١) العابد ^(٢) ﴾

﴿ قال ﴾ : « رحل مع سحنون إلى ابن القاسم ، فسمع منه ، ومن العلماء » .

ومما رواه عن محمد بن حُميد الرازي ، عن جَرير بن عبد الحميد ، عن منصور ،

عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال :

(١) في ت : « ابن فيرج » .

(٢) ترجم له القاضي عياض في مقدمة المدارك ٥٢/١ وذكر أنه كان ثقة من نخط سحنون وإليه كانت الرحلة معه ، ولكنه لما تساهل في المعاملة ، وترخص في بيع العينة ، والأخذ برأى من لم ير الأربعة تركوا الحمل عنه . فلما مات تأسى سحنون أن ينظر في تركته . وأسندها إلى حبيب : صاحب مظالمه .

كما ترجم له أبو العرب في طبقات علماء أفرريقية ص ١٩٥ ووضح ما ذكره القاضي عياض عنه فقال :

كانت رحلته ورحلة سحنون إلى عبد الرحمن بن القاسم إلى مصر واحدة .

وكان أهل الأندلس في أول مرة يسمعون منه فيأتونه أكثر مما كانوا يأتون سحنونا . ثم أخذ في المعاملة بالعينة فاجتنبه كثير من الناس .

وذكر الرويا التي أوردها ابن الدباغ ثم قال : وحدثني حبيب بن زمر بن سهيل صاحب مظالم سحنون قال : لما مات محمد بن رشيد كره سحنون النظر في تركته لسهو . فأما قال : فأمرني فنظرت فيها ولم ينظر هو فيها ومات محمد بن رشيد وكان سحنون يومئذ قاضيا وإنما أسنده على الناس . فأما في نقله في العلم فكانت ثقة

وله ترجمة مختصرة في الديباج ص ١١٨ - ١١٩

(م - ٤ معالم الإيمان)

« اشتكيت عيني ، فشكوتُ إلى رسول الله ﷺ تسليماً ، فقال لي :-
انظر في المصحف . فإن اشتكيتُ عيني ، فشكوت إلى جبريل ، فقال لي :-
انظر في المصحف . فإن اشتكيتُ عيني فشكوت إلى ربي عز وجل فقال
لي : انظر في المصحف »^(١) وساق هذا الحديث مسلسلاً هكذا إليه .

توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين .

﴿قلت﴾ : « وكان رُشيد والده صقلياً ^(٢) ، ورجلاً صالحاً فاضلاً ، فرأى في المنام كأنه أتى المسجد الجامع فبال في محرابه ! فاعتمَّ لذلك ، وقصَّ رؤياه على البهلول بن راشد الزاهد » ، فقال له : « يخرج من صُلبك ولدٌ يكون إماماً » ، فولد له محمد هذا .

(١) نفي صحة هذا الحديث نظر . فانه من رواية محمد بن حميد الرازي وقد قال عنه يعقوب بن شيبة : كثير المناكير ، وقال البخاري : فيه نظر . وكذبه أبو زرعة وقال فضلك الرازي : هدى عن ابن حميد . خمسون ألف حديث ولا أحدث عنه بحرف وقال صالح جزره : كنا نتهم ابن حميد في كل شيء يحدثنا ما رأيت أجراً على الله منه ؛ كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض .

° راجع ترجمته في ميزان الاعتدال ٥٣٠/٣ - ٥٣١ وتهذيب التهذيب ١٢٧/٩ - ١٣١ . وفي سند الحديث كذلك جرير بن عبد الحميد ، وهو مختلف في توثيقه ؛ فقد قال النسبي : « هو عالم أهل الرأي صدوق ينجح به في الكتب وقال أحمد بن حنبل : لم يكن بالذكي في الحديث واختلط عليه حديث أشعث وعاصم الأحول حتى قدم عليه بهز فرقه . وقال أبو خاتم : صدوق تغير قبل موته وحجبه أولاده وذكر البيهقي أنه قد نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ . وكانت وفاته سنة ١٨٨ هـ عن ثمانين سنة .

وله ترجمة في ميزان الاعتدال ٣٩٤/١ - ٣٩٦ وتهذيب التهذيب ٧٥/٢ - ٧٧ .

(٢) في طبقات أبي العرب : « صقلياً »

ومنهم :

● ٩٢ ﴿ أبو جعفر : موسى بن معاوية الصمادحي ^(١) ﴾

قال أبو بكر بن اللبّاد : « هو من ولد جعفر بن أبي طالب ذى الجناحين ،
﴿ قال ﴾ : كان عالماً بالفقه ، راوياً للحديث ، ثقةً مأموناً ^(٢) .

قيل لسحنون بن سعيد : « إن موسى بن معاوية جلس في الجامع يُفتى الناس ؟ »
قال : « ما جلس في الجامع منذ ثلاثين سنة أحقُّ بالفتيا من موسى بن معاوية ،
وقال سحنون : « كان موسى بن معاوية أطولنا صلاةً ، وأكثرتنا اجتهاداً
وعبادة .

١٨ : ٢

﴿ قلت ﴾ / يريد لمشاهدته عبادته .

﴿ قال المالكي ﴾ : قال سحنون : « كنا نرابط بأئمنستير ^(٣) فكان موسى
أطولنا صلاةً ، فإذا كان ليلةً سبع وعشرين من رمضان طبّقها من أولها إلى

(١) له ترجمة في طبقات أبي العرب ص ١٩٠ - ١٩٤ والمدارك ٥/٣ - ٩

(٢) كان كثير الأخذ عن المدنيين والكوفيين والبصريين وغيرهم ، سمع من وكيع بن الجراح
والفضيل بن عياض ، وعلى بن مهدي وطبقهم وجير بن عبد الله وأبي معاوية الضرير وسمع
منه سحنون وعامة أهل أفريقية

(٣) قال في التاموس ٢ / ١٤٢ مذئمنستير بضم الميم وفتح النون بلد بأفريقية . معبد الزهاد والمنطقين
وبلد آخر بأفريقية أهله قوم من قريش بينه وبين القيروان ست مراحل

آخرها ، فإذا أصبح قال : « توجَّهوا بنا إلى القيروان ، ! فنقول له : « قم بنا حتى نتعبد ههنا ، ! فيقول : « كان رسول الله ﷺ تسايماً إذا أقبل من حجٍّ أو عمرة فأشرف على المدينة أوضع ^(١) على راحلته وقال : « أمرعوا بنا إلى بنات الأقاليم ^(٢) » .

﴿ قال ﴾ : رحل إلى المشرق سنة أربع وثمانين ومائة ، فلقى وكيع بن الجراح ، وسفيان بن عيينة ، والفضيل بن عياض ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وزيد بن هارون ، وجريز بن عبد الحميد .

ولقى بإفريقية : البهلول بن راشد ، وربَّاح بن يزيد .
وتفقه على علي بن زياد .

وقال موسى : لم ألق أحداً أروى من وكيع ، كان يروى خمسةً وثلاثين ألف حديث يقرؤها علينا ظاهراً على تأليفها . ما يشكُّ في حديثٍ منها .

﴿ قلت ﴾ : وحدث أبو سليمان : داود بن يحيى ^(٣) قال : « سمعت موسى بن معاوية الصَّادِحِي يقول : « رحلت من القيروان ولا أظنُّ أني أرى أحداً أخشعَ من البهلول بن راشد حتى لقيتُ وكيعَ بن الجراح ، وكان يقول ^(٤) : إنه يختم

(١) أوضع : أسرع

(٢) لم أجد

(٣) راو قيرواني سيترجم له ابن الدباغ

(٤) هكذا في الأصول ، وصوابه كما في الرياض : يقال بدائل قوله بعد قليل : الليلة « يتين ما قيل فيه » .

في رمضان خَتَمَةٌ وُثْلًا كُلَّ لَيْلَةٍ فَبِتُّ فِي مَسْجِدِهِ ، فَدَخَلَ مُعْتَكِفَهُ ، فَقُلْتُ : اللَّيْلَةَ
يَتَبَيَّنُ مَا قِيلَ فِيهِ ، فَصَلِينَا التَّرَاوِيحَ ، فَخَرَجَ إِلَى صَحْنِ الْمَسْجِدِ - وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ،
فَلَمَّا أَوْتَرَ دَخَلَ فِي مَكَانِهِ فَأَحْرَمَ وَأَنَا جَالِسٌ ، فَانْفَتَحَ فَقَرَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ
قَرَأَ بَعْدَهَا سُورَةَ « الْبَقَرَةِ » ، « وَآلِ عِمْرَانَ » ، فَأَخَذْتَنِي عَيْنِي فَنَمْتُ ، فَانْتَبَهْتُ
وَقَدْ ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ أَكْثَرُهُ ، وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْحَوَامِيمِ ، فَجَلَسْتُ حَتَّى خَتَمَ ، فَدَخَلَ
عَلَيْهِ ابْنُهُ بِطَبْقٍ فِيهِ خَبْزٌ وَتَمْرٌ وَرَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَقَالَ : أَيْنَ الْغُرْبَانِي ؟ فَقَمْتُ إِلَيْهِ
فَقَالَ : تَنَالُ مِنْ سَحُورِنَا يَا هَذَا شَيْئًا ؟ فَأَكَلْتُ وَأَكَلَ مَعِيَ ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ ثَلَاثَ
الْقُرْآنِ إِلَى سُورَةِ بَرَاءَةِ ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَسَلَّمَ وَجَلَسَ فِي مَوْضِعٍ ^(١) ، حَتَّى
أَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى ^(٢) ثُمَّ تَحَوَّلَ فَحَدَّثَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ،
ثُمَّ رَقَدَ مَكَانَهُ ، فَقَامَ وَقَمْتُ لِلظُّهْرِ ^(٣) فَدَخَلَ الْمِيضَاةَ ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ ،
فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ قَرَنَ كَعْبِيهِ إِلَى الْعَصْرِ ، فَكَانَ
هَكَذَا : الشَّهْرَ كُلَّهُ ، حَتَّى انْقَضَى وَأَنَا مَعَهُ فِي الْمَسْجِدِ .

قَالَ : « ثُمَّ رَحَلْتُ إِلَى الْفُضَيْلِ ، فَقُلْتُ : « مَا أَظُنُّ أَنِّي أَرَى أَحَدًا أَحْشَعَ
مِنْ وَكَيْعٍ ، حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ ، فَطَلَبْتُ الْفُضَيْلَ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَيِنَّمَا أَنَا ذَاتَ
عَشِيَّةٍ فِي بَعْضِ أَرْقَةِ مَكَّةَ إِذَا أَنَا بِرَجُلَيْنِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : « وَعَدَنَا الشَّيْخُ

(١) فِي م : « مَوْضِعُهُ » .

(٢) فِي الرِّيَاضِ : « فَصَلَّى ثُمَّ جَلَسَ فِي مِصْلَاهُ وَالطَّابَةِ حَوْلَهُ وَأَنَا مَعَهُمْ حَتَّى رَكَعَ النَّهْيَ مِنْهُ
بِاثْنَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ تَحَوَّلَ » الخ

(٣) فِي الرِّيَاضِ قَامَ وَقَمْتُ الظُّهْرَ .

يَحْتَمِنَا» قَلَّتْ لَهَا: «مَنْ الشَّيْخُ؟»، قَالَا: «الْفَضِيلُ»! فَمَدَّيْتُ^(١) إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَصَلَّى بِنَا هَارُونَ الْخَلِيفَةَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَقَرَأَ بِنَا سُورَةَ الرَّحْمَنِ، وَسُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَتَمَنَيْتُ أَنْ لَا يَسْكُتَ. مِنْ حَسَنِ قِرَاءَتِهِ! قَعَمْتُ أُبَادِرُ فَجَذَبَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي وَقَالَ: «أَيْنَ تَقُومُ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ مُسْرِعًا؟» فَاعْتَذَرْتُ لَهُ بِطَلْبِي لِلْفَضِيلِ لِأَسْمَعُ مِنْهُ، فَقَالَ لِي: «تَحِبُّ أَنْ تَرَاهُ؟» قُلْتُ: «نَعَمْ» فَأَشَارَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ لِي: «هَنَّاكَ هُوَ»، فَهَمَّتُ إِلَيْهِ وَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «مَسْكِينِ هَارُونَ، قَرَأَ بِسُورَةِ الرَّحْمَنِ، وَسُورَةَ الْوَاقِعَةِ، وَلَا يَدْرِي مَا فِيهِمَا»!؟.

ثُمَّ قَامَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَأَتَى الْعَلْبَةَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَإِذَا شَيْخُ آدَمَ قَالَ لَهُ النَّاسُ: «اجْلِسْ يَا أبا عَبْدِ اللَّهِ. اقْرَأْ لَعَلَّ الشَّيْخَ يَسْمَعُ قِرَاءَتَكَ فَيُخْرِجُ»: فَسَأَلْتُ رَجُلًا إِلَى جَنْبِي عَنِ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ لِي: «هَذَا صَالِحُ الْمُرِّي»، فَقَرَأَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^(٢)) فَفَتَحَ الْكُوفَةَ وَقَالَ لِابْنِهِ عَلِيٍّ: «اخْرُجْ بِي إِلَى هَؤُلَاءِ التَّوَمِ» فَخَرَجَ بِهِ وَأَقْعَدَهُ

(١) هكذا في الأصول وصوابه كما في الرياض: «فاغتديت»

(٢) سورة العنكبوت: ٤٠

عَلَى مَسْطَبَةٍ ، فَنَحِمَ الْقَارِئُ الْآيَةَ ثُمَّ دَعَا ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ
الْإِحْرَامِ ، قَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ (كَلَّمَا نَفَضْتُمْ جُلُودَهُمْ
يَدْلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) ؟ ^(١) قَالَ الْفَضِيلُ : « حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ
حَسَّانٍ ، عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : تَأْكُلُهُمُ النَّارُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً كَلَّمَا أَكَلْتَهُمْ
وَأَنْفَضَجْتَهُمْ قَبْلَ لَهْمٍ : عَوَدُوا فَيَعُودُونَ » ^(٢) .

وَصَعِقَ الْفَضِيلُ ، وَغَشِيَ عَلَيْهِ ، وَوَحِلَ إِلَى دَارِهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ هَارُونَ الْخَلِيفَةَ ،
فَأَرْسَلَ إِلَى سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ وَقَالَ لَهُ : « لَنْ الْفَضِيلَ فَسَّرَ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ فَصَعِقَ
بِهَا ، فَإِذَا صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ فَوَارِقِي الْبَابَ » .

ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : « إِذَا رَأَيْتَ هَذَا الشَّيْخَ ، يَرِيدُ سَفْيَانَ فَأَدْخِلْهُ
إِلَى » ، فَأَتَى سَفْيَانَ فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ ، فَدَعَا بِبِقْلَةٍ وَبَدْرَةَ وَبَدْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ^(٣) وَأَمَرَ
الْخَادِمَ بِمَحْمَلِهَا ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَبْكِي حَتَّى أَتَى بَابَ الْفَضِيلِ ، فَحَرَّرَهُ سَفْيَانَ ، فَاسْتَأْذَنَ
فَأَذِنَتْ لَهُ الْخَادِمُ بِالْدُخُولِ ، فَقَالَ لَهَا : « يَدْخُلُ مِنْ مَعِيَ ؟ » قَالَتْ : « نَعَمْ » فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا ،
ثُمَّ قَالَ سَفْيَانَ : « هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَاءَ عَائِدًا إِلَيْكَ ، فَاسْتَوَى الْفَضِيلَ

(١) سورة النساء : ٥٦

(٢) أخرجه ابن كثير في التفسير ٤/١٠٤ عن ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن علي بن محمد المنافسي
عن حسين الجعفي ، عن فضيل ، به

(٣) قال في القاموس ١/١٦٩ والبدرية جلد السخلة والجمع بدور وبدروكيس فيه ألف أو عشرة
آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار

جاءت هارون يده إليه ، وسأله عن أحواله ، وقال له : « عِظْنِي بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، . »

فقال له الفضيل : « يَا حَسَنَ الْوَجْهِ أَنْتَ الْمَسْئُولُ عَنْ هَذِهِ الرَّعِيَةِ غَدًا ، . »

وكرر ذلك عليه ثلاث مرات : فبكى هارون حتى مسح دمه بطرف ثوبه ، ثم قال له هارون : « هَذَا شَيْءٌ أَتَيْتَكَ بِهِ ، فَاسْتَعِنْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ وَعِيَالِكَ ، . »

فقال له الفضيل : « أَنَا غَنِيٌّ عَنْهُ » فكرر ذلك عليه فأبى . فقال له : « فَرِّقْهُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِكَ ، . »

فقال له : « إِنِّي رَجُلٌ ضَعِيفٌ لَا أُسْتَطِيعُ ، . »

فرجع بها هارون معه ، ولم يأخذ الفضيل منها شيئاً !

* * *

وروى عنه أنه قال : ذُكِرَ لِي رَجُلٌ بِحُرِّ أَسَانٍ وَتَيْتُهُ فَأَصَبْتُهُ بِالْمَسْجِدِ يَحْدُثُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِي : « مِنْ أَيْنَ الرَّجُلُ ، ؟ قُلْتُ : « مِنْ الْمَغْرِبِ » ، قَالَ لِي : « مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ ؟ قُلْتُ : « مِنْ الْقَيْرَوَانِ » : قَالَ لِي : « مَنْ لَقِيتَ ؟ قُلْتُ : « الْفَضِيلَ بْنِ عِيَاضٍ ، وَوَكَيْعًا ، وَأَبَا مَعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ » فَقَالَ لِي : « مَا أَظُنُّ أَنَّكَ تَرِيدُ بِهَذَا : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، أَمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَجْعَلَ أَحَدَهُمْ لَدِينَكَ ؟ وَلَكِنَّكَ

تريد أن تقدم بلدك فتقول: لقيت فلاناً وفلاناً والله لا أسمعك إلا ثلاثة أحاديث! .

فأخذت كتبه فانتخبتُ منها ثلاثة أحاديث رَوَيْتِها، ثم خرجت من الغد إلى جرير بن عبد الحميد الضبيّ - وهذا لشفاقٌ من الرجلِ عَلَى موسى خيفة أن تؤدِّيَه رغبته في كثرة الرواية إلى أن يروى عن الضعيف والمتروك ، كما قال مالك رحمه الله تعالى لو لَدَى أخيه - وهما: أبو بكر وإسماعيل - لما رأى حرصهما عَلَى كثرة الرواية : « إن أردتما أن ينفعكما الله عز وجلّ فأقلّا منها وتنفقا » .

قال محمد بنُ وضّاح : خرج علينا موسى بن معاوية يوماً وقد احمرّ وجهه ، فسألناه ، فقال : « جيرانٌ لي آذوني وقد أخبرني أبو معاوية عن الأعمش عن خيشمة أنه قال ، إن لي جيراناً ما لم عندي دينارٌ ولا درهم ، ولا سألوني حاجةً إلا قضيتها ، ولأنا أبغضُ لأبيهم من الكلب الأسود إلى أهله .

قلت ولم يا أبا عبد الرحمن ؟

قال : لأنه لا يجب مناققٌ مؤمناً أبداً ! .

* * *

وسأله زيادةُ الله مع رسول له عن عمودٍ في مسجدٍ خربَ بالساحل أراد تحويله إلى المسجد الجامع ، يجعله مع صاحب له ؟ فأفتاه بأنه لا يجوز !

* * *

﴿ قال ﴾ : وتوفى يوم الاثنين الخامس من ذى القعدة سنة خمسٍ وعشرين

ومائتين ، وله من العمر خمس وستون سنة .

وكان بينه وبين سحنون في المولد ليلة واحدة . انتهى .

ومنهم :

٩٣ ● (أبو محمد : عبد الله بن أبي حسان اليحصبي)^(١)

واسم أبي حسان : عبدالرحمن بن يزيد الفقيه .

(قول) : سمع من مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم .

وكان له علم وفصاحة ، مقدّم في شيوخ إفريقية ، ثقة ، وكان أعلم الناس بالتاريخ ، وله إشار ، وكان سفيان بن عيينة يُقبل عليه إذا أتاه ، ويحبّه جدا ، وكان سحنون يقول : كنت في أوّل طلبى إذا أغلقت على مسألة مضيت إلى ابن أبي حسان فأعلمته بذلك فكان بيده مفتاح لكل ما استأق .

(قلت) : في ثناء الشيخ عليه بئر لقول غيره : « كان مقدماً حاضراً الحجة ،

(١) ترجم له أبو العرب في طبقاته ص ١٥٥ و ١٧٠ - ١٧١ وعياض في المدارك ٢/ ٤٨٠ - ٤٨٥

وابن فرحون في الديباج ص ١١١ والمالكي في رياض النفوس ١٩٩

تويماً على المناظرة، ذاباً على السنة، قائل الهيبة للملوك في حقِّ بقوله،
وقال ابن وهب: « ما رأيت مالكا أميلَ منه لى أحد كميله إلى ابن
أبى حسان » .

ولما وصل إلى مالك أتاها معه بكتاب ابن غانم ودفعه إليه، فقال: عاد حتماً إلى
القضاء؟ قلت: نعم! قال: ما ذاك بخير له؟! ثم قرأ الكتاب فالتفت إلى القوم
فقال لهم: هذا كتاب ابن غانم أتاني به هذا يخبرني عن حاله في بلده وقدره،
وقد قال رسول الله ﷺ تسليماً: « إذا أتاكم عميد قوم فأكرموا^(١) »، فقامت
من بين يديه، فأوماً لى رجل فجلست .

وقال عيسى بن مسكين: كان ابن/ أبى حسان يعطى الرجل ثلاثة دراهم، يأخذ ٢ : ٢١
له مجلساً يجلس فيه بالقرب من مجلس مالك، فإذا جاء ابنُ أبى حسان قام ذلك
الرجل وجلس ابن أبى حسان في موضعه، فسكان يروى عن مالك غرائب لا تكاد
أن توجد عند غيره .

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن: كتاب الأدب: باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا
١٢٢٣/٤ من طريق محمد بن الصباح، عن محمد بن مسلمة، عن ابن عجلان، عن زافع، عن ابن
عمر، قال: قال رسول الله ﷺ تسليماً: « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا » .
وعلق صاحب الزوائد على هذه الرواية فقال: في إسناده محمد بن مسلمة وهو ضعيف
وأورد الذهبي الحديث عنه عند ترجمته له في الميزان ١٥٨/٢ وذكر قول ابن معين في شأن
سعيد: إنه ليس بشيء، وقول البخارى: ضعيف وقول ابن عدى: أرجو أنه لا يترك .
وترجم له ابن حجر في التهذيب ٨٢/٤ - ٨٤ وذكر أيضاً قول البخارى فيه: منكر الحديث
فيه نظر وقول النسائى: ضعيف وقول الدارقطنى: ضعيف يعتبر به، وقول ابن حبان: يخطئ .
فاحش الخطاء منكر الحديث. جدا وقول الساجى: صدوق منكر الحديث

وروى عنه أنه سمعه يقول : إن أهل الذهن والذكاء والعقل من أهل الأمصار
ثلاثة : المدينة ، ثم الكوفة ، ثم القيروان .

﴿قال﴾ ومن روايته عن عبد الرحمن بن أنعم عن أنى عبد الرحمن الحبلى قال :
كان عبد الله بن عمرو جالساً فقال : ألا أعلمكم كلماتٍ كان رسول الله ﷺ تسليماً
يعلمهن أبا بكرٍ يقولهن حين يريد أن ينام ؟ قلنا بلى ! فأخرج إلينا قرطاساً فيه
« بسم الله فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه
أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ،
والملائكة يشهدون ، إنى أعوذ بك من الشيطان وشره ، وأعوذ بك أن
أقترب على نفسى سوءاً أو أُجره على سُلم » . (١) .

ومن إثاره : أنه أتى إليه رجل من أصحابه على إثر نوءٍ عظيم ، وأمطارٍ وابلية ،
تساقط منها أكثرُ دورِ القيروان ، فسلمَّ عليه ، ثم أخبره بما أنهدم من داره ،

(١) أخرجه أحمد في المسند ١١ / ٨٤-٨٥ «المعارف» بإسناد صحيح من طريق محمد بن
زياد الألهاني ، عن أبي راشد البراني ، قال : أتيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فألقى بين
يدي صحيفة فقال : هذا ما كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظرت فيها ، فإذا فيها :
أت أبا بكر الصديق قال : يا رسول الله عدنى ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض ... الحديث بنحوه .

وأخرجه الترمذى في كتاب الدعوات من هذا الوجه ٥ / ٥٤٢ وقال حديث
حسن غريب .

وأورده ابن كثير في التفسير ٤ / ٥٦ عن أحمد ومن طريق ابن لهيعة ، عن حبي بن
عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن قال : أخرج لنا عبد الله بن عمرو قرطاساً وقال : كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول : اللهم فاطر السموات والأرض ... الحديث بنص ما هنا .

وَشَاوَرَهُ فِي بِنْيَانِهِ ، وَقَالَ : « مَنْ تَرَى يَتَوَلَّى بِنْيَانِي ؟ » فَأَمَرَ بَعْضَ غُلَامَانِهِ فَأَتَاهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا فِي صِرَّةٍ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ : « اسْتَعْنِ بِهَا فِي مَرَمَّتِكَ وَبِنْيَانِكَ » : فَلَمَّا مَضَى قَالَ لَهُ بَعْضُ أَوْلَادِهِ : « رَجُلٌ أَنَاكَ يَشَاوِرُكَ فِي بِنْيَانِهِ وَمَرَمَّتِهِ ، دَفَعْتَ إِلَيْهِ خَمْسِينَ دِينَارًا ؟ » فَقَالَ : « يَا بَنِي لَسْتُ بِبِنْيَانٍ ، وَلَا صَاحِبَ مَرْمَةٍ وَإِنَّمَا تَعْرُضُ لِمَشُورَتِنَا . لِمَعْرُوفِنَا .

* * *

﴿ قُلْتُ ﴾ قَالَ ابْنُ أَبِي حَسَّانٍ : دَخَلْتُ عَلَى زِيَادَةَ اللَّهِ وَهُوَ جَالِسٌ ، وَعِنْدَهُ أُسْدُ ابْنِ الْفَرَاتِ ، وَأَبُو مُحَرَّرِ قَاضِيَاهُ ، وَهُمَا يَتَنَاظَرَانِ فِي النَّبِيذِ الْمُسْكِرِ ، وَأَبُو مُحَرَّرٍ يَذْهَبُ إِلَى تَحْرِيمِهِ ، وَأُسْدٌ يَذْهَبُ إِلَى تَحْلِيلِهِ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ قَالَ لِي زِيَادَةُ اللَّهِ : « مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ » فَقُلْتُ لَهُ : « قَدْ عَلِمْتَ سَوْءَ رَأْيِي فِيهِ وَقَاضِيَانِ يَتَنَاظَرَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ » : فَقَالَ لِي : « نَاطِرُنِي وَدَعْمَاهُ » ، ثُمَّ قَالَ لهُمَا : « اسْكُتَا » فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! كَمْ دِيَّةَ الْعَقْلِ ؟ » فَقَالَ : « وَمَاذَا مَأْمَنَ فِيهِ ؟ » فَقُلْتُ : « جَوَابِكُمْ يَنْبَشُكُمْ سُؤَالِي » : فَقَالَ : « دِيَّةَ الْعَقْلِ أَنْفُ دِينَارٍ » ؛ فَقُلْتُ : « أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ يَعْمَدُ الرَّجُلُ إِلَى مَا فِيهِ أَنْفُ دِينَارٍ فَيُبِيعُهُ بِزَجِيجَةٍ ^(١) تَسْوِي نِصْفَ دَرَاهِمٍ ؟ » فَقَالَ لِي : « يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ يَذْهَبُ وَيَعُودُ » ، قُلْتُ : « بَعْدَ مَاذَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؟ بَعْدَ إِنْ قَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ ، وَكَشَفَ سَوْءَاتَهُ ، وَقَتَلَ هَذَا

(١) فِي ت : « بَدَكِيَّة » . وَابْنُ اثْبَتَانَاهُ مُوَافِقٌ لِي فِي الطَّبَقَاتِ .

وضرب هذا ؟ ، فقال لى : « صدقت والله ، صدقت والله ؛ صدقت والله ! » .

﴿قال﴾ : توفى عبدالله بن أبى حسان سنة ست وعشرين ومائتين وهو ابن سبع وثمانين سنة ودفن بباب نافع .

ومنهم :

● ٩٤ ﴿ أبو الحجاج : رباح بن ثابت الأزدي (١) ﴾

﴿قال﴾ كان من العبّاد المجتهدين ، والعلماء العاملين .

٢٢ : ٢ سمع من مالك بن أنس ، وابن / لهيعة ، وابن أبى ذئب ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وعبد بن عبد الصمد .

فن روايته عن أبى معمر : عباد بن عبد الصمد ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ تسليما أنه قال : « بن (١) قال بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، عَشْرَ مَرَّةٍ بَرِيءٌ - أَوْ خَرَجَ - مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَعُوفَى مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ بَلَاءٍ ، مِنْ الْجُدَامِ وَالْبَرَصِ » .

(١) هذا حديث منكر ، تراويه عباد بن عبد الصمد منكر الحديث كما قال البخارى

وواهى الرواية كما قال ابن حبان ؛ وضيع جدا كما قال ابن أبى حاتم .

راجع ترجمته فى الميزان ٢ / ٣٦٩ .

واللريح ، وَيَبِعثُ اللهُ له سبعين ألف ملك يستغفرون له بالليل والنهار وهي رُقِيَّة من تسعة وتسعين داءً .

وكان رباح يقول : اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك طعمًا في جنتك فاحرمنيها ، وإن كنت تعلم ، أني أعبدك خوفًا من نارك فعذبني بها ، وإن كنت تعلم أني أعبدك حُبًّا لك ، وشوقًا إلى وجهك الكريم فامنحنيهِ مرَّةً واصنع بي ما شئت .

وكان حَلَف أن لا ينام مضطجعاً ، ولا يضحك أبداً ، ولا يأكل سمينا :
فما رُئي مضطجعاً ولا ضاحكاً ولا آكلاً سميناً حتى مات .

وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وصلى عليه سَحَنون .

ومنهم :

● ٩٥ ﴿ أبو زكرياء : يحيى بن سليمان

الفارسي الحفري ^(١) -

﴿قال﴾ وإنما سمي الحفري لأن داره كانت على حفرة درب أم أيوب بسوق الأحمدين القيروان .

وكان ثقةً ، وكان عالماً بالفرائض والحساب ، فطلب لخدمة السلطان

لأجل علمه بالحساب ، فهرب إلى المشرق فلقى يونسَ بن يزيد ، ثم خرج
مرةً أخرى فلقى سفيانَ بن عُيينة ، والفضيلَ بن عياض ، وغيرَهما ، وسمع
بإفريقية من عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وعبد الملك بن أبي كريمة ،
وغيرها وسمع منه يحيى بن عمر وبشرٌ كثيرٌ من أهل القيروان ، من أصحاب
سحنون وغيرهم .

ولد سنة أربع وثلاثين ومائة ، وتوفي سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ودفن
بجانب سلم بجوار قبر البهلول .

ومنهم :

● ٩٦ ﴿ عباس بن عبد الله الضير (١) ﴾

كان من أهل الفضل والعبادة كثيرَ الحزن والبكاء .

﴿قال﴾ : قال جبلة ابن حمود ، عن عون بن يوسف : كان عباس مستجاباً ،
وكان ينادى إذا جنَّ الليل : ليت شعري إلى متى تحبني ؟ أنت تعلم أني لا أريد
من الدارين غيرك فعبّل برحمتي .

وكان يُحبي الليل فإذا أصبح يقول : يا بن آدم لا أحد أبرّ منه بمخلقه ،
ولا أعلمُ بالدينا وضررها من خَلقها فكان برّهُ بمخلقه : أن أراد لهم ما يبيق

قال تعالى : ﴿ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (١) ﴿ إلى لا طفت
العصاة كأن بك الحاجة إليهم ! وقد طال صبري عنك ولا بد لي منك ، ثم
يندفع في النياحة .

وروى جبلة بن حَمَّود ، عن عون بن يوسف ، عن عباس الضرير - وكان
أعمى - قال : أهديت إلى امرأة وأنا ضرير فسألتُ الله تعالى أن يرينيها ،
فكشف لي عن بصري فرأيتها ، ثم عاد إلى العمى .

وقال عباس : كان لي جارٌّ من الجنَّ أسمعُه بالليل إذا قُتُّ إلى وِردِي :
يَفْتَحُ سورةَ الرِّدِّ حتى يَأْتِيَ على آخرها .

توفي عباس سنة لمحدى وثلاثين ومائتين .

ومنهم :

● ٩٧ ﴿ زُرَّارَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ ﴾ (٢)

﴿ قال ﴾ : صحب مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن فروخ .
وكان ثقة .

وقال : « كنت جالساً عند مالك فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله إن لي

(١) سورة الأنفال : ٦٧

(٢) ترجم له أبو العرب في الطبقات ص ١٥٨ ، والمالكي في الرياض ١ / ١٩٧ و ذكره

عياض في معجم رواة مالك بالمدارك ١ / ٢٦٢

أبا ييلاد السودان وَلِيَّ أُمِّ أَنَا مَعَهَا ، فَأَبِي يَكْتُبُ لِي بِالنَّهْوِصِ إِلَيْهِ وَأُمِّي تَنْهَانِي
عَنِ الْخُرُوجِ ! فَقَالَ لَهُ مَالِكُ : « أَطْعَمَ أَبَاكَ وَلَا تَمْسُ أُمَّكَ » قَالَ لَهُ « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
فَمَا تَرَى ؟ » فَانْتَهَرَهُ مَالِكُ وَقَالَ : « أَتُرِيدُ أَنْ أَمْرَكَ أَنْ تَعَصِيَهُمَا جَمِيعًا ؟ » قَالَ :
« ثُمَّ سَأَلْتُ الْإِيْثَ بْنَ سَعْدٍ فَقَالَ : أَطْعَمَ أُمَّكَ ؛ فَإِنَّ الْبِرَّ لَهَا » ثَلَاثًا ، وَسَأَلْتُ
حَمَادًا فَقَالَ لِي مِثْلَ قَوْلِ الْإِيْثِ .

وَرَوَى عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسْجِدِ بِالْقُرْآنِ ؟
فَكَرَهُ .

وتوفى زُرَّارَةُ بن عبد الله سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

ومنهـم :

● ٩٨ ﴿ أبو عمرو البهلول بن عمرو بن صالح

ابن عبيدة التجيبي ﴾^(١)

كان من العلماء المجتهدين العاملين ، عالماً بالفقهِ ، راوياً للحديث ، ثقةً
مأموناً .

﴿ قال ﴾ روى عن مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وابن لهيعة ، وغياث
ابن إبراهيم . وكان يقول :

(١) ترجم له أبو العرب في الطبقات ص ١٧٥ ، والمالسكي في الرياض ١/١٩٦ - ١٩٧
وقيسا : البهلول بن عمرو .

ما رأيت أزعج بآية - من كتاب الله عز وجل - من مالك بن أنس !!

وما رأيت أحداً أعظم قدراً في بلده من الليث بن سعد !!

وما رأيت أحسن سمتاً من البهلول بن راشد !!

وما رأيت أحداً أخشع لله عز وجل من ابن فروخ !!

قال للبهلول بن عبيدة جمعنا زيادة الله بن إبراهيم بن الأظب فشاوَرنا في قاض - وكان فينا ابنُ الصَّادِحِي - فلما حضرت الصلاة قلت لهم : إن قدّمنا أحداً منا منّا رأى هذا السلطان أنه خيرٌنا فيقدمه للقضاء ؟ ولكن قدّموا موسى بن معاوية^(١) الصَّادِحِي . فإنه ليس له في هذا الأمر نصيب - لأنه مكفوفُ البصر - قدّمناه فضليّ بنا .

﴿ قلت ﴾ : قال أبو بكر المالكى : وعن أبي داود العطار صاحب سحنون قال : سمعتُ البهلول بن عبيدة يقول : كنتُ جالساً عند مالك فأتى برجل ملتبس فقالوا لمالك : الأمير يقرئك السلام ويقول لك « هذا رجل خنق رجلاً قتله » ! فقال مالك : « اخنقوه كما خنق حتى يموت ! » فمضوا به فتغير وجه مالك ، وعلمته صُفرة ، وتشوَّف إلى الزقاق ، حتى مرَّ رجل ، فسأله : « ما فعلوا بالرجل ؟ » فقال : « خنقوه حتى مات » ، فرأيت الدّمَ يرجع إلى وجه مالك ! فقال له ابن كنانة : « ما الذى رابك^(٢) يا أبا عبد الله ؟ » فقال : « وما ظننتم ؟ أظننتم

(١) في ت : عمران

(٢) في ت : أرى بك

أني ندمتُ في الفُتْيَا؟ قالوا: «نعم»، فقَالَ: «لا (١) ولكن تغيَرتُ خوفاً (٢) أن يبطل حكم من أحكام الله عز وجل، فلما نفذ حكم الله في الفاعل أزال عني (٣) ما كنت فيه.» .

﴿ قال ﴾ : وتوفى البهلول بن عبيدة سنة أربع وثلاثين ومائتين، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ومنهم :

٩٩ ● أبو زكرياء : يحيى بن الحكم اللخمي (٤)

هكذا قال وتبعه العواني . وقال المالكي : « أبو يحيى زكرياء بن الحكم . هكذا هو الصحيح . يدل عليه ما يأتي (٥) .

﴿ قال ﴾ : قال أبو العرب : كان ثقة مأموناً . ذكر سليمان بن عمران القاضي أن زيادة الله بن إبراهيم كان جالساً وعنده أسد بن القرات ، وأبو مُحَرِّز ، وزكرياء

(١) سقطت من ت

(٢) ليست في ت

(٣) في ت : أزال

(٤) ترجمته في الطبقات لأبي العرب ص ١٦٩ ؛ والرياض ١/١٦١ .

(٥) من قوله : وزكرياء بن محمد بن الحكم . وهذا هو ما مضى عليه أبو العرب والمالكي وقد اشتهر زكرياء بن محمد بن الحكم بابن الحكم وهذا يفسر ما عنوت به المالكي في الترجمة له بقوله : أبو يحيى زكرياء بن الحكم وقد سقط من المطبوع لفظ يحيى بدليل ما ذكره الدباغ في صدر الترجمة . وفي ت : « قال المالكي : أبو زكرياء : يحيى بن الحكم » والصواب ما ذكرناه .

ابن محمد (١) بن الحكم . فأتى زيادة الله بحراب فيه مال فقرَّغ بين يديه فإذا فيه خلائلٌ وأسورةٌ من حُلِيِّ النساء ، ودنانير ودرام ، فأعطى منه لمن حضر مجلسه فأخذوا غيرَ زكرياء فإنه لم يأخذ منه شيئاً ، ثم قام وانصرف ، فلما ولى جعل زيادة الله ينظر إليه وهو يقول : لله درك يا ابن الحكم !

﴿ قلت ﴾ : في نقله بئر لكون سليمان بن عمران ذكر أنه حضر مع الثلاثة يحيى بن سلام (٢) واعترضه ابن الأجدابي (٣) وقال : حضور يحيى في هذا المجلس لا يصح . لأنه مات سنة إحدى ومائتين ، وولّى زيادة الله سنة إحدى ومائتين ، فكان حقه أن يذكر الحكاية على ما هي عليه ، ويذكر الاعتراض المذكور كما فعل غيره (٤) .

ومنهم :

١٠٠ ● يزيد بن محمد الجمحي (٥)

﴿ قال ﴾ قال أبو العرب : كان ثقةً قديم السن كثير الحديث . لقي مالك

(١) في ت : « وأبو محرز وذكر علي بن أحمد بن الحكم فأتى زيادة الله » وفيها تحريف واضح .

(٢) في ت : « الفلام » وفي الرياض : « السلام » والتصويب من الطبقات

(٣) مؤرخ قبرواني فأتى ترجمته في الجزء الثالث

(٤) يعني بذلك المالكي فقد ذكر الخبر أولاً وفيه : كان زيادة الله جالسا وعنده يحيى

بن السلام وأسد : الخ ثم عقب بالاعتراض المذكور

(٥) ترجمته في طبقات أبي العرب ١٦٨ ، والرياض ١/١٦٢ .

ابن أنس ، وإبراهيم بن طلحة^(١) المدني ، وسمع من أبي بكر بن عياش^(٢) وجماعة

(١) هكذا في الأصول وصوابه كما في مصادر الترجمة « إبراهيم بن محمد » وهو لإبراهيم بن أبي يحيى الأسدي أبو اسحاق المدني

روى عن الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري ومحمد بن المنكدر وغيرهم ، وروى عنه إبراهيم بن طهمان والثوري وابن جريج وغيرهم . قال يحيى بن سعيد القطان : سألت مالكا عنه : أكان ثقة ؟ قال : لا ولا ثقة في دينه . وقال عبد الله بن أحمد : عن أبيه كان قدريا معتزلا يجهل كل بلاه فيه ؛ وقال أبو طالب عن أحمد : لا يكتب حديثه ؛ كان يروى أحاديث منكورة لا أصل لها ؛ وكانت يأخذ أحاديث الناس يضمنها في كتبه وكان علي ابن المدني ويحيى ابن سعيد وعامة فقهاء المدينة يرمونه بالكذب

وكان الشافعي ينفي عنه تهمة الكذب ويروى عنه ويقول : لأن يخر إبراهيم من بعد أحب إليه من أن يكذب ، وكان ثقة في الحديث .

وقال ابن حبان : كان يرى القدر ويذهب الى كلام جهم ؛ ويكذب في الحديث إلى أن قال : وأما الشافعي فانه كان يجالس إبراهيم في حديثه ويحفظ عنه ؛ فلما دخل مصر في آخر عمره وأخذ يصف الكذب احتاج إلى الأخبار ؛ ولم تكن كتبه معه ؛ فأكثر ما أودع الكتب من حفظه وربما كفى عن اسمه اه

وكان البزار واسحاق بن زاهويه وغيرهما يستغربون من الشافعي روايته عنه

راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ١/١٥٨ - ١٦١ ؛ وميزان الاعتدال ١/٥٧ - ٦١

(٢) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحنطلي المقرئ واختلف في تسميته والصحيح أن اسمه كنيته

روى عن أبيه وأبي اسحاق السبيعي وأبي حصين : عثمان بن طهم ، وعبد الملك بن عمير وغيرهم . روى عنه الثوري وابن المبارك وأبو داود الطيالسي وابن مدين وابن حنبل وابن المدني وغيرهم

كأن من العباد الحفاظ المتقين ثم لا كبير كان بهم ومن هنا كان الاختلاف في توثيقه

راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ١٢/٣٤ - ٣٧ ؛ وميزان الاعتدال ٤/٤٩٩ - ٥٠٣ وذكر القمى أنه أحد الأئمة الاعلام ؛ صدوق ثبت في القراءة لكنه في الحديث يغلط ويهم ؛ قد أخرج له البخاري ؛ وهو صالح الحديث لكنه ضعفه محمد بن عبد الله بن عمير . كما ذكر أن وفاته كانت سنة ثلاث وسبعمائة ، قوله سبع وتسعون سنة

من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام .

سمع منه موسى بن معاوية الصمادحى . وركب البحر من إفريقية يريد غزوة المصيصة (١) فخرج عليهم عدو (٢) صقلية فاستشهد رحمه الله تعالى .

ومن روايته عن أبي الوليد ، عن مسلم بن زياد ، قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ تسليما : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : اللَّهُمَّ إِنَّا أَصْبَحْنَا نَشْهُدُكَ وَنُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنْكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ النَّارِ ، فَإِنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ ، فَإِنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ النَّارِ (٣) » .

(١) كذا بالأصول ولا يستقيم ؛ لأن المصيصة حيث كانت دار إسلام ، وليست تقرا ولا جزيرة حتى يركب إليها البحر والظاهران المراد ؛ سقاية وهي الجزيرة المعروفة بالبحر الأبيض المتوسط ، ولم يكن بينهم وبين المسلمين هدنة حيث ؛ وأحل في العبارة تعريفا

وكانت وفاة يزيد سنة اثنتي عشرة ومائين كما في الطبقات (٢) في ت : « غزو »

(٣) أخرجه أبو داود في السنن : كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح ٦١٢/٢ وأورده ابن القيم في زاد المعاد ١٦/٢ وذكر أنه حديث حسن

وقد جاءت رواية أبي داود بهذا اللفظ لكن من وجه آخر عن أنس ، وقد أخرجه الترمذى الحديث في كتاب الدعوات : باب ٧٩ من طريق أبي الوليد ، عن مسلم بن زياد ، عن أنس وهو الطريق الذي روى ابن الدباغ الحديث عنه . غير أن رواية الترمذى مختلفة في آخره . . . وأن محمداً عبداً ورسولك إلا غفر له ما أصاب في يومه ذلك ، وإن قالها حين يعسى غفر الله له ما أصاب في تلك الليلة من ذنب ثم قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

ومنهم :

١٠١ ● ﴿ أبو محمد: عون بن يوسف الخزاعي ^(١) ﴾

﴿قال﴾ : سمع بأفريقيه : من البهلول بن راشد ، وعبد الله بن عمرو بن غانم
وبمصر : من ابن وهب ، ومن المفضل بن فضالة .

﴿قلت﴾ : في كلامه بتر زيادة غيره بعد ابن غانم وغيرها .

﴿قال﴾ : وكان فقيها صالحا زاهدا مأمونا .

﴿قلت﴾ : « في كلامه بتر لقول غيره وكان محدثا » .

﴿قال﴾ : حدث عنه ابنه يحيى أنه قال : « قدمت المدينة سنة ثمانين ومائة

٢٥ : ٢ فأدركت فيها أربعين رجلا من / معلى ابن وهب » .

قال أبو العباس بن طالب : « وكان عونٌ يقول : لا يبالي من لقي الله

على الإسلام والسنة على أي جنب لقي الله » ، فقال له ولده يحيى : « وإن كثرت

ذنوبه ؟ فقال : « نعم » فاستعظمت ذلك ، وتعجبت منه فقال : « أيما أكثر :

ذنوب الخلائق أو رحمة الله التي وسعت كل شيء » !

(١) ترجمته في طبقات أبي العرب ١٨٨ - ١٩٠ ، والرياض ١ / ٢٩٧ - ٢٩٩

وزار عَوْنٌ مبتلى فقال له عون : « وهب الله لك العافية » ، فقال المبتلى :
« لا تفعل يا أبا محمد ، إني إذا أصبتُ العافية سكنتُ عُروقي وجوارحي فلم
أناج ربي ، وإذا ضُربتُ على عُروقي نأجيت ربي عز وجل ، ؟! » .

وكان عونٌ يبيع الكَتَّانَ ، وكانت له حبة من شعير إذا أعطى جعلها مع
المتاعيل ، وإذا أخذ جعلها مع الدراهم فكان يعطي نزأد حبة ويأخذ
بنقصان حبة ! .

﴿قلت﴾ أراد بالمتاعيل : الأواق والأرطال التي يزن بها ، فإذا باع زاد
الحبة معها ليعطى المشتري زيادة وزنها ، وإذا أخذ الدراهم في الصنجة كما هو
في البلاد اليوم جعلها مع الدراهم .

وفي كلام الشيخ إجمال لأن مطالع كلامه يتوهم أنه كان يبيع الكَتَّانَ
في كبره ، وليس كذلك ، وإنما كان قبلُ .

هكذا نقل المالكي عن أبي العرب ، وهذا هو اللائق بمنصبه ومنصب
أمثاله يصنعون هذا وأمثاله في المبادئ ثم ينتقل حلهم ، ويكبر
شأنهم (١) .

(١) كيف يستقيم هذا القول ؟ أو يتعم عمل كهذا من أقدار ذوى المكانة في العلم ،
والمثالة بين القوم ؟ أو لم يكن سلمان الفارسي خواماً في مبدأ أمره ثم ظل على حرفته يمارسها
حتى بعد أن عينه عمر أميراً على المدائن ؟
لقد ذكر ابن وهب وابن نافع ، عن مالك قال : كان سلمان يعمل الخوص بيده ، فيعيش
منه ، ولا يقبل من أحد شيئاً .

﴿قال﴾ وقال عون : حضرت ابن وَهَب - وأتاه رجل بكتابه في تليس (١) فقال له : « يا أبا محمد هذه كتبك » ، فقال له ابن وَهَب : « صححت وقابلت ؟ » فقال : « نعم » ، قال : « اذهب فحدث بها عنى فقد أجزتها لك » ، ثم : حضرت مالسا فقال مثل هذا .

وروى أبو عبد الله : محمد بن سعدون عن أبي بكر بن عبد الرحمن الفقيه قال : « أتت امرأة من العابدات يقال لها مونسمة السوحية إلى عون بن يوسف - وهي تبكى - فقال لها : « مالك يا ابنة أختي ؟ » ، قالت : إني رأيت البارحة في منامى كأنى أذخلت الجنة ، فبينما أنا أمشي بين أشجارها وأنهارها إذ سمعتُ جلبةً شديدة ، فأقبل مركباً من الوصفان والوصايف والخدم مالا أقدر أحصيه ومعهم خمسة عشر من الخيل بُسروجها مكلّلة بأصناف الجواهر مالا أفدر أن أصفه ، فقلت : « لمن هذا ؟ » ، فقالوا : « لعون بن يوسف » ، ثم أقبلت أمشى فإذا يجلبةٍ أخرى مثل الأولى ومعهم ثلاثة من الخيل على مثل حال الأولى : فقلت : « لمن هذا ؟ » فقالوا : لسيان الشهيد الذى يُقتل

= وذكر معمر عن رجل من أصحابه قال : دخل قوم على سلمان وهو أمير على المدائن ، وهو يعمل هذا الخوص ، فقيل له : لم تعمل هذا وأنت أمير بجري عليك رزق ؟ فقال : لاني أحب أن آكل من عمل يدي ! ؟

راجع الاستيعاب لابن عبد البر ٦٣٥/٢

كما روى ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٧/٢ أن يزيد بن زريع نزه عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه ، فلم يأخذها ، وكان أبوه يلى الأعمال للسلطين ثم قال : وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه إلى أن مات رحمه الله اه .

(١) التليس .

غدا : قلت : « هذا شهيد إنما له ثلاثة أفراس ولعون خمسة عشر »؟ (١) فقيل
لي فُضِّل عليه بالعلم ! ، فبكى عونٌ بكاءً شديداً وقال لها : والله يا ابنة أخي
لو أصبحتُ أملكُ درهماً لتقربت به إلى الله تعالى شُكراً لهذه الرؤيا .

ثم أقبل بيئكي ويقول : « من أنتَ يا عون ؟ وبأى شيء نلتَ هذا
يا عون ؟ » .

فلما كان المساء لعب قومٌ بالحراب مما يلي بابَ تونس ، فلم يزالوا حتى
اختلف الظلام ، وكان في الخشابين شاب اسمه سليمان مؤذن مسجد ، فخرج يؤذن / ٢ : ٢٦
للصلاة فصادفتهُ تلك الحراب فمات شهيداً رحمه الله تعالى .

﴿قلت﴾ في قوله نظر . فقول ابن عبد الرحمن : فمات شهيداً : غفلة وليس
بشهيد ، وإنما المراد فمات مظلوماً لأن الواجب أن لا يُلعب بالحراب في موضع
يُمرُّ فيه الناس لقضاء حوائجهم لا سيما في الوقت المذكور .

﴿قال﴾ كان مولد عونٍ سنة خمسين ومائة ، وتوفي سنة أربعين ومائتين .

﴿قلت﴾ وقيل : كان مولده سنة أربعين ، وما نقل في وفاته هو نقل ابن
الجزّار وغيره .

(١) في المطبوعة « خمسة »

وقال أبو العرب : كانت وفاته سنة تسع وثلاثين ومائتين قبل وفاة سحنون بنحو العام .

قال العوانى : ومات شهيداً ، وما ذكره لأعرُفه ، لعله التبس عليه ذلك بالرجل المذكور فيه ذلك إذ لم ينقل الحكاية المذكورة .

﴿قال﴾ وصلى عليه سحنون ودفن بباب نافع .

﴿قلت﴾ وكان عون أوصى ابنه يحيى أن يصلى عليه وقال : سحنون بزعم أنى كذاب لم أسمع من ابن وهب وإنما أخذت عنه أجازة .

فلما قدم للصلاة عليه تقدم ابنه يحيى وقال : إنه أوصى أن لا تُصلى عليه ، فضرب رأسه بالسوط وصلى عليه .

وقال ابن وضاح : وكان عون الله خيراً منه وأنتهى الله عز وجل .

ومنهم :

● ١٠٢ ﴿ أبو سعيد : سخنون بن سعيد بن حبيب

التنوخى رحمه الله تعالى (١) ﴾

﴿ قل ﴾ :

واسمه عبدالسلام ، وغلب عليه لقب سخنون .

﴿ قلت ﴾ :

قال عياض (٢) : سمعت بعض مشايخ أهل الحديث يذكر عن بعض شيوخ
لأفريقية أنه سُمِّيَ سَخْنُونًا بِاسْمِ طَائِرِ حديدِ النظر . لِحَدِّثِهِ فِي الْمَسَائِلِ .

وأصله شامى من حمص ، وقدم أبوه سعيد فى جند حمص (٣) .

قال محمد ابنه : قلت له « يا أبت أنحن قبيلة من تنوخ ؟ » فقال لى : « وما

(١) أكبر فقهاء عصره شأنًا ، وواحد هم إمامة وفضلا ، راجع ترجمته فى طبقات
أبى العرب ص ١٨٤ - ١٨٧ والحشنى ص ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ورياض النفوس ١/٢٤٩ - ٢٩٠ ،
وترتيب المدارك ٢/٥٨٥ - ٦٢٦ ، والديباج المذهب ص ١٦٠ - ١٦٠ ، ودول الإسلام
لذهبي ١/١١٣

(٢) فى المدارك : ٢/٥٨٦

(٣) هذا أيضاً من قول عياض فى المدارك ٢/٥٨٥ نقلا عن أبى العرب ١٨٤ .

يُحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ؟ ، فَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَالَ لِي : « نَعَمْ — وَمَا يُغْنِي عَنْكَ ذَلِكَ مِنْ
اللَّهِ شَيْئًا إِنْ لَمْ تَتَّقِهِ . » .

(قَالَ) :

سَمِعَ بِأَفْرِيقِيَّةٍ مِنْ تَلِي بْنِ زِيَادٍ ، وَالْعَبَّاسِ بْنِ أَشْرَسَ وَهُلُولِ بْنِ رَاشِدٍ ،
وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَانِمٍ ، وَمُعاوِيَةَ الصَّادِحِي .

ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ . فَسَمِعَ بِمَعْمَرٍ : مِنْ ابْنِ الْقَاسِمِ ،
وَإِبْنِ وَهْبٍ ، وَأَشْهَبَ ، وَابْنَ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَشَعِيبَ بْنَ اللَّيْثِ ، وَيُوسُفَ
ابْنَ عَمْرِ .

وَسَمِعَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ ، وَمَعْنَى بْنِ عَيْسَى ، وَأَنْسَ بْنَ
عِيَاضٍ ، وَابْنَ الْمَاجِشُونِ ، وَالْخَيْرَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَمُطَرِّفَ ، وَغَيْرِهِمْ .

وَسَمِعَ بِالشَّامِ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، وَأَيُّوبَ بْنَ سُؤَيْدٍ .

وَسَمِعَ بِمَكَّةَ مِنْ سَفِيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، وَوَكَيْعَ بْنَ الْجَرَّاحِ ،
وَحَفْصَ بْنَ غِيَاثٍ ، وَيَزِيدَ بْنَ هَارُونَ ، وَيَحْيَى بْنَ سَلِيمَانَ ، وَأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيَّ ،
وَأَبِي إِسْحَاقَ الْأَزْرَقِ .

وَحَجَّ مَعَ ابْنِ الْقَاسِمِ وَإِبْنَ وَهْبٍ وَأَشْهَبَ فِي مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ — وَكَانَ زَمِيلَ
ابْنَ وَهْبٍ عَلَى رَاحِلَتِهِ — ثُمَّ قَدِمَ إِلَى الْقَيْرَوَانَ سَنَةَ إِجْدَى وَتَسْعِينَ وَمِائَةٍ

فأظهر علم أهل المدينة بالمغرب / وكان أول من أظهره .

﴿ قلت ﴾ :

ماذا كرم من كونه رحل إلى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائة هو نقل أبي العرب^(١)
وابن حارث^(٢) .

وقال ابنه : « خرج إلى مصر أول سنة ثمان وسبعين ومائة ، في حياة مالك ،
ومات مالك وسحنون ابن ثمانية عشر عاما أو تسعة عشر^(٣) ، وكانت رحلته إلى
علي بن زياد بتونس وقت رحلة ابن بكير إلى مالك ، قال سحنون : « كنت
عند ابن القاسم وجوابات مالك ترد عليه ، فقيل لي : ما يمنحك من السماع منه ؟
قال : قلة الدراهم ، وقال مرة أخرى : « لحا^(٤) الله الفقرا ؛ فلولا لأذركت
مالكا ، ١٩ .

قال عياض : فإن صح هذا ؛ فله رحلتان وإلا فما قاله ابنه أصح ؛ فإنه سمع ممن
مات قبل ثمان وثمانين من المدنيين كتابين نافع - توفي سنة ست

(١) في الطبقات ص ١٨٥

(٢) ليس في كتابه المطبوع

(٣) ليست في ت .

(٤) لحاه يلجوه : شتمه . وفي ت : « ألجا الله الفقير » وفيها تصحيف
وتحريف .

ومائتين (١) .

﴿ نالت ﴾ :

وما ذكر من أنه أول من أظهر علم أهل المدينة لا يقال ؛ وفيه نظر ؛ لسبقية عليّ بن زياد بذلك ، والبهلول بن راشد ؛ وغيرهم ؛ لما يذكر بعد .

﴿ قال ﴾ :

ولما ارتحل لعلّي المذكور كتب البهلول بن راشد لعلّي بن زياد : إن سحنون بن سعيد ممن يطلب العلم لله عز وجل ، فكان عليّ يسير إلى منزل سحنون حيث كان نازلاً فيسمعه فيه ، ويقول : إن أخي البهلول كتب إليّ فيه : « إنه (٢) إنما يطلب العلم لله عز وجل » .

(١) هو عبد الله بن نافع بن أبي الصائغ الخزومي مولا لم أبو محمد المدني . روى عن مالك والليث وعبد الله بن عمر العمري وعبد الله بن نافع مولى ابن عمر وغيرهم . روى عنه قنينة ، وابن نمير ، وأحمد بن صالح المصري ، والزيبر بن بكار ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم . قال أحمد بن حنبل : لم يكن صاحب حديث ؛ كان ضعيفاً ، وقال ابن سعد : كان قد لزم مالكا لزوماً شديداً ، وكان لا يقدم عليه أحداً ، وقال أبو زرعة : لا بأس به ، وقال أبو حاتم : ليس بالحافظ ؛ هولين في حفظه ، وكتابه أصح . وقال البخاري : في حفظه شيء ، وقال أيضاً : يعرف حفظه وينكر ؛ وكتابه أصح وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : كان صحيح الكتاب وإذا حدث عن حفظه ربما أخطأ ، وقال أحمد : كانت أعلم الناس برأى مالك وحديثه . . . ثم دخله بأخرة شك .

وتاريخ وفاته سنة ست ومائتين هو قول البخاري عن هارون بن محمد وكذا أرخه ابن سعد ، وقال غيره : سنة سبع
وفى المدرك ٥٨٧/٢ ط . ب ستة وثمانين وفيها خطأ واضح نشأ عن تحريف في قوله :
« وثمانين » وصحتها ومائتين ، .

راجع ترجمة ابن نافع في تهذيب التهذيب ٥١/٦ - ٥٢ ، وميزان الاعتدال ٥١٣/٢ -
٥١٤ ؛ والدياج المذهب ص ١٣٣ .
(٢) ليست في ت .

﴿ قلت ﴾ : وذكّر سخّنون له مسائل اختلف فيها . هو والبهلول ، وبسطها لله ، فقال له : « الصّوابُ معك ، واكتبْ له بذلك غني » .

ذكر ثناء العلماء عليه

﴿ قال ﴾ : كان سخّنون قد اجتمعت فيه خصالٌ قلما اجتمعت في غيره ، منها : الفقه البارِع ، والورعُ الصّادق والصّرامة في الحق ، والزهد في الدنيا ، والتّخشّن في الملبس والمطعم ، والسّماحة ، ولا يقبل من أحدٍ شيئاً ، سلطاناً كان أو غيره ، ولا يهاب سلطاناً في حق بقوله ، سالم الصدر للمؤمنين ، شديداً على أهل البدع ، انتشرت إمامته ، وأجمع أهل عصره على تقدّمه وفضله .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره من قوله : « كان سخّنون » إلى قوله : « أو غيره » هو قول محمد بن أحمد بن تميم في كتابه (١) .

وقال أبو بكر المالكي^(٢) : « وكان مع هذا رقيق القلب ، غير الدّمعة ، ظاهر الخشوع ، متواضعاً ، قليل التّصنّع ، كريم الأخلاق ، حسن الأدب » وذكّر ما تقدم من كونه لا يهاب سلطاناً إلى آخر ما ذكر .

وسئل أشهب : « من قدم إليكم من المغرب ؟ » قال : « سخّنون » اقبل

(١) في الطبقات ص ١٨٤ . وقد نقل المالكي في الرياض ٢٤٩/١ عبارة أبي العرب .
فلا يتأماها إلى قوله : « أو غيره » فحسب .

له : « فأسد » ؟ قال : « سحنون والله أفقه منه بنسة وتسعين مرة » .

وقال : أشهب : « ما قدم إلينا من المغرب مثله » .

وقال ابن القاسم لابن راشد : « قل لصاحبك يعني سحنوناً يقعد ، فالعلم أولى به من الجهاد ، وأكثر ثواباً وَيُعْطَى هذه الخليل التي قدم بها لمن هو في مثل حاله ، فما قدم علينا ^(١) من إفريقيا مثل سحنون وابن غانم ، ا

وقال حمديس : « رأيت أبا مصعب بالمدينة وغيره ، وبمصر : أصحاب ابن القاسم ، وبمكة : علماء وعملاً من أهل بغداد . والله ما رأيت فيهم مثل سحنون ، ولا رأيت مثله بعده » .

وقال عمر بن يزيد : « أول ما تعلق مسائل الصلاة / من سحنون ، وإن قلت : إن سحنون أفقه من أصحاب مالك كلهم إني لصادق » . ٢٨ : ٢

قال يونس بن عبد الأعلى : « هو سيد أهل المغرب » ، فقال له حمديس القطان : « أو لم يكن سيد أهل المشرق والمغرب » ؟ قال : « قد كان رجلاً نبيلاً خيراً أفاضلاً من شأنه وشأنه ، فأنى عليه بخير » .

وقال ابن وضاح : « كان سحنون يروى تسعة وعشرين سماعاً ، وما رأيت في الفقه مثل سحنون في المشرق » .

وقال محمد بن حارث ^(٢) : « كانت إفريقية قبل رحلة سحنون قد عمرت

(١) في م : « إلينا »

(٢) بنى الحشني صاحب كتاب طبقات علماء أفريقيا ، ولا وجود لهذا النص في النسخة

بمذهب مالك لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلاً كلهم لقي مالك بن أنس -
وإن كانت الفتيا والفقہ في القليل منهم كما أن ذلك في علماء سائر البلاد - ثم
قدم سحنون بذلك المذهب ، وجمع مع ذلك فضل الدين ، والعقل ، والورع ،
والعفاف ، والانتقباض ، فبارك الله تعالى فيه للمسلمين ؛ فبالت إليه الوجوه ،
وأحبته القلوب ، وصار زمانه كأنه مبتدأ . وقد محاما قبله فكان سراج القيروان ،
وابنه أكرمهم تأليفاً ، وابن عبدوس فقيها ، وابن غاثم عاقلاً ، وجبل بن حمود
زاهداً ، وحديث أصلهم في السنة ، وأغيرهم للبدعة ، وسعيد بن الحداد لسانها
وفصيحتها ، وابن مسكين أرواهم للاكتب والحديث وأشدهم وقاراً وتصاوفاً ، كل
هذه الصفات مقصورة على وقتهم .

وقال محمد بن سحنون : « لما عرّمت على الحج قال لي أبي : يا بني إنك تقدم على
« طرابلس » وفيها رجال مديون ومصريون ، وعلى مكة والمدينة ، فاجتهد^(١)
جهدك ، فإن قدمت على بلفظة خرجت من دماغ مالك بن أنس ليس عند شيخك
أصلها فاعلم أن شيخك كان مفرطاً ! » .

وقال سالم بن سالم في مجالسه : « دخلت مصر ورأيت العلماء فيها متوافرين ،
والمدينة ومكة وبها ثلاثة عشر محراباً ، فما رأيت فيهم مثل سحنون
وابنه بعده » .

التي بين أيدينا — طبعة الجزائر ولا في طبعة القاهرة ، وهي من اختصار أحمد بن محمد
الطلمنكي .

فالظاهر أن هذا النص قد ذهب به الاختصار والكتاب من أهم المصادر في تاريخ تلك
الطبقة المتعاصرة من العلماء .

(١) في ت . « فاجتهد » .

وقال عيسى بن مسكين : د سَحَنون رَاهِبٌ هَذه الأُمَّة ، ولم يكن بين مالك وسَحَنون أَقَّةٌ من سَحَنون .

وقال القاسبي : « يشق على مخالفة مالك وسَحَنون ، ولا أقدِر على مخالفتها ، وأهاب ذلك هيبَةً عظيمة » .

وقال أبو عثمان سعيد بن الحداد : « سألت المتكلمين فما رأيتُ فيهم أصحَّ غريزة من سَحَنون - وكان وقوراً مُهاباً » - .

وقال بعضهم : دخلت على الملوك ، وكلمتهم فما رأيتُ أهيبَ في قلوب من سَحَنون .

وقال عبد الرحمن الزاهد : لما خرج أسدٌ إلى العراق شاورته فيمن أقصد بعده : أسمع منه ؟ قال لى : عليك بهذا الشيخ فما أعرف أحداً يشبهه . وقال غيره : كان كلامه لله ، وصمته لله إذا أعجبه الكلام صمت ، وإذا أعجبه الصمّتُ تكلم .

ذِكْرُ وَلايَتِهِ الْقَضَاءُ وَسِيرَتِهِ فِيهِ

﴿ قال ﴾ : راوده ^(١) الأمير أبو العباس : أحمد بن الأغاب حوَّلاً كاملاً على أن

يوليه القضاء فأبى عليه ، فعزم عليه بالآيمان التي لا تخرج منها ، فلما رأى ذلك سَحَنون

٢٩ : ٢ اشترط على الأمير شروطاً كثيرة فأعطاه كلَّ ما سأل / وأطلق يده في كلِّ

(١) فى ت : « وأداره » .

ما دعاه إليه ، حتى قال له : « إني أبدأ بأهل بيتك وقرابتك وأعوانك فإن قبلكم^(١) ظلمات للناس منذ زمان طويل » ، فقال له الأمير : « نعم ! لا ابتدى إلا بهم ، وأجر الحق على مفرق رأسي » فتولى القضاء بهذه الشروط ، ولمّا رأى أن ليس أحدٌ يستحق هذا الأمرَ ، وأنه لا يسعه إلا القبول ، فتولى القضاء في رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وأقام قاضياً ستة أعوام ، لم يأخذ على ذلك أجراً^(٢) .

﴿ قلت ﴾ : وكان سنه يوم تقديمه أربعاً وسبعين سنة ، ولم يزل قاضياً إلى أن مات .
قال أبو العرب^(٣) : « لما سمع بعزل ابن أبي الجواد قال : اللهم ولّ على هذه الأمة خيرها وأعد لها ، فكان هو الذي ولى بعده .

وذكر عريف السكاتب في تاريخه : أن سحنون مرّ يوماً بابن أبي الجواد فرأى منه ظمأً ، فقال : « اللهم لا تمنني حتى أراه بين يدي قاضى عدل يحكم فيه بالعدل » فعزل ، وولى سحنون .

ولما أراد محمد بن الأغلب أن يولى سحنون جمع الفقهاء للمشورة ، فأشار سحنون بسليمان بن عمران ، وأشار سليمان بسحنون ! وأشار غيرها بسليمان ، فأذخروا فرادى ؛ فقالوا كقولهم الأول ، وذلك أن أكثر الفقهاء إذ ذاك على رأى الكوفيين - وكان سليمان يرى رأيهم .

(١) فى م . « قبلكم » .

(٢) ليست فى م .

(٣) هذه العبارة نقلها المالكي فى الرياض ٢٧٢/١ عن أبى العرب أيضاً ولم نجد لها فى

المطبوع من الطبقات .

وقال سليمان: «ما ظننت أنه يشاورني في سخنون، حججبت فرأيتُ أهل مصر يتمنون أن يكون بين أظهرهم، وما يستحق أحد القضاء وسخنون حتى .
وقال سليمان بن سالم: لما قدم سخنون سار حتى دخل على ابنته خديجة - وكانت من خيار الناس - فقال لها: «اليوم ذُبح أبوك بغير سكين»، فعلم الناس أنه قبل القضاء؛ إذ كان كشيّب الوجه ما يتجرأ أحد على كلامه، لهيئته .
وجاءه عون بن يوسف، فقال له: نهنيك أو نغزيك؟ ثم سكت فقال: «بلغني أنه من أتاه بغير مسألة أعين عليه، ومن أتاه عن مسألة لم يُعَن عليه» .

وكتب إليه عبد الرحيم بن عبدربه الربعي الزاهد: «أما بعد. فإنك كنت تنظر للناس في مصالح أخراهم فصرت تنظر في مصالح دنياهم فأى الحالتين أفضل؟ والسلام» (١).
فسكتب إليه سخنون: أما بعد فإن كتابك جاءني وفهمت ما ذكرت، وإني أجيبك: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أُنِيب، وأما ما ذكرت من أني كنت أنظر للناس في مصالح أخراهم فصرت أنظر في مصالح دنياهم فأعلم أنه لا تصلح للناس أخراهم حتى تصلح لهم دنياهم، آخذُ لضعيفهم من قوتهم، ومن ظالمهم لمظلومهم، وأنا لم أزل مُبتلى يُنفذ قولي منذ أربعين سنة في الفتيا، فأنا منذ أربعين عاماً قاضياً؛ لأن قول المفتي يمضي في

(١) في الرياض ٢٧٤/١: أن عبد الرحيم الزاهد كتب إلى سخنون . «أما بعد، فإني عهدتك وشأن نفسك عليك مهم، تعلم الخير وتؤدب عليه، وأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة تؤدبهم على دنياهم، يذل لك الشريف بين يديك والوضيع، قد اشترك فيك العدو والصديق، ولكل حظه من المدل فأى حالتيك أفضل. الحالة الأولى أم الثانية؟ والسلام» .

أشعار المسلمين وأبشارهم ، ومع هذا فاني قد ابتليت فُقدمت جبراً ، فألزم نفسك بالدعاء لي والسلام^(١) .

وكان لا يحكم في الحسبة وإنما قدّم عليها أمناء ، وأول من نظر فيها هو - إذ كانت قبلُ - للأمرء دون القضاة^(٢) ، وأولُ القضاة / فرق أهل البدع من الجامع ، ٣٠ : ٢ وكانوا فيه حلقة من الصفرية والإباضية والمعتزلة وأدب جماعة منهم لمخالفتهم أمره

(٢) في الرياض بعد قوله : « وإليه أنيب » فأما ما كتبت من أنك عهدتني وشأن نفسي على مهم ، أعلم الخير وأؤدب عليه ، وأصبحت وتدوليت هذه الأمة أؤدبهم على دينهم ، فلعمري إن من لم تصلح له دنياه فسدت له أخراه ، وفي صلاح الدنيا إذا صح الطعام والمشرب صلاح الآخرة فكلا الأمرين متصل بالآخر ، أؤدبهم في معاشهم ، وأدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وأخذهم الأمور من وجوها أدب لآخرتهم ؛ لأن بصلاح دنياهم تصلح لهم آخرتهم ، وبفساد الدنيا تفسد الآخرة ، حدثني ابن وهب ورفع سنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم المطية الدنيا فارتحلوها فإنها تبلغكم الآخرة ، ولن تبلغ الدنيا الآخرة من عمل في الدنيا بغير الواجب من حق الله ، وأما قولك : إني وليت أمر هذه الأمة ، فإني ولم أزل مبتلى ينفذ قولي منذ أربعين سنة في أشعار المسلمين وأبشارهم ؛ حدثني ابن وهب : أت عبيد الله بن أبي جعفر قال : « لن تزالوا بخير ما تعلمتم فإذا احتجج إليكم فانظروا كيف تكونون » قال ابن أبي جعفر : « فرأيت في المنام : إنما المفتي قاض يجوز قوله في أبشار المسلمين وأحوالهم » .

ومع ذلك فاني قد ابتليت فقدمت جبراً فليكن بالدعاء لي والسلام .

(٣) في الرياض ١ / ٢٧٦ : أول ما نظر سجنون في الأسواق وإنما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة ، فنظر فيما يصلح من المعاش ، وما يفسد من السلع ، وكان يجعل الأمناء على ذلك ، ويؤدب على الفس ، وينبئ من الأسواق من يستحق ذلك ، وهو أول من نظر في الحسبة من القضاة ، وأمر بتغيير المنكر « ١ هـ .

وهذه الرواية أوضح في رواية المراد من عبارة المعالم .

وأطافهم ، وأمرهم أن لا يجلسوا في حلقة .

وهو أوَّلُ من جعل في الجامع إماماً يصلي بالناس - إذ كان للأمرء - وأوَّل من جعل الودائع عند الأمناء - وكانت قبل في بيوت القضاة - وكان يجلس في بيت في الجامع بناه لنفسه ؛ إذ رأى كثرة الناس ، وكثرة كلامهم ، فكان لا يحضر عنده غيرُ الخضمين ومن يشهدُ بينهما ، وكانت قضاة المالكية يمحكون فيها بعده ، وإذا وُلِّيَ عراقى هدمها ، وإذا وُلِّيَ مدني بناها .

وأما ما جرى له مع ابن أبي الجواد وضر به له حتى مات فقد ذكرته في كتاب «المديان» فيما وُضعتْه على تهذيب البراذعي ؛ فانظره هناك . وإن كان هذا الموضوع أمسَّ به (١) .

(١) ابن أبي الجواد : هو قاضى إفريقية قبل سحنون ، وقد سبقت رواية ابن الدباغ عن أبي العرب قال : لما سمع سحنون بعزل ابن أبي الجواد قال : اللهم ول على هذه الأمة خيراً واعدلها فكان هو الذى ولى بعده ! اهـ

وفي المندارك ٦٠١/٢ ، والرياض ٢٧٨/١ :

وكان سحنون أيام قضاء ابن أبى الجواد يقول : إن لأمره لآخراً ؛ ولكنى أخشى أئ الوالى بعده لا يحسن أن يقتص منه ؛ فكان هو الوالى بعده .

وخاصم ابن أبى الجواد رجل بين يدي سحنون ، خشم له على ابن الجواد وحجسه ، وقال له : « إن لم تؤد ضربتك بالسوط » ، فقال : « ما عندى مال » فيقال : إنه أخرجه وضر به في جمعة مائة سوط ، وقيل أكثر من ذلك حتى أسال دمه على كعبه فر في طريقه على صباغ فصب عليه تصرية مصاره وقال : اقتلوا الزنديق ، ورد إلى السجن فمات فيه .

وقيل : كان سبب ضربه أنه شهد عليه بقبض وديعة فأنكرها ، فضر به ثمانية عشر سوطاً مجرداً في السماط ، يضر به سبعة بعد سبعة وهو متهد .

وحكى ابن اللباد أن رجلا حلف بالطلاق وهو يختصم مع صاحبه في حائط بينهما ، فأمر سحنون بضربه في قفاه ، وعبر عن هذا شيخنا أبو مَهدي : عيسى بن أحمد الغبريني بأن سحنوناً هو أول من ضرب في القفا بإفريقية .

وليس في الكلام ما يدل عليه .

﴿ قال ﴾ : وحكى عن سعيد بن محمد بن الحداد أنه قال : « كنت يوماً عند سحنون إذ جاءه غلام الأمير : محمد بن الأغلب فسلم على سحنون ، وقال له : يقول لك الأمير : « اردد النسوة على حاتم ، فإنهن إماء له » ، قال سحنون : « فان كن إماء فمثل حاتم لا يؤمن على الفروج » فانصرف الغلام راجعاً ، ثم أقبل بوجه غير الذي أقبل به أولاً ، فقال لسحنون : يقول لك الأمير : « إنك تعديت عليه ، اردد ذهن عليه كما أمرتك ، ا فقال له سحنون : « قل له : أنت الذي تعديت والله لا رددتهم عليه حتى يفرق بين رأسي وجسدي » .

فانصرف الخادم ، وأقبل محمد بن سحنون على أبيه وقال له : « لا تفعل يا سيدي ، اكتب إليه وأطف ، فدعا بدواة وقرطاس ، وكان جالساً بالأرض

= وقيل : لأنها وجدت بخطه فأنكر ، وشهد على خطه خبسه أياماً وضربه عشرة أسواط وكان يخرج في كل جمعة فيضربه عشرة كل جمعة إلى أن مات .

وقيل : بل فعل ذلك لما كان عليه من البدعة .

وكانت أسماء بنت أسد بن الفرات زوج أبي الجواد قالت لسحنون : « أنا أحب هذا المال يقضيه عن نفسه » فلم يقبل ذلك سحنون ، وقال لها : « حتى يقول : أؤدى ما لزمني » وقيل : فعل ذلك سحنون لأن مال الكال يلزم قبول الهدية ، ولو قالت : « أنا أتضي عنه ما سب منه » لما رد ذلك سحنون والله أعلم ، فامتنع وأبى سحنون من قبول المال لا بأقراره .

وابنه محمد مشرف على مقعده ، فكان سحنون يكتب وابنه محمد
ينظر ما يكتب ، ويقول لأبيه : « دُون هذا !؟ دُون هذا !؟ ، حتى فرغ سحنون
من كتابه ، ثم طبعه وأرسله مع حاجبه إلى الأمير - إلى قصر حمص - فأخذه
الأمير وضرب به وقال : « والله لأدرى هذا علينا أم نحن عليه ؟ ، واسود وجهه
- وكان له جمال - فركب دابته وانصرف لعسكره راجعاً إلى القصر القديم ، فأقام
من ذلك الوقت إلى وقت العصر ، لم يدخل عليه أحد ، ثم أذن بعد ذلك لأصحابه
ووزرائه بالدخول ، وقال لهم : « بئى لأظن هذا الرجل يريد بنا خيراً ، ونحن لاندرى
أرسلوا إليه يُرسل محتسبيه ، ويكتب لهم سجلات إلى أقصى على يأخدا من وجدوا
من الحرائر ، فأرسل سحنون أصحابه يأخذون السجلات فخرجوا وردوا من وجدوا .

﴿ قلت ﴾ : أصل القصة : أن سحنوناً رحمه الله تعالى كان جالساً على باب داره

إذ مرَّ به حاتم^(١) ومعه سبي من سبي تونس ، فقال سحنون لأصحابه : ٣١ : ٢

« قوموا فأتوا بهم » فذهبوا حتى خلصوهم من حاتم ، وهرب حاتم على بردونه ، وخرق
ثيابه ، ودخل على الأمير فشكا إليه ، فأرسل إليه كما تقدم ، وقال للرسول : « قل
للأمير : جعل الله حاتمًا شفيعك يوم القيامة » وأقسم عليه ليلفن له ذلك ، ثم
قال سحنون : « هذا الأسود - يعنى حاتمًا - يمضى هكذا » فأمر بسجنه وطرح
عمامته في عنقه ، وحمل إلى الحبس ، فلحقه معتب وقال : « يا حاتم لا تُلَقِّينَ الشرَّ
بين الأمير والقاضي ، وأعطاه معتب من عنده تسعة دنانير ، فحلى حاتم عن السبي ،

(١) من الرياض والمدارك .

وأخبر معتب سحنونا بذلك فأمر بإطلاق حاتم من السجن (١) .

﴿قال﴾: وروى أبو العرب عن يحيى بن عمر قال: «أتى زوكاى بن زريخ من بعض الحروب التي كانت بافريقية بعدة حرار، فأخبر سحنون أن زوكاى أدخل سبع عشرة من سبي الجزيرة قرشيات وعرييات، فأرسل سحنون إلى جميع النواحي والأقطار فاجتمع إليه ألف رجل، فقال «تخيروا لي من أحدائكم مائتي شاب أريدكم لأر يا جرنى الله عليه» فاختاروا ما أمرهم. فلما صلى العشاء أمرهم فقال: «امضوا إلى دار زوكاى بن زريخ فقولوا: القاضى يقرأ عليك السلام، ويقول لك «أخرج إلى القرشيات اللواتى سيبت من الجزيرة، ولا تجعلوا له سبيلا إلى غلق الباب فإنه إن أغلقه ليس سلاحه ولا آمن أن تهراق الدماء فاشغلوه حتى يلج الدار، ويتقدم من مشايحكم مثل السبعة ينادون: أين المسيبات ليخرجن بأمر القاضى، إذا خرجن من عند آخرهن تركتم زوكاى وسبيله» .

فلما خرج لهم زوكاى قال لهم: «خدمى أخذنهن بسبى!» فقبضوا عليه ودخل الشهود فأخرجوا المسيبات وتركوا زوكاى وأدخلوا النساء دار سحنون، فركب زوكاى إلى القصر، فوافق الأبواب قد غلقت، فبات على الميدان، فلما أصبح استأذن على أبي العباس الأمير، رشق ثيابه، فقال: «مالك ويحك؟» فأخبره فأرسل إلى سحنون: «اصرف إليه خدمه اللواتى أخذت» فقال سحنون للرسول: «بلغ الأمير بالله الذى لا إله إلا هو لا أخرجتهن من دارى حتى يعزلنى، ويعلم الله أنى لا نظرى ولا قضاء على رجلين» .

ثم دعا ابنه محمداً وأخرج إليه سِجْلَهُ ، فحمله مع الفتى ، وقال له : « قل له : جعل الله زوكاى شفيحك عنده يوم القيامة » .

فانصرف الفتى إلى الأمير فأعلمه يمين سحنون ، وذكر له أن ابنه محمداً بالباب بالسجل ، وقال : « قد استحلقت أن أؤدّى إليك ما أجلُّ الأمير عنه » . قال : « قل ولا حرج » قال : « يقول لك » جعل الله زوكاى شفيحك عنده يوم القيامة ، فنكس الأمير رأسه وقال : « يدخل إلينا محمد : ولد القاضى » فقال : « ما يقول الشيخ والدك ؟ » قال : « يطلب الله في أن يُعفيه / الأمير من القضاء ، وهذا سِجْلُهُ بعثَ به لتولى أمرَ المسلمين من تراه » فقال الأمير : « اقرأ على الشيخ السلام وقل له : جزاك الله عن نفسك وعننا وعن المسلمين خيراً ، فقد أحسنتَ أولاً وآخراً ، وقتَ بما يجب عليك ، امض على أحسن نظرك إن شاء الله .

فانصرف محمد إلى أبيه فشكر الله على ما وقفه ، واجتمع إليه وجوه أهل القيروان فشكروا له سعيه فقال لهم سحنون : « تقدموا إلى باب الأمير فاشكروه » فأدخلهم أبو العباس ، ووقع ذلك بالموافقة^(١) .

وروى أن محمد بن سحنون وقف على منبر أبيه وقال : أشهد على صاحب هذا المنبر أنى سمعته يقول : إنه لتخف علينا مؤنة من لا يصلُّ إلى مُضَرِّنا حتى يقضى الله فينا .

(١) راجع قصّة في المدارك ٦٠٦/٢ - ٦٠٨ ، والرياض ٢٨٢/١ - ٢٨٤ ، ولم نجدّها في الطبقات .

ذكر محنته رحمه الله تعالى

قال غير واحد من العلماء بالأثر: « كان سحنون قد حضر جنازة وهب - وكان أخاه من الرضاعة - فقدم ابن أبي الجواد الذي كان قاضياً قبله - وكان يذهب إلى رأى الكوفيين ، ويقول بالخلق - فصلى عليها ، فرجع سحنون ولم يصل خلفه ، فبلغ ذلك الأمير زيادة الله ، فأمر أن يُوجَّه إلى عامل القيروان أن يضرب سحنونا خمسمائة سوط ، ويحلق رأسه ولحيته ، فبلغ ذلك وزيره علي بن حميد ، فأمر الوزير أن يتوقف ، وتلطف حتى دخل على الأمير وقت الثالثة - وقد نام - فقال له : « ماشيء بلغني في كذا ؟ » قال : « نعم ، قال : لا تفعل ؛ فان الغير ^(١) إنما هلك بضربه البهلول بن واشد ، فقال : وهذا مثل بهلول ؟ » قال : « نعم وقد حبست البريد شفقة على الأمير » ، فشكره ولم ينفذ أمره .
وبينا سحنون يُقرئ الناس لذاتاه الخبر بما أراح الله منه ، وقيل له : لو ذهبت إلى علي بن حميد فشكرته ؟ قال : « لا أفعل » قيل له : « لو وجهت ابنك لذلك ؟ » فأبى ، قال : ولكني أحمدُ الله الذي حرَّك ابنَ حميد لهذا فهو أولى بالشكر ، وأقبل على إسماعه ، فقال له قوم من أصحابه : لهذا كتب - والله - اسمك بالخبر على الرُّقوق » قال ابن وضاح : « كنتُ عند سحنون فجاءه إنسان فسارّه شيئاً ، فتغير لونه ، ثم جاءه آخر فسارّه فرجعت إليه نفسه ، ثم قال : « لم أبأبغ أنا مبلغ من ضرب ؛ إنما يضرب مثل مالك وابن المسيب » .

(١) في الرياض ١/٢٨٥ والمدارك ٢/٦٠٩ : « العكس » وهو محمد بن مقاتل الأمير المعروف .

ولما ولي أحمد بن الأغلِب الإمارة ، وأخذ الناس بالمحنة بالقرآن ، وخطب به بالقيروان توجه سحنون إلى عبد الرحيم الزاهد بقصر زياد^(٢) فارأ ، فكان عنده ، فوجه في طلبه إلى هنالك رجلاً يقال له ابن سلطان وكان مبعوضاً في سحنون بُغضاً عظيماً اختاره لذلك في خيلٍ وجهها معه ، فلما وصل إلى سحنون قال له ابن سلطان : « وجهي الأمير إليك ، وتصدني لبغضى فيك لأبلغ منك ، وقد حالت^(٢) نيتي عن ذلك ، وأنا أبذل دمي دون دمك ، فاذهب حيث شئت من البلاد أو أقم فأنامعك » فشكره سحنون وقال : « ما كنتُ أعرضُك لهذا ، بل أذهب معك » ، فخرج وشيعة أصحابه ، وقال عبد الرحيم للرسول : قل للأمير : « أوحشتنا من صاحبنا وأخينا في هذا الشهر العظيم » - وكان شهر ٢ : ٣٣ رمضان - « سلبك الله ما أنت فيه / وأوحشك » ٢ .

وفي رواية : عارضتني في ضيفي فوالله لأعرضنك على رب العالمين .

فلما وصل إلى الأمير جمع له قواده وقاضيه ابن أبي الجواد ، وغيره ، وسأله عن القرآن ؟ فقال سحنون : أما شيء ابتدئه من نفسي فلا ، ولكني سمعتُ من تعلمت منه ، وأخذتُ عنه^(٣) ، كلهم يقولون : « القرآن كلام الله غير مخلوق » فقال ابن أبي الجواد : « كفر آتله ودمه في عنقي ا » وقال غيره مثله ممن يرى رأيه ، وقال بعضهم : « يقطع أربعاً ، ويحمل كلُّ ربع بموضع من المدينة ،

(١) رباط كان بين جبليانه والشابة ويسمى دار ملاك ؛ لكثرة من كان فيه من الفقهاء .

(٢) حالت : تغيرت .

(٣) في الرياض : « منهم » . . . « عنهم » .

ويقال : « هذا جزاءٌ من لم يقل بكذا » !

فقال الأمير لداود بن حمزة : ما تقول أنت ؟ قال : « قَتَلَهُ بالسيف راحة » .
ويقال إن قاتلَه هَذَا عَلِيُّ بْنُ حَمِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَضْرَمِيُّ ، وَرَجُلٌ السَّنَّةِ
مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ - وَلَكِنْ [اِقْتَلَهُ قَتْلًا] ^(١) الْحَيَاةِ : تَأْخُذُ عَلَيْهِ الضَّمْنَاءَ
وَيُنَادِي عَلَيْهِ بِسِمَاطِ الْقَيْرَوَانِ أَنْ لَا يُقْتَى ، وَلَا يُسَمِّعَ أَحَدًا ، وَيَلْزِمُ دَارَهُ ! ،
فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَخَذَ عَلَيْهِ عَشْرَةَ حُمَلَاءَ .

ويقال : إنَّ ابْنَ أَبِي الْجَوَادِ ، هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِأَخْذِ الْحُمَلَاءِ عَلَيْهِ ^(٢) . قَالَ
سَهْلٌ : « فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ - وَمَعِيَ دِرَاهِمٌ أَشْتَرِي بِهَا ثِيَابِي ^(٣) » مِنْ الْحُمْرِ . إِنَّ
أَخَذُونِي فَعَافَانِي اللَّهُ ، - فَقُلْتُ : « الْبِدْعَةُ فَاشِيَةٌ ، وَأَهْلُهَا أَعْرَاءُ » ، فَقَالَ لِي :
« أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ قَطْعَ بَدْعَةٍ أَظْهَرَهَا ؟ »

وما كان إلا زمن قليل ومات الأمير .

هذا نقل الأكثر .

(١) ليس في ت .

(٢) في الرياض ما يوضح المراد : « .. عَمْرَةَ حَمَلَاءَ ، وَيُقَالُ : إِنَّ ابْنَ أَبِي الْجَوَادِ
هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِأَخْذِ الْحُمَلَاءِ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَّبِعِينَ ، فَرَجَعَ عَنْ قَتْلِهِ وَقَصَلَ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ الْحُرَّاسَ أَنْ
يَأْخُذُوا ثِيَابَ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ سَهْلٌ ... الخ » .

(٣) هكذا بالأصول وبالرياض وقد أوضحت العبارة التي نقلنا عن الرياض لماذا أُرِوا . أَنْ
يَشْتَرِيَ ثِيَابَهُ بِتِلْكَ الدِّرَاهِمِ .

وقال المازرى فى شرح الجوزقى : « لما انصرف الحاجب بسحنون ومشوا به ، وبقى بينه وبين القبروان قدرُ الليل ، وإذا بصوت كصوت الفرائيق (١) - هول الخليل - يخبرهم : « إن أميركم قد مات (٢) » ، قال سحنون : فدخلتُ بحمد الله سالماً .

ذكر بقية أخباره

كان رحمه الله تعالى يقول : « أجرُ الناس على الفُتيا أقلهم علماً ؛ يكون عند الرجل باب واحدٌ من العلم يظنُّ أن العلم كله فيه » .

وكان يقول : « إنى لأسألُ عن المسألة فأعرف فى أىِّ كتابٍ وورقةٍ وصفحةٍ وسطرٌ ، فما ينعنى عن الجواب إلا كراهة الجراءة على الفُتيا » .

وكان يقول : « سرعة الجواب بالصواب أشدُّ فتنةً من فتنة المال » .

وكان يقول : ما أقبح العالمُ يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه ، فيُسئل عنه

فيقال : هو عند الأمير ، هو عند الوزير ، هو عند القاضى ؛ فإن هذا وشبهه شرٌّ من علماء بنى إسرائيل ، بلغنى أنهم كانوا يحدِّثونهم (٣) من الرخص

(١) الفرائيق جمع غرنوق كزنبور وفردوس : طائر مائى أسود وقيل أبيض كالفرنيق (بضم الفين وسكون الراء وفتح النون) والفريق : الكركى أو طائر يشبهه .

(٢) فى ت : « لأنه يخبركم أنه قد مات الأمير » والرواية فى الرياض

٢٦٦/٢ - ٢٨٧ .

(٣) فى الرياض : « يلقونهم . . . بما يجبون » .

ما يحبون مما ليس عليه العمل، وفيه النجاة لهم كراهية أن يستنقلوهم، ولعمري لو فعلوا ذلك لنجوا^(١)، ووجب أجرهم على الله عز وجل، فواقه لقد ابتليت بهذا القضاء وبهم فوالله ما أكلت لهم لُقمة، ولا شربت لهم شربة، ولا لبست لهم ثوباً، ولا ركبت لهم دابة، ولا أخذت لهم صلة، وإني لأدخل عليهم فأكلهمم بالتشديد، وما عليه العمل، وفيه النجاة، ثم أخرج عنهم، وأحاسب نفسي، فأجد على الدرك مع ما أقام به من الشدة والغلظة، وكثرة مخالفتي لهم، ووعظي، فلوددتُ أني انجومتُ مما دخلتُ فيه / كفافاً^(٢).

٣٤ : ٢

وأرسل أسد بن الفرات وهو قاض إلى سحنون، وعون بن يوسف، وابن رُشيد، وموسى الصمادحي، فسألهم عن مسألة من الأحكام، فأجاب فيها عون، وابن رُشيد، وسكت سحنون، فلما خرجوا عذلاًه في ترك الجواب، فقال لها: « منعى أنكما بادرتما بالجواب فأخطأتما، فسكرت أن أخالفكما فندخل عليه إخواناً، ونخرُج أعداء»، وبيّن لها وجه خطئها، فجزياه خيراً، واعترفا ورجعا إلى أسد، فأخبراه برجوعهما.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: لعل سحنوناً عول على ما عرف من فضلهما من أنه إذا بين لها وجه خطئها رجعا فيعلمها أسداً برجوعهما - كما فعلا - وأن الحكم لا يُخشى فسواته، وإلا فهو في فضله وورعه لا يسكت

(١) في الرياض « لربحوا » .

(٢) في الرياض ١/ ٢٥٧ - ٢٥٨

في مثل هذا (١) .

وروى عنه عيسى ابن أيوب أنه قال : « إذا تردد الرجل على القاضي ثلاث مرّات بلا حاجة فلا تجوز شهادته » .

قال ابن حارث : « سمعهم يقولون : كان سحنون من أيمن عالم دخل المغرب ، كأن أصحابه مصاييحُ في كلِّ بلدة ، عدّ له نحو سبعمائة رجل ، ظهروا بصحبته ، وانفقوا بمجالسته .

وقال محمد بن أحمد بن تميم : « الذين يحضرون مجلس سحنون من العباد أكثرُ من الذين يحضرونه من طلبة العلم ، كانوا يأتونه من أقطار الأرض ، وكان رحمه الله كثيراً ما يُجرى كلامه على غائب .

وجيء إليه ليصلى على مقتول فقال : « ام تحضرنى نية » ، وأتى آخرون ، فقالوا له : « فلان أصلحك الله - قُتل ، وطرح في بئر وقد أخرجناه فصل عليه » قال : « ومن قتله ؟ » قالوا : « هذا المقتولُ الذي سئلتَ قبلُ : الصلاة عليه » فصلى عليه ولم يصل على قاتله ؛ كأنه فُرِسة منه .

وأعطى مرة صرّة فيها دراهم لرجل وقال : اخرج فأول رجلٍ تلقاه فأعطهاه ! فوجد رجلاً وعليه ثوب أبيض ، وهو يحمل تحمته شيئاً ، فنأوله ذلك ، فلما

(١) في المدارك ٢/٦١٤ - ٦١٥ وفيه بعد هذا : ، إلا رجاء أن يستين الحق بلا تعلق ولا مخالفة .

جسها رمى بذلك الشيء الذى تحته - وإذا هو ميتة - وقال هذه كانت حلالاً والآن حرمت علينا .

وهذه فراسة سحنون ! وخرج يوماً على أصحابه مغضباً على وجهه كآبة إذ جاءه رجل - وفي رواية غلام له - فسأره بشيء ، فضحك سحنون وأمر بالقراءة وقال لأصحابه : إنا أصبنا فى هذا العام ثمرة كثيرة ، وزرعاً كثيراً ، ولم أصب بمصيبة ، فحفت أن أكون سقطت من عين الله عز وجل ! وإن هذا جاءنى أن أفره جمالى مات ، فسررت بذلك وعرفت أن الله ذكرنى ويخلف ما ذهب .

وفى رواية أخرى أن هذا أخبرنى بموت زوجى ^(١) وخادمى وأهلك الريح مائة وخمسين شجرة .

وكان يقول : « ترك دائق من حرام أفضل من سبعين ألف حجة يتبعها سبعون ألف عمرة مبرورة متقبلة ، وأفضل من سبعين ألف فرس فى سبيل الله بزادها وسلاحها ، ومن سبعين ألف بئنة يهديها إلى بيت الله الحرام العتيق ، وأفضل من شتى سبعين ألف رقبة / مؤمنة من ولد إسماعيل » . فبلغ كلامه ٣٥ : ٢ هذا لعبد الجبار بن خالد فقال : « نعم وأفضل من ملء الأرض إلى عنان السماء ذهباً وفضة كسبت وأنفتت فى سبيل الله لا يرادُ بها إلا وجه الله عز وجل .

(١) المراد زوج بقر كان سحنون يستخدمهما فى حرثه وزرعته . انظر الرياض

وكان شيخنا^(١) رحمه الله تعالى إذا نقل هذا الكلام يعبر عنه بقوله ردّ دائق مظلمة أفضل من كذا، وذکر ما تقدم، ويفتي به ويوجهه بأن ردّ المظلمة واجب، وما ذكر إنما هو تطوُّع .

والأصل أن التطوُّع وإن كثّر لا يقوم مقام الفرض وإن قلّ .
ذَكَرَ ذَلِكَ لَمَّا سَأَلْتَهُ فِي حَالِ صَغْرِي عَنْ وَجْهِهِ .

قال محمد بن عبد الله الرُّعَيْنِيُّ : « لَمَّا سِرْتُ إِلَى الْغَزْوِ - إِلَى صَفَاقِصٍ ^(٢) - مَعَ سَحْنُونَ فَتَحَ لَنَا مَطْمُورَةً شَعِيرٍ لَعْلَفٍ دَوَّابْنَا فَمَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْهُ بِكَيْلٍ ، سَمَّاحَةً مِنْهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

قال الجزري : بينما أنا مع سحنون إذ أتاه رجل فسأله عن مسألتين أو ثلاث ثم قل : ما اليوم ؟ وما غدا ؟ وما بعد غد ؟ فقال له سحنون مجيباً : « اليوم عمل وغداً حساب ، وبعد غد جزاء » .

ولما ولى تبعته حتى دخل المقبرة ، ثم خفتُ فواته ، فقلت له : « بالله قف ، فقال : « ما تريد ؟ » أنا رجل من الجان كنت أغشى مجلس أبي سعيد أسأله عن مسائل ، فقد أحرمتني المسائل ، ثم غاب عني . فحضرني الخروج إلى الحج فبينما أنا في الطواف إذ جُذبت من ورأى بشوبى ! فالتفت فإذا أنا بالجنى فسلم عليّ ، وأخبرني بخبر من خلفت من أهلى ، ثم قال : « إني رأيت الطلبة

(١) الظاهر أنه يريد البرزلى عند الإطلاق .

(٢) إحدى بلاد الساحل الأفريقي .

يختلفون إلى شيخ « فضيت إليه ، فلما أشرفنا على الجماعة جذبني الجنى بنوبى -
وقد تغير لونه وقال لى : « هذا إبليس لورآنى لقتلى ! » قلت له : « ما العمل ؟ »
قال : « ارجع فالطمه للرأس ، وقل له : يا عين ! ياملعون أى شىء آتى بك هاهنا ؟
فعلت ، فاضمحل حتى صار كالذخان ، وأخبرت الطلبة بالقصة فعجبوا وخرقوا^(١)
ما كتبوا .

ذكر وفاته رحمه الله وما يتعلق بذلك

﴿ قال ﴾ : ولد سنة ستين ومائة ، وتوفى فى رجب من سنة أربعين ومائتين .
﴿ قلت ﴾ : قال أبو على : يوم الأحد قبل نصف النهار لست خلون منه .
وقال غيره : لسبع خلون^(٢) .

ودفن من يومه ، ووجه إليه محمد بن الأغلب بكفن وحنوط ، فاحتال ابنه محمد
حتى كفن فى غيره ، وتصدق بذلك .

﴿ قال ﴾ : وصلى عليه الأمير محمد المذكور فى مصلى باب نافع .
﴿ قلت ﴾ : ولما بلغ عمره ثمانين سنة عمل طعاما ونادى عليه بعض الخاصة فسل
عن سببه فقال : قال رسول الله ﷺ تسليما « من بلغ عمره ثمانين سنة كتبت

(١) خرقته يخرقه (من بابى ضرب ونصر) جابه ومزقه والثوب شقة . اه قاموس .
(٢) ذكر ابن حارث فى « قضاة قرطبة وعلماء إفريقية » ص ٩٣ ط . القاهرة أنه
توفى قاضيا غير معزول . يوم الثلاثاء لسبعة أيام مضت من رجب سنة أربعين ومائتين .

حَسَنَةٌ وَلَمْ تَكْتُبْ سَيِّئَاتِهِ» (١) فَعَمَلْتَهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى . وَاسْتَعْفَى رِجَالُ ابْنِ الْأَعْلَبِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : « قَدِ عَلِمْتَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَأَنَّهُ يَكْفُرُنَا وَنَكْفُرُهُ - لِأَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ كَانُوا مُعْتَزِلَةً - وَإِنَّمَا أَخْرَجْنَا طَاعَةَ لَكَ ، فَإِن صَلَّيْنَا عَلَيْهِ رَأَى النَّاسُ أَنَا رَضِينَا حَالَهُ ! » فَأَذْفَاهُمْ وَتَقَدَّمَ فَصَلَّى فِي عَيْبِهِ ، وَعَامَةً أَهْلُ السَّنَةِ ، وَجَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : « يَا أَبَا سَعِيدِ ! النَّاسُ يَقُولُونَ : إِنَّكَ دَعَوْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُبَلِّغَكَ / سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ » ؟ فَقَالَ : « مَا فَعَلْتُ ؟ وَلَكِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ ! وَمَا أَرَى أَجْلِي إِلَّا فِيهَا ! » .

قَالَ أَبُو بَكْرِ الْمَالِكِيُّ (٢) : لَمَّا مَاتَ سَحْنُونُ رَجَفَتِ الْقَبْرِ وَأَنَّ لِمَوْتِهِ وَحْزَنَ

لَهُ النَّاسُ .

(١) هَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ مَرْوَى عَنْ أَنَسٍ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَصِحُّ ؛ فَقَدْ أَوْرَدَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي التَّفْسِيرِ عَنِ الْحَافِظِ أَبِي يَعْلَى فِي مَسْنَدِهِ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا قَالَ : « الْمَوْلُودُ حَتَّى يَبْلُغَ الْحَنْثَ مَا عَمِلَ مِنْ حَسَنَةٍ كَتَبَتْ لَوَالِدِهِ أَوْ لَوَالِدِيهِ ، وَمَا عَمِلَ مِنْ سَيِّئَةٍ لَمْ تَكْتُبْ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى وَالِدِيهِ ، فَإِذَا بَلَغَ الْحَنْثَ أَجْرَى اللَّهُ عَلَيْهِ الْقَلَمَ ؛ أَمْرُ الْمَلِكِ الْذَاتِ كَانَا مَعَهُ أَنْ يَحْفَظَا وَأَنْ يَشُدُّدَا ، فَإِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ أَمَنَهُ اللَّهُ بِالْبَلَايَا الْثَلَاثِ : الْجُنُونُ وَالْجَذَامُ وَالْبُرْصُ ، فَإِذَا بَلَغَ الْخَمْسِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُ حِسَابَهُ ، فَإِذَا بَلَغَ سِتِينَ رَزَقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ بِمَا يَجِبُ ، فَإِذَا بَلَغَ السَّبْعِينَ أَحَبَّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، فَإِذَا بَلَغَ الثَّمَانِينَ كَتَبَ اللَّهُ حَسَنَاتِهِ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ ، وَإِذَا بَلَغَ التَّمْسَعِينَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَشَفَعَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَكَتَبَ آمِينَ اللَّهُ ، وَكَانَتْ أَسِيرَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، فَإِذَا بَلَغَ أَرْذَلَ الْعُمُرِ لَسْكِيلاً يَلْمُ مَنْ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا كَتَبَ اللَّهُ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ مِنَ الْخَيْرِ ، فَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ تَكْتُبْ عَلَيْهِ » .

وَقَدْ عَنَّقَ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ : « هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا وَفِيهِ نَكَارَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مَسْنَدِهِ مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا ثُمَّ سَأَلَ رَوَايَتَهُ عَنْ أَنَسٍ بِحُجْمٍ رَوَى عَنْ أَبِي يَعْلَى .

رَاجِعْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ٣/٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) فِي الرِّيَاضِ ١/٢٨٨ .

قال أبو الربيع: سليمان بن سالم « لقد رأيت يوم مات سحنون مشايخ من أهل الأندلس ييكون ، ويضربون خدودهم كالنساء ، ويقولون : « يا أباسعيد ليتنا تزودنا منك نظرة نرجعُ بها إلى بلدنا^(١) .

قال أبو الأحوص المتعبد: رأيت سحنوناً في المنام وقد تهباً للخروج إلى المصلى مع ابنه محمد ، فأتيته بثوب أبيض ، فقال: «أما علمت أنى لا أقبل الهدية؟» فقلت: « ليس بهدية ولكن هذا رسول الله ﷺ تسلياً أمرنى أن أدفعه إليك» فقال: «وأين رسول الله ﷺ تسلياً؟» فقلت: «ها هنا جالس» فما أقام سحنون إلا قليلاً حتى مات^(٢) .

ورأى بعض المتعبدين قائلاً يقول: «من أراد أن يشرب من ماء الحياة فليسمع من سحنون^(٣) .

وقال ابن أبي سليمان: رأيت في شأن سحنون قبل موته رؤيا فقصصتها على معبر - يقال له ابن عياض - قال: « هذا رجل يموت من أهل السنة » .

قال بعضهم: « رأيت في منامى كأن باباً فتح في السماء ونودي سحنون فصعد . وقال سحنون: رأيت النبي ﷺ تسلياً مقبوراً والناس على قبره يحملون التراب ، فأرسل للمعبر - وقال للرسول: « لا تُعلمه بي » - فلما ذكر له الرؤيا قال: « تُعلمنى من يكون صاحبها؟ » فأبى عليه ، ثم قال: « أيسكون

(١) الرياض الموضوع السابق .

(٢) الرياض ٢٨٩/١ ، والمدارك ٦٢٦/٢ .

(٣) الرياض عقب الرواية السابقة .

سَحْنُونًا؟ : قال : « اجعله سحنونًا ، فقال له : « هم يدفنون سنة النبي ﷺ وأنت تحييها .

وبعضهم إنما ذكر ذلك عن رجل رأى ذلك في منامه ، وسأل الغير عن سحنون ، وقال : قل له إلى آخر ما ذكر (١) .

وقال عبد الله بن الخشاب الأندلسي - وكان ثقةً : « رأيتُ في المنام النبي ﷺ تسليماً يمشي في طريق ، وأبو بكر خلفه ، وعمر خلف أبي بكر ، ومالك خلف عمر ، وسحنون خلف مالك .

قال ابن وضاح : فذكرت لسحنون فسرَّ بذلك (٢) .

﴿ قال ﴾ : وقبره بباب نافع معروف مشهور .

﴿ قلت ﴾ : وفضائل سحنون أكثر من الذي ذكرنا ، ونسأل الله العظيم أن ينفذني باعتقادي فيه ، ومحبي فيه ، ونسأل الله أن يحشرنا في زمرة .
ومنهم :

● ١٠٣ (حبيب بن سعيد التنوخي : أخو سحنون بن سعيد (٣))

﴿ قال ﴾ : كان قتيها صالحاً ، سمع من أسد بن القرات ، وعبد الرحمن بن أنعم ،

(١) في الرياض ٢٨٩ والمدارك ٢/٦٢٥ : وقال آحز : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مقبوراً والناس يجهلون على قبره الرباب وسحنون ينشئه ، فقال : قل لسحنون : هم يدفنون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تحييها ؟

(٢) الرياض ١/٢٨٩

(٣) له ترجمة موجزة أيضاً في طبقات أبي العرب ص ١٧٩

وعبد الله بن فروخ ، وأبى زياد بن زُرعة ، والبُهؤل بن راشد ، وعبد الله بن غانم ،
ومعاوية الصادحي وسوام .

ومنهم :

● ١٠٤ (أبو الوليد : مروان بن شحمة البلوي)

٣٧:٢

﴿ مولى آل عمر بن الخطاب ﴾^(١) /

﴿ قال ﴾ : سمع من وكيع بن الجراح ، وعبدالرحمن بن مهدي ، وغيرها .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكي^(٢) : « وكان ثقة مستجاباً فاضلاً . وكان معنون

يعرف فضله .

وقال غيره : كان فقيماً صالحاً ورعاً زاهداً متقللاً في الدنيا ، من العاملين الخائفين

المتبتلين المجتهدين في العبادة .

﴿ قال ﴾ : وكان يعمل الطوب بيده فيتصدق بثلاث ما يربح^(٣) وينفق ثلثا على

عياله ويرد في التبن ثلثا .

وكان في غاية الزهد ، لم يكن له سريرٌ ينام عليه ، إنما ينصب الطوب ، فينام

عليه في بيته .

(١) له ترجمة في طبقات أبي العرب ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، ورياض النفوس

٣٠٣ / ١ - ٣٠٤

(٢) في الرياض : ٣٠٣ قلا عن أبي العرب

(٣) بالأصل : « بكل ما يبيع » ولا يصح ؛ بدليل ما بعده . والتصويب

من مصادر الترجمة

بعث إليه الأمير محمد بن الأغلب فلما وصل إلى باب قصره رأى خصياً بيده
عود فكسره ! فلما دخل على الأمير عاتبه على ذلك ، فقال : « رأيتُ منكراً
فغيرته » فسأله^(١) عن مذهبه^(٢) فقرأ (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفواً أحد^(٣)) .

وكان ينادى إذا جنّ الليل : « لئن كنت أطلت جهدي في دار الدنيا ،
وتطيل شقائي في الدار الآخرة لقد أهملتني وأستطنتني من عينك أيها الكريم ،
ثم يبكي حتى يُعشى عليه .

وتوفي في شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو ابن أربع وتسعين سنة
(رحمة الله تعالى عليه) .

ومنهـم :

١٠٥ ● (أبو عبد الله : حمدون بن عبد الله العسال)^(٤)

﴿ قال ﴾ : كان أحد المجتهدين في العبادة .

(١) في الطبقات : فقال له فقرأ عليه (قل هو الله أحد ...)

وفي الرياض : فلم يراجعه الأمير ، ثم عافاه الله تعالى منه وخرج .

(٢) في م : « فسأل »

(٣) سورة الإخلاص ١ - ٣

(٤) ترجمه المسالك في الرياض ١/٣١٧ وذكر في ترجمته ما يدل على مدى تقديسه

للعمل ، فقد روى عن عمرات الخشاب قال : خرجت مع حمدون بن العسال إلى قصر

الطوب فلما كنا بالقرب من القصر إذا بجبلين . جبل منهما أشعث ليس فيه نبت ولا خضرة ، =

﴿ قلت ﴾ : وتبعه العوافى، وفيه بتر لقول المالكى : « كان من أهل الفضل والدين والاجتهاد فى العبادة » .

﴿ قال ﴾ : وكان يقرأ ثلث الليل ، وينام ثلثه ، ويدعو ، ويبكى ثلثه .

﴿ قلت ﴾ : وتبعه العوانى ، وفيه إجمال ، لأن قولها يقرأ ثلث الليل أم من أن يكون فى صلاة أم لا . وكلام المالكى أخص ، فقال : « كان يصلى ثلث الليل ، [وينام ثلث الليل ^(١)] ويدعو ثلثه » كما أن فى نقل المالكى وبدعو ثلثه بترأ لعدم ذكره ويبكى .

﴿ قال ﴾ : وكان يقول فى مناجاته : نامت العيون ، وأيقظنى إليك الشجون فإن لم تطب نفسى لنفسها بحظها فما حظها عند ما يكها » (يَوْمَ تَوْ فى كُلِّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ) ثم ينوح ويبكى إلى الصباح .

﴿ قلت ﴾ : قال ابن الحداد : « مات غلامٌ لحدون - وكان هو القائم به - فبجنا نعرزبه فالتفت إلينا وقال : « أشهدكم أن أهله وولده أحرارٌ لوجه الله عز وجل ! » فأحزننا ذلك ، لأنه لم يكن له شىء يقوى به على معيشته غيرهم » ثم قال لنا « إن العدوَّ عرَّض لى وقال : مات من يقوم بك فما أنت صانع ؟ فأردتُ

= وآخر لى جانبه حسن النبات والحضرة ، فقال لى : « يا عمار ، هذه أرض متقاربة لإحداهما شعبة ، والأخرى خضراء » فقلت له : « العمل ! ؟ » فصاح : « العمل ، يا عمار ! العمل ! » ولم يزل يكرر ذلك ويصيح حتى دخل قصر الطوب .
(١) سقطت من س .

أن أرغمه بعثقي لزوجته وأولاده .

﴿ قال ﴾ : توفي سنة أربع وأربعين ومائتين .

ومهمهم :

● ١٠٦ (أبو سنان : زيد بن سنان الأسدي)^(١)

هكذا قال / وتبعه العوافي ، وهو خلاف قول المالكي : الأزدي^(٢) .

٣٨:٢

﴿ قال ﴾ : سمع من سفيان بن عيينة^(٣) ، وعبد الرحمن بن القاسم ، ورأى أبا

معمر : صاحب أنس بن مالك وهو يومئذ يحضر الكتاب ، ولم يسمع منه شيئاً .

ولما قدم مصر نزل على عبد الله بن عبد الحكم .

وكان قميها ثقة مأموناً تقياً متواضعاً .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بتر لزيادة غيره : « زكياً ثبتاً زاهداً ورعاً وإيماناً من أولياء .

الله تعالى .

(١) ترجم له أبو العرب في طبقاته من ٢٠٢ ، والمالكي في رياض النفوس ١/٣٠٠

- ٣٠١ ، وعياض في المدارك ٣/١٣ - ١٥

(٢) في المطبوعة من الرياض : « الأسدي » ولعل النسخة التي يشير إليها الدباغ غير

النسخة التي طبع عنها وإذا عرفنا أنه لا فرق بين الأسدي بسكوت السين وبين الأزدي تبين

لنا أنه ليس ثمة خلاف بين ما ذكره الدباغ وبين ما هله التنوخي عن المالكي سيما إذا

لاحظنا اختلاف النسختين على التسليم بصحتهما جيداً وهو أولى من القول بتخطئه إحداهما .

ولا يتم لابن ناجي ما قاله عن المالكي إلا بأمرين : الأول أنه يكون ما هله عنه

هو الرواية الصحيحة وأن ما عداها خطأ .

الثاني : أن تكون الرواية عن الدباغ : « الأسدي » بفتح السين لا بسكونها

ومن العسير لإثبات أي من الأمرين ؛ راجع أيضاً القاموس ١/٢٧٤

(٣) قال عياض : لم يسمع من سفيان غير أربعة أحاديث ، فيما ذكر

﴿ قال ﴾ : قال أبو عثمان^(١) : سعيد بن الحداد « ما سمعت الدنيا تذكر عند أبي سنان قط ، ولقد كان من تواضعه يحمل الخبز على يده إلى القرن فيراوده الطلبة على أن يحملوه له فيأبى إلا أن يحمله بنفسه ؛ تواضعاً منه . »
قال أبو الربيع : سليمان بن سالم ، قال لى أبو سنان : « إذا كان طالب العلم يتعلم الواقعة في الناس قبل أن يتعلم مسألة من العلم فمتى يصلح^(٢) ؟
وكان لا يتكلم أحد في مجلسه بغيبة في أحد ، وإذا هم بذلك أحد نهاه وأسكته . »

قال أبو سنان : « كان بالمدينة رجل يصلي في كل وقت تحمل فيه الصلاة ، فإذا جاء وقت لا تحمل ألقى ظهره على حصباء المسجد ، ورفع رجليه على جدار المسجد . ثم قال : « اللهم امنن على بلقائك ، حتى أستريح ؛ فإنه لا راحة لمن عرفك حتى يلقاك . »

ومولد أبي سنان سنة خمس وخمسين ومائة ، وتوفي سنة أربع وأربعين ومائتين ، ودُفن في مقبرة باب أبي الربيع (رحمه الله تعالى ورضى عنه) .

ومنهم :

● ١٠٧ ﴿ أبو خلف : مطروح بن قيس الخياط الزاهد ﴾^(٣)

﴿ قال ﴾ : كان من أصحاب البهلول بن راشد

(١) فى س : « عمر » وهو خطأ وستأتى ترجمته فى أواخر هذا الجزء .

(٢) فى الرياض : « يفلح »

(٣) ترجمه المالكى فى الرياض ١/٣١٥ - ٣١٦ .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بترُّ لقول المالكي : سمع من البهلول ، والفضيل بن عياض ، ومحب جماعة من العلماء والمتعبدين .

﴿ قال ﴾ : وكان في الزهد والعبادة بالمحل الرفيع .

﴿ قلت ﴾ : نحوه قال المالكي : « كان فاضلاً جليلاً مشهوراً بالعبادة والاجتهاد » .

﴿ قال ﴾ : روى أن حديثاً التظان كان يقول : « إن كان لا يدخل الجنة إلا مثل أبي خفاف الخياط ، وحدون بن (١) العسال فما أقل من يدخلها » هذا على جلالته قدر حمديس ، ومحلّه من العلم والعبادة .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكي : قال سيمان بن سالم : « رأيتُ في منامِي قائلاً يقول : « هذا أبو خلف الخياط من نقل عنه حديثاً واحداً دخل الجنة » ، قال : « فأصبحتُ فلدوتُ عليه فسمعتُهُ يقول : « من تعبد لله بعبادة (٢) ثم تركها ملالةً ممتةً لله » فكسبته . ثم سمعته يقول : « دخل على معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه وهو يبكي ، فقيل له : « ما يبكيك ؟ » فقال : سمعت رسول الله ﷺ تسلبها يقول : « إن الرياءَ شركٌ (٣) » .

(١) من الرياض

(٢) في الرياض : « من كان يعبد الله عز وجل بعبادة »

(٣) حديث معاذ هذا رواه الحاكم في المستدرک ٢٧٠/٣ من طريق ابن عمر رضى

الله عنهما قال : مر عمر بمعاذ بن جبل رضى الله عنهما وهو يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى الرياء شرك ، وأحب العبيد إلى الله تبارك وتعالى : الأتقياء الأخفاء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصاييح العلم »

وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين ، لكن تعقبه الذهبي فضعفه بأحد رواه وهو أبو قحزم فقال : قال أبو حاتم : لا يكتب حديثه ، وقال النسائي : ليس بثقة

وسمعه يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : « اللهم /لا تعذبنى بالنار بعد ۲ : ۳۹
أن أسكنت قلبى توحيدك ؛ فإنك إن تعذبتنى مهاجمتَ بينى وبين قوم
عاديتهم فيك » .

﴿ قال ﴾ : توفى أبو خلف سنة ست وأربعين ومائتين .

ومنهم :

● ۱۰۸ ﴿ أبو يحيى : أحمد بن محمد بن قادم ﴾

﴿ قال ﴾ : كان حافظاً لمذهب أهل العراق ، ومذهب أهل المدينة . صحب
أسد بن القُرات ولازمه وشهد معه فتحَ صقلية ، وكان له بها آثار حسنة .
توفى سنة سبع وأربعين ومائتين .

ومنهم :

● ۱۰۹ ﴿ دحيم الضرير المتعبد ﴾

﴿ قال ﴾ : كان صالحاً مجاب الدعاء ، من سُكَّانِ الدَّمْنَةِ وكان أبو إبراهيم بن
محمد الأغلب يزوره ويستوهب منه الدعاء .

وهو أحد الأولياء الخمسة عشر الذين كانوا فى الدَّمْنَةِ كلهم مستجابُ الدعاء .
(رضى الله عنهم أجمعين) .

ومنهم :

١١٠ ● (أبو محمد : عبد الله بن سهل القبرياني ^(١))

(قال) : كان شيخاً صالحاً ورعاً ، سمع من محمد بن يحيى بن سلام ، وأسد بن الفرات ، وسحنون بن سعيد ، ولقى عبد الملك بن الماجشون بالمدينة ، وكان ثقةً أخذ الناسُ عنه ، وكان القاضي حماس يشهد له بالفقهِ البارِع . ولآه سحنون قضاء قسطنطينية وأعمالها فكان عدلاً في قضائه .

(قلت) : قال التُّجِيبِي : وكان فقيهاً . روى عبد الله بن سهل أن الفضيل بن عياض كان يقول في جوف الليل : « اللهم إن طالبتي بذنوبي طالبتك يا أحسانك ، وإن طالبتي بسوء عملي طالبتك بتوحيدي لك ، وإن أدخلتني النار ، ناديتك من بين أطباقها ، وأخبرت أهلها أني أحبك .

توفي عبد الله سنة تسع وأربعين ومائتين .

(قلت) : في كلامه بتر لزيادة التُّجِيبِي : « في شعبان » .

(قال) : وعمره ستة وسبعون سنة ودفن بباب أبي الربيع (رحمه الله تعالى) .

(١) ترجم له ابن حارث الحشني في طبقة من ص ١٣٤ والفاضي عياض في المنار
٩١/٣ - ٩٥ وضبطه بقاف مكسورة ، وباء واحدة ساكنة ، وراء مكسورة بعدها ياء
مشناة وبعد الألف نون .

ومنهم :

● ١١١ ﴿ سعيد البكاء الضرير المتعبد ﴾

﴿ قال ﴾ : كان من الخاشعين الحزوين .

روى أنه كان يقال له : « كيف أصبحت » ؟ فيقول : « مارقدتُ البارحة ، وجعتني رُكبتي ، ووجعتني صُلبي ؛ فأنا الليالِ كلَّه أتضرَّع إليه وأقول : « يامولاي ! أنا لست أقوى على وجع رُكبتي ووجع صُلبي ، فكيف أقوى على النيران ، وثقل الأغلال ؟ اللهم لا تعذب شَيْبَتِي بالنار يا مولاي أنا الليالِ كلَّه آنسُ بك كما آتستني في هذا الليل الطويل بذكرك آتسني في مضجعي وقبري » ثم يأخذ في النياحة والبكاء حتى يصبح .

توفي سنة تسع وأربعين ومائتين .

ومنهم :

● ١١٢ (أبو محمد الأنصاري الضرير) ^(١) / ٤٠ : ٢

هكذا قال متبعاً في ذلك التَّجِيبِي ، ويريد به ضرر البدن ، من أنه مُتَعَدِّ لما يَأْتِي ، وفيه قصور ؛ لقول المالكي « كان ضرير البصر والبدن » .

﴿ قال ﴾ كان أبو محمد هذا صاحبَ صدقٍ ومعاملةٍ صحيحةٍ وزهدٍ وانقطاعٍ

(١) ترجمه المالكي في الرياض ١ / ٣١٨

وخوف وإشفاق مستجاب الدعاء ، وهو الذى ينسب إليه مسجدُ السَّبْتِ بالدِّمَنَةِ (١).

﴿ قلت ﴾ : يتبع في هذا الجيبى ؛ وإنما سُمى مسجدَ السَّبْتِ ؛ لأنهم كانوا يقرءون فيه الرقائق يوم السبت كلَّ جمعة ، ويحضره أولياء الله والصالحون والعلماء .
كأنى بكرين اللباد ، ويبقى أثر الوعظ فيهم إلى السبت الآتى . وهذا المسجد هو خارج

(١) مما ذكر الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب فى كتابه : « ورقات عن الحضارة : التونسية العربية بإفريقية » : أنه بعد أن انقضى عصر الولاية ، ونالت إفريقية استقلالها على يد بنى الأغلب التميميين سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) عمدت دولتهم إلى تموين البلاد وتجهيز مدينتها الكبيرة بالمصالح - ذات النفع العام ومن ذلك أن أحدثت فى كل مدينة كبيرة فى القطر مرستاناً أو مستشفى للمصابين بالأمراض المفضلة التى يطول علاجها ، والتي ينشئ منها تسرب العدوى إلى السكان .

وأول هذه المرستانات : هى الدار التى أنشئت بالقيروان فى ناحية من أطرافها تسمى « الدمنة » تحرب من المسجد المعروف بمسجد السبت ، وإنما أطلق على هذا المستشفى اسم الموضع الذى أقيم فيه البناء ، فصار علماء له ، فاقصر فى تعريفه على كلمة « الدمنة » وأسقط اسم « بيمرستان » أو « مرستان » أو مستشفى ، وربما عرف كامل الحى باسم حارة المرضى .

وجدير بالملاحظة أن المستشفيات التى أحدثت بعد ذلك فى المدن الكبيرة : تونس ، وسوسة وصفاس كانت على غرار مرستان القيروان ، وعلى نظاهه وترتيبه ، وقد عرفت كلها باسم « الدمنة » تقليداً لعاصمة البلاد .

وبعد أن حدثنا عن نظام بنائهم ، قال : والظن الغائب أنه كان يوجد فى دمنة القيروان كما فى سواها من المرستانات صهريج (ماجل) تتجمع فيه مياه المطر تستعمل طول السنة للشراب . وطبخ الأطعمة ، ووجود هذه المواجل سنة مألوفة فى سائر الأبنية الإفريقية كما فى المحارس والرباطات .

وخلاصة القول : أن الدمنة كانت تستعمل على ما يحتاج إليه من المرافق الضرورية ، أت لها جهازاً قائماً بذاته كافياً فى ذلك الوقت للغاية المطلوبة منه .

راجع هذا وغيره مما يتعلق بدمنة القيروان وغيرها فى كتاب الورقات ١ / ١٧٣ - ٢٩٤ و ٤٦/٢ - ٥٠

واقدمت الدمنة إلى جانب هذا مجالا لإحسان المحسنين من الولاية وذوى اليسار على الفقراء . والمعوزين على ما سياتى .

القيروان يعرف بمسجد العربي وإنما قيل فيه ذلك لأن محمدا العربي كان يقوم به وهو قريب العصر (١) فسمى به .

﴿ قال ﴾ : روى حَيْرُونُ بنَ ذَكَوَانَ الخِزَّازِ قالَ : « أَصَابَ النَّاسَ عَطَشٌ شَدِيدٌ بِالْقَيْرَوَانِ فَأَخْرَجْنَا أَبَا مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ فحَمَلْنَاهُ عَلَى أَيْدِينَا حَتَّى أَدْخَلْنَاهُ مَسْجِدَ السَّبْتِ ، فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ بِرَفْعٍ (٢) ثُمَّ رَفَعَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ إِلَيْكَ عَشْرَةَ قِصَارًا فَلَا تَرُدِّهَا خَائِبَةً » . قالَ : « فَوَاللَّهِ مَا أَنْصَرَفْتُ مِنْ بَابِ تُونُسَ إِلَى بَابِ أَبِي الرَّبِيعِ إِلَّا وَأَنَا أَخْوَضُ الْمَاءِ إِلَى الرِّكْبَةِ .

﴿ قلت ﴾ : وأد بقوله عشرة أى أصابعه .

﴿ قال ﴾ : وروى أن الأمير زيادة لله بن إبراهيم بن الأغلب خرج إلى الدِّمَنَةِ (٣) ومعه مالٌ يفرِّقُه ، فقال لخلف ومسروق الخادمين : « ادْخُلَا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ - يَعْنِي أَبَا مُحَمَّدٍ فَعَرِّفَاهُ أَنِّي أُرِيدُ السَّلَامَ عَلَيْهِ » فدخلوا عليه وأعلماهُ بذلك ، فقال لهما : « قولوا له ينصرف عني ، فما لي عنده حاجةٌ ولا له عندي حاجةٌ » فأخبرا زيادة الله بذلك فغضب وقال لهما : « ادْخُلَا فَأَخْرِجَاهُ » فدخلوا فحملاه حتى وقف بين يديه ، فقال له زيادة الله : « أَتَيْنَاكَ لِتَأْمُرَنَا بِالْمَعْرُوفِ فَفَعَلَهُ وَتَمَنَّا نَأْتِيَكَ مِنَ الْمَسْكَرِ فَتَخْرِجَ عَنْهُ فَحَجَّجْتَنِي عَنْ نَفْسِكَ وَأَنَا إِمَامُكَ ! » فقال له

(١) أى عصر ابن ناجي ، وتوله : « كان يقوم به » الأفرح أن يقال : يؤم به لما تعطيه الإمامة من مزيد اختصاص حتى ينسب له ، ويضاف إليه .

(٢) أى برفع أيديهم إلى السماء شأن المبتهل إلى الله في الدعاء .

(٣) فى س : ، المدينة « والمراد . الدمنة .

أبو محمد : جرأك على علماء السوء الذين يغرؤك ويزينون لك زخارف الدنيا
فلو عملت بما علمت أنباتك بما جهلت ، اذهب عنى لثلاث أشكوك إلى الله تعالى ،
فقال له : « صدقت » ، ثم قال لهما : « ارفقا بالشيخ » وعرض عليه مالا جليلا
لنفسه ولن بالدمنة ، فلم يقبل منه ، فضى وهو يقول : « والله لو كان هذا
صديقاً ما زاد على هذا ، من قوله » .

﴿ قلت ﴾ : فى كلام الشيخ بتر من وجوه .

﴿ أحدها ﴾ أن إتيان زيادة الله لم يختص به بل كانت عادة أسلافه كذلك .

قال المالكي : حدث بعض الثقات قول : « كنا ليلة النصف من شعبان عند

أبي محمد الأنصارى ، وكنا نجتمع عنده مع القراء للذكر مع ^(١) وجوه الناس ليلة
النصف من شعبان ، ونيلة نصف رمضان . وكان أمراء بنى الأغلب يأتون إلى
جامع القيروان فى تينك الليلتين ويعطون / فيهما من الصدقات كثيراً ثم يخرجون
من المسجد الجامع إلى الدمنة ، ويزورون أبا محمد الأنصارى ؛ يتبركون به
وبدعائه ، فخرج زيادة الله مقبلا حتى وقف على باب داره .

٤١ : ٢

﴿ قلت ﴾ : وتخصيصه بالذكر من بين سائر ليالى العام على ظاهر اللفظ

لا يعارضه كراهة الاجتماع لصلاة النافلة فى ليلة مخصوصة كليلة عاشوراء ، لأن
الصلاة أخص فى أولى بالهوى ؛ لثلاث تعتقد العامة وجوبها .

وفى كلام المالكي قصور أيضاً ؛ لأن ظاهره يقتضى أنهم كانوا إذا خرجوا

من الجامع يقتصرون على زيارة أبي محمد بالدمنة ، وقد قال التجيبى : « يخرجون

(١) فى م ، س : « من » والتصويب من الرياض .

من الجامع إلى دور العباد والعلماء والمحارس والدمنة بالصدقة . — يلبثون بالقيروان يفرقون الأموال على المساكين والمستوين .

﴿ الثاني ﴾ : أن قوله خرج زيادة الله إلى الدمنة يوم أنه لم يخرج بخاصته وليس كذلك بل قال المالكي : « خرج في حشمه وأهل بيته وخدمه » وقال التجيبي : « وقف على بابه بوزرائه وقضاته وحشمه » ، والمراد بخلف ومسروق خديمان زيادة الله ، وليس المراد أنهما خديمان للشيخ ، وخلف : هو الذي بنى قصر الطوب (١) والمجل ؛ قاله التجيبي .

﴿ الثالث ﴾ : إجمال ما أمر به من المال ولبن بالدمنة ، وقد قال التجيبي : قال خلف ومسروق : ادفعا إليه مائة دينار لنفسه وخمسة دنانير لأهل محلته .

﴿ قال ﴾ : توفي سنة خمسين ومائتين وقيل : توفي قبل ذلك سنة ثلاثين ومائتين .
﴿ قلت ﴾ : وقبره هو الموجود اليوم في صحن المسجد المذكور ؛ هكذا قال شيخنا أبو الفضل : أبو القاسم بن أحمد البرزلي .

﴿ قال ﴾ : والمشهد الذي عليه فيه اسم غيره عمله بعض من جدد قبره ؛ فإن المسجد فيه قبور أكابر كثرت قبورهم ، فلا يتوهم أحد أنه ليس قبر الشيخ — ويأتي بقية ما في هذا ؛ لقول العواني خلاف ذلك .

(١) ذكر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب أن قصر الطوب يقع الآن على خمسة كيلومترات من سوسة في الناحية التي تسمى الآن (سيدي عبد الحميد) وهو عبارة عن رباط صغير به جملة غرف كانت معدة لنزول العباد والصالحين وكان به مسجد للصلاة ، وبرج مرتفع يكشف على البحر — وقد سقط في الزمان الحاضر — وفي وسط الصحن أو قريباً منه ماجل لحزن ماء المطر ويعود بناء هذا الرباط إلى عهد الأمير أبي العباس : محمد بن الأغلب ، على يدي خادمه الفتى (خلف) .

ومنهم :

● ١١٣ ﴿ أبو عثمان : سعيد بن عباد السمرقي ﴾^(١)

﴿ قال ﴾ سمع من سحنون بن سعيد ، وسمع منه أبو سليمان بن يحيى النصفاء وكان فقيهاً عالمًا زاهدًا عابدًا فقيرًا صابراً ، روى أن سحنوناً خلا به يوماً فقال له : « ألسنتُ بامامك ؟ » قال : نعم ، قال : « وتقبل قولِي ؟ » قال : « لو لم أقبل قولك لما اختلفت ليليك » قال : « هذه ثلاثون ديناراً من ثمن غرسٍ غرسته يدي فخذها تتقوى بها على أمر آخرتك ودنياك » ، فقال له : « إني غني عنها » وكان محتاجاً إلى خروبة -^(٢) فقال سحنون : « خذها سلفاً ، فإن سمع الله عليك فردّها تقبلها منك وإن تمذّر عليك ردّها فأنت في حلّ » فقال : « ما كنت بالذي أتعجل ديناً في ذمتي من غير حاجة » ! فقال له سحنون : « أما وقد آيتَ قبولها ؛ فلا تذكر لأحد ما دمت حياً !

(١) ترجم له عياض في المدارك ١٢٥/٣ وأورد عن أبي العرب أنه قال : كان ثقة فقيه البدن ، ذا عبادة ، فقيراً متعففاً اه غير أن ما وجدته عند أبي العرب في طبقاته ص ١٦٠ هو قوله : « ومن القادمين إلينا سعيد بن السمرقي ، سمعت من غني بالحديث يستضعفه ، وقد روى حديثاً ، وأكثر عن أبي البختری . سمع منه أبو داود بن يحيى وغيرهما ، وأبو البختری عند أهل التمييز كذاب أمه و المراد بقولهم : كان فقيه البدن : أنه كان طيباً .

وقد ترجم له ابن حارث في طبقاته ص ١٥٤ ترجمة موجزة فقال : وسعيد المعروف بمزغلة من أصحاب سحنون ، وكانت تغلب عليه العبادة والتسك وكان رجلاً صالحاً حسن النية . ولئن صح ما نقلناه عن أبي العرب في سعيد هذا كان حديثه الآتي ضعيفاً ، ولعله الحديث الذي أشار إليه في ترجمته له .

(٢) الخروبة جزء من سنة عشر جزءاً من العملة الفضية أي نصف الثمن أو ما يعادل

$\frac{٦٢٥}{١٠٠}$ من العملة وقد بقي هذا الاستعمال جارياً في تلك البقاع إلى عهد قريب .

وقال عبد الجبار السُّرْتِيُّ : كُنَّا نَخْتَلِفُ لِمَى سَحْنُونِ جَمَاعَةِ فَكَانَ / سَعِيدُ بْنُ ٤٢:٢
عَبَادِ خَيْرِنَا .

﴿ قُلْتُ ﴾ : فِي كَلَامِهِ بَتْرٌ لِقَوْلِ التَّجِيبِيِّ : قَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ وَحَمْدِيسُ الْقَطَّانُ :
كُنَّا نَخْتَلِفُ لِمَى آخِرِهِ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ فِيهِ بَتْرٌ ، لِأَنَّ كَلَامَهُمَا مَعًا فِيهِ أَخْصٌ
مِنْ كَلَامِ وَاحِدٍ .

وَكَانَ يَخْدُمُ الرَّمَّةَ بِالْأَجْرَةِ كُلِّ يَوْمٍ سَبْتٍ ، وَيَقْتَاتُ بِمَا يَأْخُذُهُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ،
فَجَاءَتْهُ يَوْمًا امْرَأَةٌ وَطَلَبَتْهُ فِي شَهَادَةٍ عَلَى غَرِيمٍ لَهَا - وَالطَّيْنُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ -
فَقَالَ لَهَا : « أَنَا أَجِيرٌ » ، فَذَكَرْتُ ضَرُورَتَهَا ، فَقَالَ لَهَا : كَلِمَى صَاحِبِ الْعَمَلِ ،
فَكَلَّمْتُهُ فَأَذِنَ لَهُ ، فَشِئِي وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، وَعَلَى يَدَيْهِ وَرَجِيهِ أُرَ الطَّيْنِ ^(١) وَأَدَّى ^(٢)
الشَّهَادَةَ لِابْنِ عَبْدِوَنِ الْقَاضِي ، فَقَالَ لَهُ : « يَا شَيْخَ كَمْ يُصَلِّي فِي الشِّتَاءِ وَكَمْ يُصَلِّي
فِي الصَّيْفِ ؟ » فَقَالَ : حَدَّثَنِي سَحْنُونٌ ، عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ نَافِعٍ ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَسْلِيمًا أَنَّهُ قَالَ :

« فَرَضُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ سَوَاءٌ » .

وُخْرِجَ ، وَوُعِرِّفَ بِهِ الْقَاضِي فَاسْتَحْيَا .

وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ نَقَلَهَا التَّجِيبِيُّ بِأَخْصَرِّ مَا ذَكَرْنَاهُ وَكَانَ شَيْخِنَا ^(٣) حَفِظَهُ اللَّهُ

(١) فِي الْمَدَارِكِ : « قَالَ لَهُ صَاحِبُ الْبِنَاءِ : إِذْهَبْ مَعَهَا وَأَنْتَ فِي حُلِّ ، فَسَلْتَ الطَّيْنَ مِنْ
سَاقِيهِ ، وَتَنَافَعْتَ فِي كَسَاءِ مَوْصُولِ مَرْتَوْعٍ » .

(٢) فِي س . ٠ « وَرَدَ »

(٣) مَرَادُهُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ شَيْخُهُ الْبَرْزَلِيُّ .

يزيد فيها: أن المرأة قالت له بحضرتها: «ما تقول في شاهدي؟»، فقال لها: «إني لأعرفه»، فخرج وهو يقول «بل الله يزكي من يشاء» فقالت «هذا سعيد بن عباد السرقى»، فقال لها: «الاسم لم لا يحتاج إلى تزكية فجيئ^(١) بمن يعرفني أنه هو كما جرى لعبدالرحمن بن القاسم في شهادة شهد بها عندقاضى مصر.

﴿قال﴾: توفي سنة إحدى وخمسين ومائتين ودفن بباب^(٢) سلم بقارعة الطريق، من نحو الغدير الحمر يضرب بها الطوب.

﴿قلت﴾: هي التي يقول لها الناس اليوم غدير الحمر مضافة إلى مالكتها فلان الحمر وهي اليوم لحفيده الأمير^(٣) أبي العباس: أحمد الحمر.

ولمّا قلت هذا لأنه فرق بين غدير الحمر والغدير الحمر.

وقبره غربىّ قبر حدّيس القطن، وعند رأسه عمودٌ أبيض، وهو مزارٌ يعرفه الخاصة والعامة.

ومهم :

● ١١٤ ﴿ابوسليمان: داوود بن يحيى الصواف^(٤)﴾

(والد أحمد بن سليمان الفقيه)

﴿قال﴾ كان عالماً ثقة مأموناً صالحاً فقيراً متعففاً لا يقبل عطية من

(١) في س « جيئني من »

(٢) في س : « في باب »

(٣) في س : « الأمين »

(٤) هذه الترجمة قل بعضها واختصر البعض الآخر من ترجمة أبي العرب لداود بن يحيى

زائغ ، وكان قائد موسى بن معاوية .

﴿ قلت ﴾ - يعنى والله تعالى اعلم - أنه كان يقوده لماعى - وكان أعمى كما تقدم .

﴿ قال ﴾ : وسمع من موسى المذكور ، وابن غانم ، وعباس الفارسى ، وسعيد بن عباد ^(١) السرتى ، وكامل بن طلحة ، وابن أبى كريمة .

وسمع منه أحمد بن يزيد ، وابد الله بن الوليد ، وسليمان بن سالم ، وسعيد بن إسحاق .

مولده سنة تسع وخسين ومائة ، وتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين - رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ومنها :

● ١١٥ ﴿ جعفر بن محمد بن عياض المعلم ^(٢) ﴾

﴿ قال ﴾ كان له سماع من عباد بن عبد الصمد ، ومن البهلول بن راشد ، وكان ثقةً عالماً بعبارة ^(٣) الرؤيا ، أقام خمس عشرة سنةً يشتهى التمر فاشترى ٤٣:٢

(١) فى س : « عباس » وهو تحريف .

(٢) له سماعان فى طبقات أبى العرب ١٨١ ، ١٩٦ ولم يترجم له .

(٣) قال فى القاموس ٨٣/٢ : عبر الرؤيا عبراً وعبارة وعبرها - بتخفيف الباء وتشديدها - فسرّها وأخبر بآخر ما يدل عليه أمرها .

له منه رطل ، فلما مرض قال لهم انظروا إلى التمر فإنه في الطاق ومات وتصدقوا^(١)
به ولم يأكله .

تو في سنة ثلاث وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى آمين .

ومنهم :

١١٦ ● (أبو عبد الله : محمد بن سخنون التنوخي^(٢))

﴿ قال ﴾ : سمع والده سخنون ، ومن عبد العزيز بن يحيى المدني ، وموسى بن معاوية الصمادحي ، وعبد الله بن أبي حسان .

﴿ قلت ﴾ : مثل هذا ذكر التجيبي ، وزاد المالكي : وعلى أبيه مُتَمَدُّه .

﴿ قال ﴾ : ورحل إلى المشرق فلقى أبا مُصعب الزهري ، وابن كاسب ، وشيبة بن شبيب النيسابوري .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التجيبي ، وفيه بتر لقول المالكي وغيرهم ، وجعل عوض شيبة : سلمة^(٣) . وكانت رحلته سنة خمس وثلاثين ومائتين .

ذكر ثناء العلماء عليه

﴿ قال ﴾ : كان إمامَ الناس بعد أبيه^(٤) .

(١) في م : « فإنه في الطاق وتصدقوا به ومات .. »

(٢) ترجمته مستفيضة بطبقات الحشني ١٢٩ - ١٣٢ ؛ ورياض النفوس ١ / ٣٤٥ -

٣٦٠ ، والمدارك ٣ / ١٤ - ١١٨ ، والدياج ١٣٤ ، وشجرة النور ١ / ٧٠

(٣) وسلمة أصح كما في الرياض والطبقات .

(٤) في س : « ... الناس لعنائه »

﴿ قلت ﴾ يعنى فى مذهب أهل المدينة ، كما فى التجيبي ولا يقال فيه نظر .
لوجود أبى عبد الله : محمد بن عبدوس ، لأن ابنَ عبدوس كان لا يساويه فى
الشُّهرة - وإن كانت القيروان حينئذٍ سَخُونِيَّةً وَعَبْدوسِيَّةً - وقد قال المالكي : « لم
يكن فى عصره أحدٌ أجمعَ لفنون العلم منه ؛ ألف فى جميع ذلك كُتُبًا كثيرة ،
تنهى إلى المائتين (١) .

﴿ قلت ﴾ والمراد بالكتب: كما تقول : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ،
كتاب الزكاة (٢) ، وليس المراد أن الكتاب الواحد الواحد عبارةٌ عن سفرٍ
والله أعلم .

﴿ قال ﴾ : قال عيسى بن مسكين : خيرٌ من رأيت : محمد بن سَحْنُونٍ ؛ كان

(١) فى الرياض بعد هذا : « فى جميع العلوم وفى المغازى والتواريخ »

(٢) قال عياض : وألف ابن سحنون كتابه المسند فى الحديث وهو كبير ، وكتابه
الكبير المشهور الجامع ، جمع فيه فنون العلم والفقه ، فيه عدة كتب نحو ستين ، وكتاباً آخر
فى فنون العلم ، ومنها كتب السير عثمرون كتاباً ، وكتابه فى المعلمين ، ورسالته فى السنة ،
ورسالته فى أدب المناظرة ، جزءان ، وكتاب تفسير الموطأ أربعة أجزاء ، وكتاب الحجّة على
على القدرية ، وكتاب الحجّة على النصارى ، وكتاب الإباحة ، وكتاب الرد على الكفرية ،
وكتاب الورع ، وكتاب الإيمان والرد على أهل الشرك ، وكتاب الرد على أهل البدع ، ثلاثة
كتب ، وكتاب فى الرد على الشافعى ، وعلى أهل العراق ، وهو كتاب الجوابات - خمسة
كتب - وكتاب طبقات العلماء - سبعة أجزاء ، وكتاب الأشربة ؛ وكتاب غريب الحديث
ثلاثة كتب ، وكتاب التاريخ : ستة أجزاء ، قال بعضهم ألف ابن سحنون كتابه الكبير مائة
جزء وعشرين فى السير ، وخمسة وعشرين فى الأمثال ، وعشرة فى آداب القضاة ، وأربعة
فى الإقرار ، وأربعة فى التاريخ والطبقات ، والباقي فى فنون العلم . قال غيره : وألف فى أحكام
القرآن .

جامعاً لخصال من الخير ، ، منها : العلم ، والورع ، ومعرفة الآثر وكثرة الإيثار والتفقد للاخوان .

﴿ قلت ﴾ : وقال عيسى أيضاً : ما رأيتُ في العلم مثلَ ابنِ سَحْنُونِ .

وقال مرة : ما رأيتُ بعد سَحْنُونِ مثلَ ابنه .

وهذا أخصُّ مما ذكره بالنسبة لكونه أئمةً - ويأتى ما يعارض هذا عند ذكر

ابن عبدوس .

وقال يحيى بن عمر : كان من أكثر الناس حُجَّةً ، وكان يناظر أباه .

وقال ابن حارث : كان فتحَ اللهُ له بابَ التأليف ، وجلسَ مجلسَ أبيه

بعد موته ، وكان سَحْنُونِ يقول لمعلمه : « لا تودِّبه إلا بالمدح والطفِ

الكلام ؛ ليس هو ممن يؤدِّب بالضرب والتعنيف ، وإنى أرجو أن يكون

نسيحَ وحده ، وفريد أهل زمانه ، واركه على الخنثى^(١) وأخاف أن يكون

عمره قصيراً ، فكان كما قال سَحْنُونِ .

وكان سحنون يقول « ما أشبهه بأشهب ! »

﴿ قلت ﴾ : وكان الناس يُحلِّقون عليه بعد حلقة أبيه ، وكان يوافق في حياة

والده ، كان يقول له : « يا محمد احذر أهلَ العراق ؛ فإن له ألسنة حدادا ،

وإياك أن يغلطَ قلمك فتعتذر ؛ فلا يقبل عذرك .

(١) هكذا بالأصل وعاق بهامش بعض النسخ اللحن : العالم بعواقب الأمور . وهي

عبارة القاموس . وفي الرياض : « نخلتى » أى طريقتى وهذا هو الصواب .

ذكر جملة من أخباره

لما عزم على الرحلة للمشرق قال له أبوه : « إنك تقدم على بلدان سماها - / ٤٤:٢
إلى أن تقدم مكة ، فاجتهد جهداً ، فإن وجدت عند أحد من أهل هذه البلدان
مسألة خرجت من دماغ مالك ليس هي عند شيخك - يعني نفسه - فاعلم أن
شيخك كان مفرطاً » .

وكان رجلاً من أصحاب ابن سحنون^(١) حجج ، فاجتمع مع رجل يهودى
صاحب حمام وناظره في أصول الدين فوجده قوياً ، ثم وصل الرجل إلى
إلى القيروان ، فلما عزم ابن سحنون على الحج قال الرجل : « أحج معي حتى
أجمع بينهما » فلما وصل معه لمصر قال له : حفظك الله إن أهل مصر إذا سمعوا
بك يأتون إليك فهل لك أن تدخل الحمام ؟ قال : « أجل أ » فقصد به
حمام ذلك الرجل اليهودى ، فلما قرب خروج ابن سحنون خرج الرجل
صاحبه قبله وأنشبه مع اليهودى المناظرة ، فلما خرج ابن سحنون وجد اليهودى
أفوى من صاحبه فأزاله وأخذ يناظره حتى كانت صلاة الظهر ، فصلاها محمد ثم
رجع ، فلما طلع الفجر وانقطع اليهودى في الحجة ، خرج ابن سحنون وهو يمسح
العرق عن وجهه ، وشاع بمصر أن اليهودى قد أسلم على يدى محمد بن سحنون^(٢)

(١) هو أبو الفضل بن حميد - أخو علي بن الوزير كما بينه المالكي في الرياض . وذكر
أنه لم يكن بالماهر في علم الجدل .

(٢) في الرياض سياق لهذه القصة أوضح وأتم ، وفيه : .. فلما خرج ابن سحنون وجلس
يتناظران ، وقد استعلى اليهودى على الرجل بكثرة الحجاج والمناظرة بالباطل ؛ لضعف الرجل وقلة
معرفته بالمناظرة ، فدخل معها محمد فيما هما فيه ، ورجعت المناظرة بين اليهودى ومحمد بن =

فأتى إليه فقهاء مصر ، فمن جملة من أتاهُ : أبو رجاء بن أشهب وسأله أن
يُنزلَ عنده ففعل .

ولما جلس حلق عليه العلماء ، وسألوه . وكان من جملة من أتى إليه : الزنى :
صاحب الشافعي ، فجلس كثيراً ، لينفض الناس عنه ، ويخلو به فلما خرج قدّمت
إليه دابته ليركب ، قيل له : كيف رأيتَه ؟ قال : والله ما رأيتُ أعلمَ منه ولا أحدٌ
ذهناً - على حدائثِ سنّته - وكان إذ ذاك ابنَ خمسٍ وثلاثين سنة .

ولما وصل إلى المدينة ودخل إلى مسجد النبي ﷺ تسليماً وجد جماعة عظيمة
مُحلّقين على شيخ وهو متكىٌّ ، لكبر سنّه وهم يتنازعون في مسألة من مسائل
أمهات الأولاد ، فنبههم على نُكثته ، فاستوى الشيخ جالساً وقرّرها ، فزاد ابن

سعدون ، حتى حضرت صلاة الظهر ، فأقام محمد الصلاة وصلى ، وعاد إلى المناظرة ، حتى
حضرت صلاة العصر ، فأقام محمد الصلاة وصلى العصر ، ثم عاد إلى المناظرة فلم يزل إلى صلاة
المغرب وقد اجتمع الناس إليهما من كل موضع ، وشاع ذلك بمصر ، وقال الناس بعضهم لبعض :
امضوا نسمع المناظرة بين الفقيه المغربي وبين اليهودي ! فلما كان عند صلاة المغرب انحصر اليهودي
واقطع عن الحجّة ، وظهر عليه محمد بن سعدون بالدلائل الواضحة ، والحجّة البالغة ، فلما تبين
اليهودي الحق بالبرهان ، وأراد الله عز وجل هدايته ، قال عند ذلك : « أشهد أن لا إله إلا
الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ! » فأسلم وحسن إسلامه فكبر الناس عند ذلك وعلت
أصواتهم بالتكبير وقالوا : « أسلم اليهودي على يدي الفقيه المغربي ! » فقام محمد وهو يمسح
العرق عن جبينه ، ثم رد وجهه إلى صاحبه وقال : « لا جزاك الله خيراً عني » ولامه أشد
اللوم وقال له : « كاد أن تجرى على يديك فتنة عظيمة ، كيف أتى إلى رجل يهودي تناظره
وأنت ضعيف المناظرة والجدال ؟ فإذا رأى من أراد الله فتنته هذا الذي كان يهودياً قد غلبك
واستظهر عليك بباطله أدخلات عليه الفتنة ، ودأخله الشك في دينه ، فلا تكن لك عودة لمثل
هذا ، وتب إلى الله عز وجل من ذلك ولولا أني خفت الفتنة على الناس أن يدأخلهم شك في
دينهم ما ناظرته » .

سَحْنُونُ أُخْرَى ، قَالَ الشَّيْخُ : مِنْ أَىِّ بِلَادٍ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ ، قَالَ :
مِنْ أَىِّ بَلَدَةٍ مِنْهَا ؟ قَالَ : « مِنْ الْفَيْرَوَانِ » ، قَالَ : « يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَحَدَ
الرَّجَلَيْنِ إِمَّا مُحَمَّدَ بْنَ سَحْنُونٍ وَإِمَّا مُحَمَّدَ بْنَ لِبْدَةَ : ابْنِ أَخِي سَحْنُونٍ ؛ فَإِنْ هَذَا
التَّنَكُّيْتُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ دَارِ سَحْنُونٍ » ، فَقَالَ لَهُ : « أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
سَحْنُونٍ ! » فَجَاءَ إِلَيْهِ وَصَافِحَهُ وَخَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَجَعَلَ ابْنُ سَحْنُونٍ يُعَلِّمُ
عَلَى الشَّيْخِ بِالطَّرِيقِ ، وَهُوَ يَكْتُبُ الْمَسْأَلَةَ .

وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ يُؤَلِّفُ إِلَى أَنْ حَضَرَ الْعِشَاءُ فُجَاءَتْهُ جَارِيَتُهُ « أُمُّ مَدَامِ »
بِالْعِشَاءِ - وَكَانَتْ عِنْدَهُ تِسْعَةُ أَمْرَةٍ لِكُلِّ سَرِيرٍ سَرِيَّةٍ - فَقَالَ لَهَا : « يَا أُمَّ
مَدَامِ أَنَا مُشْغُولٌ عَنِ الطَّعَامِ بِمَا أَنَا فِيهِ ، فَلَمَّا طَالَ انْتِظَارُهَا أَخَذَتْ تَلْقَمَهُ وَهُوَ
عَلَى حَالِهِ يُؤَلِّفُ حَتَّى أَتَتْ عَلَى جَمِيعِهِ ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى أَذِنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ
الصُّبْحِ فَطَوَى كِتَابَهُ وَقَالَ : « يَا أُمَّ مَدَامِ هَاتِ مَا مَعَكَ مِنَ الْعِشَاءِ ! » فَقَالَتْ :
يَا سَيِّدِي إِنِّي أَطْعَمْتُكَ إِيَّاهُ » ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ بِذَلِكَ » .

قَالَ عَيْسَى بْنُ مَسْكِينٍ : لَمَّا وَصَلَ / كِتَابَ الْإِمَامَةِ الَّذِي أَلْفَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونٍ ٢ : ٥٥
إِلَى بَغْدَادٍ كَتَبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ ، وَأَهْدَى إِلَى الْخَلِيقَةِ .

﴿ قُلْتُ ﴾ : وَنَقَلَهُ الْمَالِكِيُّ عَنْهُ ، وَجَعَلَ عِوَضَ بَغْدَادٍ : مِصْرَ - وَلَا مَانِعَ أَنْ
يَقُولَ الْمُقَاتَلِينَ ، فَأَخْبَرَ عَيْسَى أَوْلَادَهُ عَنْ وَصُولِهِ لِبَغْدَادٍ وَثَانِيًا عَنْ وَصُولِهِ لِمِصْرَ .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْبَلْبَادِ : « أَتَى مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونٍ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ زَائِرًا
إِلَى عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الزَّاهِدِ بِقَصْرِ زِيَادٍ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ

وَتَرَكَه جَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسَ وَلَمْ يَقْبَلْ عَلَيْهِ حَتَّى انصَرَفَ ، فَلَمَّا كَانَتْ (١)
الْجُمُعَةُ الْآتِيَةَ انْتَهَضَ ابْنُ سَعْنُونٍ مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى زِيَارَةِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، فَقَالُوا لَهُ :
« رَأَيْنَاهُ لَمْ يَقْبَلْ عَلَيْكَ وَلَا رَحَّبَ بِكَ فَكَيْفَ تَعُودُ إِلَيْهِ بَعْدَ هَذَا ، ؟ فَقَالَ :
« لَيْسَ هَذَا بُعِيَّتِي ؛ هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ رُجِّي بَرَكَةُ دَعَائِهِ ، وَكَانَ وَالِدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى - يَأْتِيهِ وَيَتَبَرَّكُ بِدَعَائِهِ وَيَلْجَأُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْمَهْمَاتِ مِنَ الْأُمُورِ » ، فَتَوَجَّهَ
مُحَمَّدُ زَائِرًا ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ قَامَ إِلَيْهِ عَلَى رِجْلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ ، وَأَجْلَسَهُ فِي
مَوْضِعِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ مُقْبِلًا عَلَيْهِ حَتَّى انصَرَفَ ، فَرَجَعَ إِلَى عَبْدِ الرَّحِيمِ بَعْضُ أَصْحَابِ
مُحَمَّدِ بْنِ سَعْنُونٍ فَقَالَ (٢) لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ رَأَيْنَا مِنْكَ عَجَبًا ! « فَقَالَ لَهُ :
« وَمَا هُوَ ؟ » قَالَ : « أَتَاكَ مُحَمَّدُ تِلْكَ الْجُمُعَةَ فَلَمْ تُقْبَلْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَتَاكَ الْيَوْمَ
فَأَقْبَلْتَ عَلَيْهِ ! ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ : « وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَقَبِلْتَهُ لثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ :

الأول : أَنَّهُ أَتَانِي فِي تِلْكَ الْجُمُعَةِ وَرَأَيْتُ اجْتِمَاعَ النَّاسِ حَوْلَهُ فَخَفْتُ - إِنَّ
أَنَا أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ - أَقْبَلْتُهُ (٣) ، فَعَمَلْتُ مَا عَمَلْتُ لِصَلَاحِ حَالِهِ .

الثاني : لِأَجْرٍ بِهِ ؛ فَإِنَّ وَالِدَهُ كَانَ يَعْتَقِدُنِي وَيُزَوِّرُنِي ، فَكَلَّمْتُ : لَا أَقْبَلُ عَلَيْهِ
حَتَّى أَرَى هَلْ يَرْجِعُ إِلَيَّ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ رَجَعَ إِلَيَّ عَلِمْتُ أَنَّ اعْتِقَادَهُ مِثْلُ
اعْتِقَادِ وَالِدِهِ .

(١) فِي س : « عَادَتْ » .

(٢) فِي م : « فَقَالُوا » .

(٣) فِي م : « الْفِتْنَةُ » .

الثالث : رأيتُ في منامى - في الليلة المقبلة من تلك الجمعة التي لم تقبل عليه فيها قائلاً يقول لى : مالك لم تُقبل على محمد بن سحنون وهو يخشى الله عز وجل ؟!

﴿ قال ﴾ : وروى عن الشيخ أبي الحسن بن القاسبي ، رحمه الله تعالى : أن رجلاً كان يشتمُّ محمد بن سحنون وينالُ من عِرْضه ويؤذيه ، وكان على مذهب أهل أهل العراق . فافتقر الرجل واشتدَّ عليه الحال ، فقال : « والله لأمضينَّ إلى محمد ابن سحنون ؛ لما يسمع من كرمه ، فدخل عليه وعليه أطمارٌ - فسلمَّ عليه ، فأقبلَ عليه محمد بن سحنون وقال له : « ما حاجتك ؟ » وكان قبل ذلك يأتي إليه ^(١) فيقول له : « أحبُّ أن أكرمك في شتمِّه في أذنه فيقول له محمد : « جزاك الله خيراً » ولا يعرف أحدٌ ما يقوله إلى ذلك اليوم ، فقال له : « أصلحك الله ! جئتُ تائباً مما كنتُ أفعل ، فقال له ابن سحنون : « دع هذا واذكر حاجتك ، فقال : « والله ما أتى بي إليك إلا الحاجة ! » فاسترجع ابنُ سحنون ، واغتمَّ لذلك ، وقال له : « يا أخى نزل بك هذا وأنا في الدنيا ؟ » ثم كتب له رقعة/ وقال له : امض بها إلى فلان الصيرفي ، فمضى إليه فأعطاه عشرين ٤٦: ٢ ديناراً فأخذها واشترى منها ما يحتاج إليه وأتى بالحمالين إلى الدار ، فقالت له جته : « ما هذا ؟ » فقال : « أعطاني الرجلُ الذي كنتُ أشتمُّه ، ثم أقبل رُجل وهو يقول : « العراق منه جاءت الفتنة ، ومنه أقبل كل شرٍّ ، ثم أتى

(١) في س : « يأتيه .

إلى محمد بن سحنون فأخبر: بما فعل؛ فقال له محمد: «تقدر على السفر؟» قال: «نعم» فكتب له كتاباً وقال: «امض إلى قَسَطِيبِيَّةَ فأخذه ومضى إليها، فلما وصل أنزله أصحابه وأضافوه ضيافةً حسنة، ثم أعطوه ثلاثاً مائة ديناراً وهدايا من طرائف بلادهم، فظنَّ الرجل أنها لمحمد بن سحنون فلما وصل إلى القيروان دخل إلى محمد فأعطاه كتابَ القوم، فلما قرأه استرجع وقال: «حال الناس! وهكذا عهدناهم!» فقال له الرجل: «إن كان بقي لك عندهم شيءٌ فأنا أرجع إليهم ثانية» قال له محمد: «يا أخي إنها لك، فكأنى لم أجد من أبعثُ إلا أنت!» وإنما عجبتُ من تغييرِ الزمان في هذا الوقت!!

﴿قلت﴾: وإنما قال له: «جزاك الله خيراً» لاحتمال وجهين:

أحدهما: لأنه قال ذلك في أذنه، لا يسمعه من حضر.

الثاني: لكونه أهدي له حسنات باقية^(١).

(١) سياق المالكي (٣٥٢) يفتي كلا من الاحتمالين، وهو أم ما هنا. حيث بين أن هذا الرجل كان يعمل لحساب العراقيين على سب محمد فكان إذا وجده وحده سبه علانية، وإذا وجده في أصحابه سبه سراً في أذنه، وفي كل ذلك لا يرد عليه محمد سباً به؛ صبراً منه على الأذى، ورجاء لثواب الله عز وجل - لا لواحد من الاحتمالين المذكورين - فأتاه يوماً فوجده مع أصحابه، فسبه في أذنه، فلما فرغ من سبه خاف محمد من أصحابه أن يبطشوا به، فقال: نعم وكرامة. . . إلخ وأوهم الحاضرين أنه إنما سأله حاجة وأفاد المالكي بعد هذا أن سلوك محمد هذا يمت الشك في نفوس العراقيين حول الرجل فقطعوا عنه الجمل فكان ذلك سبب لجوئه إلى ابن سحنون بعد.

واظفر بقية الرواية عند المالكي ففيها: أن ابن سحنون كتب إلى ثلاثين من مياسير أصحابه يسأل كل واحد في شراء جارية وتوجيهها إليه وأن الجوارى الثلاثين وصلن إليه في مدة يسيرة وأنه باع خمساً منهن وكسا بمنهن الباقيات وأهداهن إلى العراقي امتثالاً لقوله تعالى: (ادفع باني هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم).

قال بعضهم : كنت بالمنستير^(١) وإذا برجل يقرأ في جوف الليل وهو يصلي (وقاسمها
إني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور)^(٢) ويبكي ودموعه تقع على الحصير
- طلق طلق - من كثرتها أو هو يكرر الآية ، وما زال يكررها حتى طلع الفجر -
ولأدري من يكون - فلما خرج إذا هو محمد بن سحنون رحمه الله تعالى .

ذكر بقية اخباره

لما تولى والده القضاء اعتنى بسليمان بن عمران حتى استكتبه ، ثم عني
به حتى ولاه قضاء باجة ، فلما مات سحنون ، وولى سليمان قضاء القيروان ساءت
الحال بينهما إلى أن توارى ابن سحنون ، ثم كتب إلى الأمير بيت عثمان
ابن عفان الذي كتب به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما :

فإن كنت ما كولاً فكن خير آكل
وإلا فأذركني ولما أمزق^(٣)

فقال الأمير : محمد بن أحمد بن الأغلب : « ومن يمزقه مزق الله جلده ؟ »

(١) في س : « بالمفرق . »

(٢) سورة الأعراف : ٢١ - ٢٢

(٣) ليس البيت أميان رضي الله عنه ، وإنما تمثل به في خطابه حين أحيط به كما في خبر
أورده المبرد في الكامل ١٨/١ (ط . الحلبي) ، وهو من نصيدة لشاس بن نهار العبدى ،
ويلقب بالمزق . راجع الشعر والشعراء ١/٣٦٠ ، واللسان ١٢/٢١٩ و ١٣/٢١ والمؤتلف والمختلف
للأموى ص ١٨٥ ط ٠ بالقاهرة سنة ١٣٥٤ ، والأصمعيات ١٩٠ (ط . المعارف) وطبقات نخول
الشعراء ٢٣٢ (ط . المعارف) .

قَتِيلَ لَهُ : « سَلِيَانُ بْنُ عَمْرَانَ ، فَأَمْرٌ بِرَفْعِ يَدِهِ عَنْهُ ، فَقَامَتْ رِئَاسَةُ مُحَمَّدٍ وَتَوَفَّيْتُ
سُحْرَمَتَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي إِذْ لَقِيَهُ صَلْحِبُ الصَّلَاةِ وَالْخَطْبَةُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
الْحَوَاجِبِ ، فَأَوْمَأَ إِلَى ابْنِ سَحْنُونَ وَقَالَ : « يَا زَانَ يَا ابْنَ الْغَاةِ ! » فَأَجَابَهُ
ابْنُ سَحْنُونَ جَهْرًا : « تَقْضَى حَاجَتُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » وَأَوْهَمَ مِنْ حَضْرِهِ
أَنَّهُ يَسْأَلُهُ - وَأَعْلَمَ الْخَطِيبُ : سَلِيَانُ بْنُ عَمْرَانَ بِجَوَابِهِ ، وَرَكِبَ ابْنُ سَحْنُونَ إِلَى
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَيْعَةَ الْحَضْرَمِيِّ ، مِنْ رِجَالِ الْمَلِكِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَسْأَلَ الْأَمِيرَ
أَنْ يَرُدَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَالِبٍ عَلَى الْخَطْبَةِ وَالصَّلَاةِ فَعَفَلَ / ، وَأَرْسَلَ ابْنَ سَحْنُونَ ٤٧: ٢
لِأَبْنِ طَالِبٍ ، وَقَالَ لَهُ : إِذَا رَأَيْتَ ابْنَ أَبِي الْحَوَاجِبِ خَرَجَ مِنَ الْمَقْصُورَةِ
فَقُمْ أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَارْقَ الْمَنْبَرَ وَاخْطُبْ ، فَرَكِعَ ابْنُ طَالِبٍ إِلَى جَانِبِ ابْنِ
سَحْنُونَ - وَسَلِيَانُ بْنُ عَمْرَانَ جِوَارَ الْمَنْبَرِ - فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ أَبِي الْحَوَاجِبِ
مِنَ الْمَقْصُورَةِ لِيَرِقِيَ الْمَنْبَرَ قَامَ ابْنُ طَالِبٍ - وَقَدْ تَقَلَّدَ سَيْفَهُ - وَمَدَّ يَدَهُ خَبَّابَ
الْمُؤَذِّنِ لِيُثَوِّبَ ابْنَ أَبِي الْحَوَاجِبِ فَجَذَبَهُ ، وَرَقِيَ ابْنُ طَالِبِ الْمَنْبَرَ - وَكَانَ
فَصِيحًا - وَكَانَ سَلِيَانُ الْقَاضِي قَدْ نَعِسَ ؛ فَمَا رَاعَهُ إِلَّا صُوتَ ابْنِ طَالِبٍ وَهُوَ
يَقُولُ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى ، وَعَلَى مُلْكِهِ احْتَوَى ، وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ يُرَى » فَرَكِبَتْ سَلِيَانُ حَيْرَةً ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ، وَابْنُ أَبِي الْحَوَاجِبِ
الْخَطِيبُ قَدْ بُهَتَ ، وَابْنُ سَحْنُونَ يَتَبَسَّمُ ، وَنَزَلَ ابْنُ طَالِبٍ فَصَلَّى . وَانصَرَفَ
سَلِيَانُ وَابْنُ أَبِي الْحَوَاجِبِ وَالْعَرَاقِيُّونَ - وَالْقَاضِي يَقُولُ : « لَا تَنْكُرُ لِلَّهِ قُدْرَةَ »
فَبَكَى ابْنُ أَبِي الْحَوَاجِبِ ؛ فَقَالَ لَهُ سَلِيَانُ : وَاللَّهِ لَا قَصْرَ حَتَّى تَخْطُبَ
هَذِهِ الْجُمُعَةَ الْمُقْبِلَةَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَكَلَّمَ سَلِيَانُ عَشْرِينَ رَجُلًا مِنَ الْعَرَاقِيِّينَ مِنْ

شيوخ القيروان وأمرهم أن يركبوا معه إلى الأمير ويزكوا ابن أبي الحواجب، فبلغ ذلك ابن سحنون فوجه إلى الحضرمي من أعلمه بالخبر، فاستأذن الحضرمي علي الأمير، فدخل عليه، وقال له: « إن قوماً يذهبون إلى القول بخلق القرآن »، وقد أتوا مع القاضي يزكون ابن أبي الحواجب المبتدع، ويسألون الأمير أن يرده إلى الصلاة وأن يعزل ابن عمه عنها، فقال له الأمير اخرج إليهم وأمرهم أن ينصرفوا، وأعلمهم أن الجرحه أولى من التزكية! فخرج الحضرمي؛ فقال لهم: « ألا تستحيوا؟ أراد الأمير تخطيط ابن عمه ابن صالب وتريدون عزله! انصرفوا بأمر الأمير »، فرجعوا ولم ينصرفوا إليه.

ولم تزل أمور ابن غالب تنمو حتى عزل سليمان، وولى القضاء ابن طالب، والرئاسة في الوقت لابن سحنون بالقيروان، وبتونس لابن غافق، وبقسطيلة لاحمد ابن علول.

وذكر أن محمد بن سحنون كان جالساً ضحى من النهار يُلقى على أصحابه وهو منشرح مقبل عليهم، حتى وجم؛ فأطرق ساكناً متفكراً، ثم نهض للقيام وقال: « من حضرته نية للقيام لزيارة واصل بن عبد الله اللخمي المتعبد فليفعل » ثم خرج من فوره وخرج أصحابه معه، حتى وصل إلى قصر الرباط بجمة فدخل إلى القصر في اليوم الثاني — المؤذن يؤذن الظهر — فنزل عن دابته وتوضأ للصلاة هو وأصحابه وصلوا مع واصل صلاة الظهر، فلما فرغ من الصلاة والنافلة تقدم إليه محمد بن سحنون فقال له واصل: « يا هذا رأيتك مررت بيدك على لحيتك وهذا عمل لا يجوز! » فقال ابن سحنون: « وأنت يا شيخ أعد صلواتك،

فانك أشغلت سرّك بي ، وسألت الله أن نأتيك ، ونراه قد فعل فهل من حاجة ؟
قال له « أتكون ابن سحنون ؟ » قال : « نعم » فصاحفه وسلم عليه .

وما / ذكر من إعادة الصلاة إنما هو على طريق الورع - والله أعلم - وهكذا
كانت العلماء ارضى الله عنهم .

﴿ قال ﴾ : وروى أن محمد ابن سحنون رحمهما الله تعالى ناظر شيخا
معزلياً اسمه محمد - قدم على القيروان - في خلق القرآن ، فقال محمد
ابن سحنون : « كل مخلوق يذلُّ الله عز وجل ! » قال : فسكت الرجل ولم يجد
جواباً ، فقال له ابن سحنون : « كم سنك يا شيخ ؟ » فقال : « ثمانون سنة . »
قال : « اختلف العلماء في الصلاة على الميت إذا أتت عليه سنة كاملة وهذا الشيخ له
ثمانون سنة في عداد الموتى ! » .

وشرح أربعة كتب من المدونة منها : كتاب المراجعة .

ذكر وفاته رحمه الله تعالى

كانت وفاته بالساحل ، وأتى به إلى القيروان ، وخرج الناس لدفنه ، وغلقت
الكتائب والحوانيت من أجله .

وتوفى سنة ست وخمسين ومائتين ، وعمره أربعة وخمسون سنة ،
وصلى عليه إبراهيم بن أحمد^(١) ودفن بباب نافع بمقبرة من قبر أبيه .

(١) في المدارك : أن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب الذي صلى عليه كان هو الأمير حينئذ

﴿ قلت ﴾ : هو قبلة أبيه ، بينه وبين أبيه خطوات ، وعند رأسه سارية طويلة ، وهو مزارٌ يعرفه الخاصة والعامة ورثي بثلاثمائة مرثية ، والمرثية هي القصيدة ، ومن هنا تُعرف عمارة القبروان - من ذلك (١) :

لقد مات رأسُ العلمِ وانهدت ركنُهُ
وأصبحَ من بعد ابنِ سحنونِ وإيها
فَمَنْ لِرُوَاةِ الْعِلْمِ بِعَدِّ مُحَمَّدٍ
لقد كانَ بَحْرًا واسعَ العلمِ طاميا ؟
وَمَنْ لِرُوَاةِ الْعِلْمِ وَالرَأْيِ وَالْحِجَا
وَقَدْ أَصْبَحَ الْمَفْضَالَ فِي التَّرْبِ ثَاوِيَا ؟
لقد أفجع الإسلامَ موتُ مُحَمَّدٍ
وَأَصْبَحَ مِنْهُ جَانِبَ الْعَيْنِ خَالِيَا
بَكَى كُلُّ مَنْ بِالْقَرْبِ عِنْدَ وَفَاتِهِ
وَحَقَّ لِمَنْ بِالْقَرْبِ إِنْ يَكُ بَاكِيًا
قال أبو بكر التجيبي : « وهذا أحسن ما رأيت » .

(١) أورد القاضي عياض في المدارك هذه القصيدة غير منسوبة ثم أورد مرثية أخرى لأحد ابن أبي سليمان مما يفيد أن هذه لغيره وأنها فصيحتان وإن اتفقتا في الوزن والروى . ويذهب أحمد بن أبي سليمان إلى أن ابن سحنون عاش سبعا وأربعين سنة وقد سجل هذا في توله :

فقد عاش خمسا بعد خمسين حجة . . . يحامى عن الاسلام الاثمانيا
وهذا يخالف ما هنا .

﴿ قال ﴾ : قال أبو محمد بن أبي زيد رضى الله عنه « : لما مات محمد بن سحنون رحمة الله عليهما أقامت البيوع والأثرية والقبابُ مضروبةً على قبره أربعة أشهر بالليل والنهار ، فما صرفهم عن ذلك إلا هجم الشتاء » .

﴿ قلت ﴾ : وقال ابن حارث : « أقام الناس على قبره أشهر عدة حزنا عليه وأسفًا على فراقه » .

وقال التجيبى : « أقامت الأسواق والبيوع والأثرية على قبره نحوًا من سنة » .

﴿ قلت ﴾ : وقال غيره : « لم تفرق الناس عنه حتى خاف من ذلك ابن الأغلب فبعث إلى ابن عم سحنون المعروف بابن أبي لبدة يفرِّق الناس » .

وهكذا كانت الناس مع وجود أبي عبدالله : محمد بن عبدوس وغيره - واليوم يكون في البلدة عالم واحد ليس فيها مثله ، فإذا مات فحدهم أن يجدوا عليه حتى يدفنوه ويرجعوا إلى حوانيتهم وأشغالهم ، وكأنه ما كان بين أظهرهم ، ولا تفهم في دينهم ، ولا ذب عنهم في دنياهم ، فذهب الناس ، ولم يبق في غالب الأمر إلا الكناس !! فإننا لله / وإنا إليه راجعون .

ومنهم :

● ١١٧ ﴿ أبو عبد الله : محمد بن إبراهيم بن عبد الله ﴾

﴿ ابن عبدوس صاحب المجموعة ﴾^(١)

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون ، وموسى بن معاوية ، وعبد العزيز بن يحيى المدني .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

﴿ قال ﴾ : كان من أهل الفقه والزهد والإجابة والتواضع والفضل الباهر ، أشبه الناس باخلاق سحنون في قبه وزهده وسيرته وهيئته . وكان القاضي حماس يقول :
« ما رأيتُ مثلَ ابنِ عبدوس في الفقه والعبادة » .

وكان يجلس في ركن المسجد فإذا جاء السائل لم يعرفه ؛ من تواضعه وزهده .
وكان يركب بين السلال^(٢) إذا سار إلى منزله .

﴿ قلت ﴾ : وكلام حماس يقتضى ترجيحه في الفقه على محمد بن سحنون ، وهذا لا ينافي ما قلناه قبل من أن ابن عبدوس كان لا يسأويه في الشهرة ، كما أنه لا منافاة بينه وبين ما تقدم للمالكي : « لم يكن أحد في عصره أجمع لعموم العلم منه ، لأن

(١) ترجم له الحشني في طبقاته ص ١٣٣ والمالكي في الرياض ١/٣٦٠-٣٦٢ ، وعياض في المدارك ٣/١١٩ - ١٢٤ ، وابن فرحون في الديباج ٢٣٧ ، وابن مخلوف في شجرة النور ١/٧٠ والمجموعة المشار إليها في صدر الترجمة احدى كتبه الجامعة المعتمدة في فقه مالك وأصحابه
(٢) عبارة المالكي : « وكان رحمه الله على غاية من التواضع : يجلس محتبياً زائلاً عن صدر مجلسه ، فالجاهل به لا يعرف أنه صاحب المجلس ، « وكان يركب من غير سرج » حتى عوتب في ذلك ؛ فاشترى سرجاً دنياً كالقنب ، فكان يركب بين السلال إذا ذهب إلى منزله »

حماساً وإنما رجحه في الفقه خاصة ، وهو ظاهر قول القاضي أبي العباس : عبد الله بن طالب : « اللهم أبني ، ما أبيت محمد بن عبدوس ؛ أتدري به في ديني » .

﴿ قال ﴾ : قال أبو القاسم بن شبون : « ما أظن كان في التابعين مثل ابن عبدوس ^(١) » .

ولم يكن في أيام سحنون أقره من ابنه محمد ، ومن محمد بن عبدوس ، وكانت الناس في أيامهما بين حزينين : المحمدية والعبدوسية .

﴿ قلت ﴾ والذي يظهر من بعض كلامهم أن ابن عبدوس أقره ، ولقد تكلم مع ابن عبدوس يوماً في مسألة ، فقال ابن سحنون : قال فيها سحنون كذا ، فقال له ابن عبدوس : « لم يقله ، لو قاله لرويناه ! » فلما مشى ابن سحنون إلى داره أخذ ورقة وقال لبعض أصحابه : « امش إلى ابن عبدوس وقل له : خط من هذا ؟ فإن قال لك : هو خط سحنون ، قل له : اقرأ هذا اللفظ ، فإذا قرأه قل له : يقول لك محمد بن سحنون : أتكون منزلتي عند سحنون كمنزلتك ؟ أنا معه في الدار وغيري برء » فذهب قرأه فوجده كما قال ابن سحنون .

وهو أيضاً ظاهر قول أبي بكر الشجبي : « كان أبو سعيد بن أخي هشام يميل إلى كتاب ابن سحنون وكان — فيما رأيت — يعتمد عليه ، وكان أبو القاسم ابن شبون يفضل المجموعة على غيرها ، ويعتمد عليها » .

﴿ قلت ﴾ : وهذا يرجح الأول ، لأن ترجيحه لها إنما هو لما احتوت عليه

(١) هذا قول أحمد بن أبي زياد لابن حارث في ابن عبدوس كما في ترجمه له .

من الفقه - وقيمة الإنسان ما ألف - وهو ظاهر قول أبي العرب: « قلت لحبيب: صاحب مظالم سحنون: » من كنت تسأل إذا نزلت بك المسائل ؟ ، قال: / « كنت أسأل سحنونا ، فإن لم أقدر على سؤاله سألت محمد بن عبدوس ، ٢ : ٥٠ . فتخصيصة لسؤاله بعد سحنون دون غيره يدل على ما قلناه - والله أعلم . وتقدم خلاف هذا من قول عيسى: « ما رأيت في العلم مثل ابن سحنون » .

ذكر بقية أخباره

قال أبو عبد الله: محمد بن حارث: كان ابن عبدوس مستجاب الدعاء ، دعا على ابن الأغب .

﴿ قال ﴾ : روى الشيخ أبو الحسن بن القاسبي قال : « أتى رجل يوماً إلى ابن عبدوس - في الوقت الذي اختلف فيه أصحاب سحنون في مسألة الإيمان هل يقول : أنا مؤمنٌ إن شاء الله أم لا ؟ فضرب عليه بابه فخرج إليه ، فقال له الرجل : « ما مذُهبك في الإيمان ؟ » فقال له : « أنا مؤمن » ، فقال له : « عند الله ؟ » فقال له : قلت لك أنا مؤمن . فأما عند الله فلا أقطعُ لنفسى بذلك ، لا أدري ما يُختمُ لي به ، فبصق^(١) الرجل في وجه محمد بن عبدوس ؛ فعمى الرجل في وقته ؛ وانتقم الله تعالى منه .

﴿ قلت ﴾ : « المسألة المشار إليها هي : هل يجوز أن يقال أنا مؤمن ؟ أو لا بد »

(١) في الأصل : « فصق » والتصويب من الرياض .

من زيادة إن شاء الله؟ فقال ابن سحنون ومن قال بقوله بالأول ، وقال ابن عبدوس ومن قال بقوله بالثاني^(١) .

قال عياض : « وخلافهم فيها خلاف في حال فمن التفت إلى أن الآخرة مُغَيَّبَةٌ قال بالاستثناء ، ومن التفت إلى صحة مُتَقَدِّهِ نفاه » .

ثم نشأ خلاف في أيام الشيخ أبي محمد بن أبي زيد فوقع بينهم تنازع هل يقول : « أنا مؤمن عند الله أم لا ؟ » والصحيح ما قاله أبو محمد : « إن كان سريرتُك مثلَ علائفتك فأنت مؤمن عند الله ، وإلا فلا » .

﴿ قال ﴾ : قال محمد بن بسطام : « كنت في بيتي في ليلة شتوية إذ دقَّ عليَّ الباب ، وإذا محمد بن عبدوس وعليه جُبَّةٌ صوف ، وقَانِسُوَةٌ من فَرُو ، فقلت : « ماجاء بك في هذا الوقت ؟ » فقال : « ما بتُّ الليلةَ غَمًّا بفقرَاءِ أمةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليماً؟! هذه مائة دينار ذهباً - وأخرج بها يده من طوقه - وهي غَلَّةٌ ضَيْعَتِي ، احذر أن تُنْسِيَّ الليلةَ وعندك منها شيء » ثم انصرف .

(١) شنع أصحاب ابن سحنون على ابن عبدوس وأصحابه بهذا وسموهم بالشكوكية ، وقاله ا : إن ابن عبدوس بهذا يشك في إيمان نفسه . قال عياض : والذي صح عن ابن عبدوس أنه قال : « أدين أني مؤمن عند الله في وقتي هذا » ولا أدري ما يحتمل به . ثم روى عن أحمد بن أبي سايان قوله لابن عبدوس : الناس يتكلمون نيك ، وزعموا أنك تشك في نفسك وتقول : لا أدري ، وأرجو أن أكون مؤمناً إن شاء الله . فقال : والله ما قلته قط فلا جزى الله من حكى هذا عنى خيراً ، ما شككت قط أني مؤمن عند الله . الخ

وإذا فما كان للثنيح على ابن عبدوس وأصحابه من أساس وقاتل الله الهوى والحزبية والتعصب المدهي !!

﴿ قلت ﴾ : ذكر أبو بكر التَّجِيبِي ، قال : حدثنا أبو العباس : تميم بن محمد ، عن أبيه ، قال : قال محمد بن بسطام و ذكر ما تقدم .

﴿ قال ﴾ : وروى أن محمد بن عبدوس أقام ثمانياً وعشرين سنة يُصَلِّي الصبح بوضوء المغرب منها أربع عشرة سنة صلاة ، وأربع عشرة سنة درسا للكتب .

﴿ قلت ﴾ : فيه المخالفة لنقل أبي بكر المالكي عن ائمان بن يوسف : أن إقامته الثمانين وعشرين سنة كانت بوضوء العشاء الآخرة ، وزاد : وأنه أقام سبع سنين يدرس العلم ، لا يخرج من داره إلا لصلاة الجمعة ^(١) ، وكلاهما خلاف قول الشيخ أبي بكر بن اللباد : أقام سنة يُصَلِّي الصُّبْحَ بوضوء العتمة - كما تقدم - نصفها للدراسة العلم ونصفها للعبادة . ولم يحك عياض غيره .

وذكر يوماً رجلا في مجلسه بكلام سوءٍ وأكثر من ذلك ، فقال له إسحاق أخوه : « يكفيك من القول فيه ما قلت ! » فقال له محمد : « والله ما يكفيني ؛ سمعت سحنون بن سعيد يقول : إن صح عندك فجور الرجل فلا تتورع أن تقول فيه حتى يحذره الناس ، لا والله ما يكفيني . »

﴿ قلت ﴾ : / ظاهره وإن كان فجوره بنواع لمعاصي من الخيانة وتضييعه ٥١ : ٢

(١) عبارة المالكي : « قال ائمان بن يوسف : وأما محمد بن عبدوس سبع سنين يدرس العلم ، لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة ، ومن طربق ابن التبان أبي محمد - : عبد الله بن إسحاق - أن ابن عبدوس أقام أربع عشرة سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء الآخرة مشتغلا بدراسة العلم ، وأقام أربع عشرة سنة غيرها مشتغلا بقيام الليل وتهجد فيه وتلاوة القرآن . »

للصلوات وغير ذلك ، لا بتخصيصه بكونه شيعياً ، ويدل على ذلك قوله ، حتى يحذره الناس ، يعني من وضع أمانة عنده ، وتزويجه ومحو ذلك .

والذى به الفتوى أنه لا تجوز الغيبة فى العاصى بجوارحه (١) ، وما جاء من الحديث « لا غيبة فى فاسق (٢) » ، لم يصح ، سألنا صاحبنا الفهمه بعضهم على

(١) إلا ما استثناه العلماء تبعاً لما ثبت لديهم من أدلة هذا الاستثناء ؛ قال ابن حجر فى الفتح (٣٨٧/١٠) : محل الزجر (عن الغيبة) إذا لم يترتب عليها حكم شرعى ، فأما ما يترتب عليه حكم شرعى فلا يدخل فى الغيبة ثم قال : قال العلماء تباح الغيبة فى كل غرض صحيح شرعاً حيث يتعين طريقاً للوصول إليه بها كالتظلم ، والاستعانة على تغيير المنكر ، والاستفتاء ، والمحكمة ، من الشر ، ويدخل فيه تجريح الرواة والشهود وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده ، وجواب الاستشارة فى نكاح أو عقد من العقود ، وكذا من رأى متفقاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق ويخاف عليه الاقتداء به ، ومن تجوز غيبته من يجاهر بالفسق أو الظلم أو البدعة .. الخ .

(٢) أخذنا مما رواه بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضوان الله عليهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزعون عن ذكر الفاجر ؟ متى يعرفه الناس ؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس .

قال الحكيم الترمذى : معناه إذا غلب عليه الفجور وقد أعلن به وهتك ستره ، فإذا لم يبق له ستر استحال أن يستر أو يكتم أمره ، وفى كتابنا أمره خيانة ولهذا قال عليه السلام : متى يعرفه الناس ، ثم بين نفع الذكر فقال : يحذره الناس ، وإنما هذا الذكر لمن احتسب به النصيحة للعامة لئلا يفتربه مسلم ، فأما من ذكر تشفياً لفيظه أو انتقاماً لنفسه فهو خارج عن هذا الحديث حتى يذكره على تلك النية هـ .

وهذا الحديث أخرجه الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى فى الكامل وابن أبى الدنيا فى الصمت - كما أفاده العراقى فى تخرىج أحاديث الإحياء ١٣٢/٣ - ١٣٣ والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ص ٢١٣ . وذكر العجلونى فى كشف الحقائق ١٧١/٢ - ١٧٢ أن فى إسناد الحكيم روى بالكذب ثم رجح القول : أن الحديث لا أصل له .

وأورده ابن حجر فى التهذيب ٤٩٩/١ فى ترجمة بهز بن حكيم عن البغدادى فى كتاب التمييز قال : قلت لأحمد يعنى ابن حنبل : ما تقول فى بهز بن حكيم ؟ قال : سألت غندراً عنه ، فقال : قد كان شعبة مسه ، لم يبين معناه ، فكنت عنه ، قال : وسألت ابن معين : هل روى شعبة عن بهز ؟ قال : نعم . حديث . أنزعون عن ذكر الفاجر . وقد كان شعبة متوقفاً عنه . وقال أبو جعفر السبئى . بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده صحيح . =

مَنْ يَتَمَدَّحُ بِذَلِكَ كَالْأَعْرَابِ إِذَا قِيلَ : « فُلَانٌ سَارِقٌ » يَجِبُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ
عَنْ نَجَابَتِهِ ، وَإِلَيْهِ كَانَ يَذْهَبُ شَيْخُنَا أَبُو مُحَمَّدٍ : عَبْدُ اللَّهِ الشَّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
وَنَعْمَا بِرِكَاتِهِ .

وبعضهم يقول : « ليس فيه دليل على الجواز ؛ لاحتمال أن يكون معناه :
لا غيبة جائزة في فاسق » وإلى هذا نَحْنُ الْقَرَأِيُّ فِي ذَخِيرَتِهِ ، وَعَزَاهُ لِمَجْلَعَةٍ
مِنَ الْفُضَلَاءِ .

وكان يكتب لسحنون إذ كان قاضياً فنظر في الديوان إلى شيء فأنكره ؛
فحلف ألا يكتب له ؛ فعاذاه ، ويقال : بل هرب إلى سوسة .

وكان صاحب كشف الشهود لسحنون .

وقال ابن عبدوس قيل : لابن المبارك : « ما التواضع ؟ » قال : « التكبر
على الأغنياء » .

﴿ قلت ﴾ : يعنى أنه من التواضع لله عز وجل لا أن التواضع محصوراً فيه .

وكان اسحقُ بن عبدوس أسنَّ من أخيه محمد بسنة ، وكان صاحبَ ملبس

= راجع أيضاً رياض الصالحين ٨ / ١٩ - ٢٧ وإحياء علوم الدين ٣ / ١٣٢ - ١٣٣
والرفع والتكبير في الجرح والتعديل ٩ - ١١

ومن دلائل ذلك مما صح واشتهر في الحديث ماروى عن عائشة رضى الله عنها : أن رجلاً
استأذ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة » وهو حديث
متفق عليه احتج به البخارى - كما قال النووى - في جواز غيبة أهل الفساد وأهل
الريب .

وعنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان من
ديننا شيئاً » رواه البخارى . . وغير ذلك كثير .

يروح إلى الجمعة - وهو راكب - ومحمد أخوه تحت ركابه .

ولم يتكلم محمد بن عبدوس - بعد انصرافه من الحج - في مسألة من الحج
مثلاً يفتح عليه من الرأي باب يظهر له به نقص حجه .

﴿ قال ﴾ : وكان مولده هو ومحمد بن سحنون في سنة واحدة : سنة اثنتين
ومائتين ، وتوفي سنة ستين ومائتين ، وصلى عليه أخوه إسحق ودفن
بباب نافع .

﴿ قلت ﴾ : وقبره مزار رحمة الله .

ومنها :

● ١١٨ ﴿ أبو جعفر : أحمد بن لبدة رحمه الله ^(١) ﴾

﴿ قال ﴾ : هو ابن أخي سحنون بن سعيد - أظنه من الرضاة .

وكان قتيلاً ثقةً ، جليلاً ، صالحاً ، ورعاً ، من أدهى الناس وأعلمهم بالفقهاء ، تفقه
على سحنون بن سعيد ، ذكره الطبري وأثنى عليه ، وذكر أن والد أحمد هذا هو
عم سحنون بن سعيد ، وأحمد هذا كان له جاهٌ وصيتٌ بإفريقية ؛ لكانه من
من سحنون بن سعيد مع ما اتصف به من دين وفضل .

ولما ذكر العوانى ما قلناه قال : « وقول الدبائع : إن أحمد هذا ابن أخي

(١) هذا هو من ترجم له ابن حارث باسم إبراهيم بن لبدة ص ٢٥٢ ، وأرجح ترجمة ابن
لبدة في المدارك والديباج المذهب ١/١٤٥ - ١٤٦ بتحقيقنا ، وانظر ما علقه به على اختلاف
اسم المترجم له .

سَحْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَهُمْ مِنْهُ .

﴿ قلت ﴾ : يعني أن والده ليس بأخيه وإنما هو عمُّه ، وقوله « من الرضاعة » كان حقه أن ينقله كما قلناه : « أظنه من الرضاعة » مع أن ما نقله الدباغ لم يختص به بل تبع فيه قول التنجيبي : أحمد بن لبدة : أخو سَحْنُونِ الْقَاضِي .

﴿ قال ﴾ : وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : وفي هذه هذه السنة مات الأمير : محمد بن أحمد بن الأغلب ليلة الأربعاء لستِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، فكانت إمارته عشرَ سنين ، وخمسة أشهر ، وستة عشر يوماً .

ومنهم :

● ١١٩ ﴿ محمد بن يحيى بن سلام التيمي رحمه الله ^(١) ﴾ ٥٣: ٢

﴿ قال ﴾ : كان رحمه الله فقيهاً فاضلاً ، ورِعاً ، حافظاً ، مطبوعاً على الأخلاق الكريمة ، قليلَ الكلام والخوض في أمور الناس ، طويلَ الصلاة .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : وكانت له عنايةٌ كاملةٌ بالحديث ونقله وروايته وضبطه ، ومعرفة رجاله وحملته ، حافظاً للسنن ، جامعاً لها إماماً فيها ، عارفاً بأصول الديانات مظهرًا للكرامات ، قديمَ الطلب للعلم ، مُبَرِّزاً في المعرفة والفهم ، على

(١) له ترجمة ضمن ترجمة أبيه في طبقات أبي العرب ١١٣ قال عنه : « ثقة نبيل » كما ذكره القاضى عياض عرضاً عند ترجمته لأبي العرب ٣/ ٣٣٥ .

هَدَى وَسَنَّةٌ وَاسْتِقَامَةٌ .

وقال أبو العرب : « صحبته سنين ما رأيته فيها ضحك ، وما يكاد يفضب »^(١) .
ما يخوض في شيء من أمور الناس طويل الصلاة ، رفيقاً بمن يطلب العلم عنده .
﴿ قال ﴾ : روى أنه لما تكلم أبو إبراهيم : أحمد بن محمد بن الأغلب في حال سُكْرِهِ بكلام يُشعر بالكفر أُعْلِمَ بذلك حين صحا ، فندم وناب إلى الله تعالى ، وحلق رأسه ، وجمع فقهاء القيروان ، فدعّمهم بذلك ، وسألهم : هل له من توبة؟ فكلّهم صعب عليه الأمر إلا محمد بن يحيى بن سلام فإنه قال له : « إن كنت اعتقدت ما تكلمت به فهو عند الله عظيم » وإن كنت لم تعتقه فالتوبة مبسوسة ، فُتِبَ إلى الله تعالى وتقرّب إليه بالصدقة ، فقال له : « جزاك الله خيراً كما دلّلتني على الله تعالى ولم تونسني من رحمة التي وسعت كل شيء » ، فظهرت من أبي إبراهيم آثارٌ جميلةٌ من من أفعال البر والصدقات وبناء المساجد والمواجل حتى مات ولم يترك في بيوت أمواله شيئاً .

﴿ قلت ﴾ : هذا الكلام فيه إجمال ؛ فإن بيان ما فعله بالتنصيص عليه

(١) في طبقات أبي العرب : أن هذا القول في يحيى بن محمد لا في محمد بن يحيى الذي ترجم له ؛ ففي ترجمة أبي العرب ليحيى بن سلام قال : وابنه محمد : ثقة نبيل . ثم قال ويحيى بن محمد الذي سمعنا منه كان صالحاً ثقة صحبته سنين طويلة ، ما رأيته أضحك ولا غضب إلا مرة واحدة . الخ .

وإذا علمنا أن يحيى بن سلام ولد سنة ١٢٤ وأن ابنه محمد ولد سنة ١٨٠ وتوفي سنة ٢٦٢ وأن مولد يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام كان سنة ١٩٨ ومات سنة ٢٨٠ وأن مولد أبي العرب كان بين سنة ٢٥٠ - ٢٦٠ وأن وفاته كانت سنة ٣٣٣ استدلنا أن قوله المذكور هنا ليس في محمد بن يحيى بن سلام ؛ لأنه لا يصدق عليه أنه صحبه سنين طويلة وإن المعنى بذلك كما صرح أبو العرب إنما هو يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام .

أحسنَ مِنْ إجماله - مع ما في بسط القضية من الزيادات .

قال أبو بكر التَّحِيبي : « كان أبو إبراهيم أجملَ نبي الأَغلب ، وكان له شَعْرَةٌ ، وكان إذا جَلَسَ مع الجوارى للشُّرب نُظِمَت شَعْرُتُه بالجواهر المصنَّف ، ويُجمل من فوقها التَّاج المسكَلُ بالدرِّ والياقوت الأحمر ، وكذلك يَفعل الجوارى ، فظفر إلى وجهه في المرآة فتكلم بكلمة كفر ، فلما أفاق أُخبر بذلك ، فبكى ونَدِمَ وأمر برأسه فحلقَ شَعْرَتَه وتاب ، ووجهٌ في طاب القاضي : سُلَيمان ، وجميع علماء المدنين والعراقيين ، فسألهم فصعبوا عليه ، وركب إلى الدَّمْنَةَ إلى أبي عبد الضرير المتعبَّد وكان مستجاباً فأخبره وسأله في الدعاء ، ثم ركب إلى قصره في قضائه ووزرائه ، حتى دخل عليهم محمد بن يحيى بن سلام - وذكر ماتقدم - ثم قال : وأمر بإخراج ثلاثمائة ألف دينار من بيت مال المسلمين ، فأمر ببناء ما جلر بابِ تونس ، وبنى في جامع القيروان : القِبَّة الخارجة عن البهو مع الصَّفَتين اللتين تليانها من جانبيها جميعاً وبلاطها الذي بين يديها مفروش ، وعَمِلَ الحِراب - جُلبت له تلك القراميد^(١) اليمنية لمجلس أراد أن يعمله - وجُلبت له من بغداد خَشْبُ السَّاج - ليعمل له منها عيدان - عملها منبراً للجامع ، وجاء بالحِراب مفصلاً رخاماً من العراق عمله في جامع القيروان/ وجعل تلك القراميد في وجه الحِراب ، وعَمِلَ له رجلٌ بِنِدادى قراميدَ زادها إليه ، وزينته الزينة العجيبة بالرخام والذهب والآلة الحسنة ، وبنى ما جلر باب أبي الربيع ، وأمر ببناء ما جلر القصر

٥٣:٢

(١) القراميد جمع قرامد وهو ما طلى به كالزعفران والجس وحجارة لها خروق تنضج ويبنى بها ، والحزف الطيوخ ، والأجر ه قاموس ١/٣٢٨ .

الكبير بسوسة ، وبنى جامع مدينة تونس ، وبنى سور سوسة وبنى ، دار الملك بسوسة ، وبنى قصر لطة (١) ، وبنى سور صفاقس ، وتصدق بباقي المال على الفقراء والمساكين . ومَلَكَ إفريقية ، وهو ابن عشرين سنة ، وعاش بعد هذه الحادثة خمس سنين (٢) ، وخرجت له في يده الشمال قُرْحَةٌ قتلته وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، وتوفي شهيدا .

﴿ قلت ﴾ : وأراد بالعيديان : الملاحى ، وخشبُ الساج لا يأخذه السوس ؛ فالمنبر إلى اليوم لا سوس فيه ، وجامع تونس هو المسمى بجامع الزيتونة . وفعل أبى إبراهيم هذا لوجه الله تعالى ؛ فالله يتقبل توبته ، إذ كلُّ ما فعله لم يزل موجوداً إلى الآن .

(١) قال الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب : تصر لطة يدخل في جملة الرباطات المعتبرة التي أحدثت في القرن الثالث ، ومعلوم أن لطة هي تلك البلدة الجميلة من دائرة سوسة ، وهي المشهورة في الساحل بمنسوجاتها القطنية .
ويرجع تأسيس البلدة إلى العصر القرطاجى : أى إلى ما يقرب من ألفين وخمسمائة سنة . وقد اشتهرت لطة التونسية في العصر الأغلبى برباطها المعروف بقصر لطة الذى أمر ببنائه الأمير أبو إبراهيم : أحد قبيل منتصف القرن الثالث حوالى سنة ٢٤٥ .
ورابط بقصر لطة جماعة من العلماء والعباد منهم أبو هارون الأندلسى ، فإنه أقام فيه دهرأ طويلا منقطعا للحراسة والاعتكاف .

.. ولم تزل بقايا قصر لطة قائمة الذات يحيط بها سور مربع .. غير أن أهواضه في الحالة الراهنة اعترها الوهن والسقوط ولم يبق منه سوى أحد أبراجه الأربع
راجع الورقات ١٠٥/٢ - ١٠٨

(٢) من هنا يعلم تاريخ تلك المؤسسات القبية ، وما يزال أغلبها قائم الذات ، كالفسقية ، وسور سوسة وصفاقس ، ولا سيما منبر جامع عقبة الفريد ، أما جامع تونس ، وأجامع الزيتونة فالأثبات أنه جدد تماما بعمده وقبائه ، كما تشهد بذلك قبة الحراب المؤرخة سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤) ويظهر أن أشغاله استمرت بعد وفاة الأمير في ١٧ ذى القعدة سنة ٢٤٩ هـ ومجتمعا أن وفاته هي سبب العدول عن كتابة اسمه في التاريخ إلى الخليفة المستعين .

وماجل (١) بابِ تُوْنُسِ هُوَ الَّذِي يُسَمَّى عِنْدَنَا الْيَوْمَ بِالْفَسْقِيَّةِ ، وَالْمَاءُ الَّذِي يَجْتَلِبُ إِلَيْهِ مِنَ الْوَدِيَّاتِ بِالسَّدِّ الَّذِي يَعْمَلُ حَتَّى يَصِلَ الْمَاءُ إِلَيْهِ فَيَنْتَفِعُ بِهِ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ .

وماجل بابِ أَبِي الرَّبِيعِ هُوَ الْفَسْقِيَّةُ الْكَائِنَةُ بِقَبْلِ الْقَيْرَوَانِ فِيهَا كَسْرٌ وَتَهْمٌ سِيرٌ ، وَمِمَّا تَعَذَّرَتْ الْفَسْقِيَّةُ الْأُولَى يَنْتَقِلُ الْأَمْرُ لَهَا .

وأراد بقوله: وتصدق بباقي المال: أي الباقي في بيت المال، وليس المراد أنه أفق فيما ذكر بعض ما أخرجه من المال وتصدق بباقيه؛ ليكون موافقاً لقول الشيخ: « ولم يترك في بيوت أمواله شيئاً » والله أعلم .

ولا معنى لقوله: « ومات شهيداً » إلا أن يكون مراده بالقرحة: صفة الوباء .

﴿ قال ﴾ وروى محمد بن يحيى ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسن البصري

قال : قال رسول الله ﷺ تسليماً :

اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور (٢) الله .

(١) الماجل : الصهريج . أو خزان مياه المطر حيث ينتفع بها طول العام أو ما أشار إليه ابن ناجي وقد يهمز فيقال الماجل كما روى عن أبي عبيد . وقد مضى الحديث عنه . راجع أيضاً لسان العرب ١٣٨/١٤ .

(٢) هذا حديث مرسل بن هذا الطريق وقد أخرجه الترمذي في كتاب التفسير : سورة الحجر ٢٩٨/٥ موصولاً من غير هذا الطريق ، من حديث أبي سعيد الخدري بزيادة في آخره ثم قرأ : (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) ثم قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، إنما نعرفه بن هذا لوجه ، وقد روى عن بعض أهل العلم

وأخرجه ابن كثير في التفسير ٥٥٥/٢ عن الترمذي من هذا الطريق وعن ابن جرير من حديث أبي سعيد ابن عمر وبوان .

وتوفى محمد بن يحيى في النصف من ذى القعدة سنة اثنتين وستين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : وولد بالبصرة . ولذلك ، قال العوانى : محمد بن يحيى بن سلام

البصرى المحدث .

﴿ قال ﴾ : وصلى عليه القاضى سليمان بن عمران ، ودفن بالبلوية وهو ابن

اثنتين وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

ومهم

● ١٢٠ ﴿ أبو عبد الله : محمد بن شوال الطائى ﴾

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

﴿ قال ﴾ : كان رحمه الله تعالى من أكابر أصحاب سحنون ، وعيون رجاله

ثقة في حديثه .

﴿ قلت ﴾ : وقال غيره : كان ، عالماً ، فقيهاً ، إماماً صالحاً ، كثير الصدقة .

﴿ قال ﴾ : ولما احتضر أوصى بأربعة آلاف دينار : ثلث ماله لله عز وجل .

توفى في شوال سنة خمس وستين ومائتين ، ودفن بباب أبي الربيع .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : وكان له مشهد عظيم رحمه الله تعالى .

ومنهم :

١٢١ ● أبو إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن عبدوس

﴿ رحمه الله تعالى ورضي عنه ﴾ (١)

قال: / كان رجلاً صالحاً ، قبيهاً ، فاضلاً ، ذاعفة ومرودة ، سمع من سحنون ، ٥٤: ٢
وسمع الناس منه ، وكان أسن من أخيه : محمد بن عبدوس ، وكان أخوه يمشي تحت
ركابه ، وكانت لإسحاق أبنه عظيمه .

﴿ قلت ﴾ : قصد بكون أخيه محمد يمشي تحت ركابه : يعني لصلاة الجمعة : أنه
كان يُعظّمه ، ومعلوم أنه لا يعظّم إلا من هو مثله أو أعلى منه .

﴿ قال ﴾ : توفي سنة ست وستين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره وهو ابن خمس وستين سنة ؛ لأن ولادته كانت سنة
إحدى ومائتين .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب نافع رحمه الله تعالى .

ومنهم :

١٢٢ ● سليمان بن عمران القاضي رحمه الله تعالى (٢)

قد تقدم في الكلام في ترجمة سحنون بن سعيد رحمه الله تعالى عليه : أنه كان

(١) ترجم له ابن حارث ١٣٣ ضمن ترجمته لأخيه : محمد بن إبراهيم بن عبدوس .

(٢) ترجم له ابن حارث ١٨٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ :

يقول: لما أن^(١) طلب أن يكون قاضياً قال: « ما يصلح بالناس إلا سليمان بن عمران » وسليمان يقول في سحنون كذلك ، حتى تقدم سحنون ، وهذا فيه كفاية في فضله وعلمه ، وما جرى في إساءة الحال بينه وبين محمد بن سحنون لا يقدح فيه ، وقد تقدم أنه ولاء سحنون قضاء باجة ، وسمعت من ينقل أن أهل باجة اشتكوا به إلى سحنون بن سعيد فقال : ما تقولون فيه ؟ فقالوا : إنه يحكم علينا بمذهب أبي حنيفة ، فقال : « ما قدمته عليكم إلا وأنا أعلم أنه^(٢) يحكم بمذهبه » فانصرفوا . فلما مات سحنون تولى قضاء القيروان ، وكان من أحضر قضاة إفريقية جواباً ، وألطفهم حساً ، وأحدّم ذهنًا ، وكان يقول : « لو شئت أن أفضى بين الخصبين بلا بيّنة لعلت ! والله ما يقعد بين يديّ الخصبان ، ويتناظران إلا وأنا أعرف من له الحقّ منهما ! » .

﴿ قلت ﴾ : وكان إياس بن معاوية يحكم بالفراصة بين النمراء .

قال القاضي أبو بكر بن العربي ، رحمه الله تعالى : « وقد كان قاضي القضاة الشامي المالكي ببغداد - أيام كوفي بالشام - يحكم بذلك على طريقة إياس ، وكان شيخنا فخر الإسلام الشاشي صنف جزءاً في الردّ عليه ، اتّبه بخطه وأعطانيه ، وذلك صحيح ، فإن موادّ الإسلام معلومة شرعاً ، مُدرّكة قطعاً ، وليست
الفراصة منها .

(١) ليست في م .

(٢) ليست في ت .

ويحكى أن الشافعي^(١) ، ومحمد بن الحسن كانا جالسَيْن بفناء الكعبة ورجل على باب المسجد ، فقال أحدهما : « أراه نجاراً » وقال : « الآخر أراه حدّاداً » فبادر من حضر إلى الرجل فقال : « كنتُ نجاراً وأنا اليوم حدّاد » فرعمت^(٢) الصوفية أنها كرامة ، وقال غيرهم : بل هي استدلال بالعلامات ، ومن العلامات ما يبدو بأول النظر ، ومنها ما هو خفيٌّ ، فلا يبدو لكل أحد ولا يُدرِك بيادى الرأى ، وقد روى الترمذى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن للنبي ﷺ تسليماً أنه قال :

« اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » .

ذكر القاضى ابن العربى هذا عند قوله تعالى : إنَّ فى ذلك لآياتٍ للمتوسِّمين^(٣) .

قال : « وحقيقتها الاستدلال بالخلق على الخلق ؛ وذلك لجودة / القريحة ٣ : ٥٥ وحدة الخاطر^(٤) .

(١) من هنا إلى نهاية التعليق على الآية الكريمة يحكى عن ابن العربى فى أحكام القرآن ١١١٩/٣ .

(٢) فى م ، ت : « وزعمت » والتصويب : عن الأحكام .

(٣) سورة الحجر : ٧٥ .

(٤) ليس هذا من قول الدبائغ كما يتبادر وإنما هو قول ابن العربى كما أشرنا ؛ إلا أن يريد ابن ماجى أنه قول الدبائغ يحكيه عن ابن العربى .

والحدث أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير : سورة الحجر ٢٩٨/٥ وقال : هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ، وقد روى عن بعض أهل العلم فى تفسير هذه الآية : (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين) قال : للمتوسمين . وقد سبق الحديث ص ١٤٩

﴿ قلت ﴾ : وأول يوم جلس الشيخ إمام الطريقة : أبو القاسم : محمد بن الجنيدي رضي الله تعالى عنه للميعاد قال له رجل - عند ما جلس ، وعليه زي الإسلام - : « يا أبا القاسم ! ما معنى قول رسول الله ﷺ تسليماً : « اتقوا فِرَاسَةَ المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله » ؟ فنكس الشيخُ الجنيديُّ رأسه ، ثم رفعه وقال : « يا هذا أسلمتَ نَسَلَمَ ؛ فقد آن إسلامك ! ، فقال الرجل : « أنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، فقيل له : « أو ما كنتَ مسلماً ؟ » فقال : « لا وإنما كنتُ كافراً وأتيتُ من بلادى ، وقلتُ : أصلى مع الناس وأظهرُ الإسلامَ حتى يكاشفني رجلٌ من المسلمين ، فإن كاشفني آمنتُ حقيقةً ، فلما سمعتُ البارحةَ أن هذا الشيخُ يجلسُ للميعاد ، وسمعتُ الثناء الجميلَ عليه ، عرضتُ نفسي عليه بسؤالٍ عنه بما لفظتُ به ، فكاشفني فعلتُ أن الحق في دين الإسلامُ » .

قال الشيخ أبو بكر التُّجِيبِي - لما عرَّفَ بأبي العباس : عبد الله بن طالب القاضي قال ابن طالب : نظر إياس بن معاوية القاضي إلى ثلاث نساء - فزعنَ من بعيرٍ شَرَدَ - فقال القاضي إياس : « إحداهن حامل ، والأخرى بكر ، والأخرى مُرْضِعٌ ، فسئلن عن ذلك فوجِدن كما قال . قيل له : « كيف علمتَ ذلك ؟ » قال : لما فزعن وضعت كل واحدةٍ يدها على أمِّ المواضع عندها ؛ وضعت البكرُ يدها على أسفل البطن ، ووضعت الحامل يدها على بطنها ، ووضعت المرْضِعُ يدها على نُدْيِهَا ! ؟ .

﴿ قلت ﴾ : إذا كانت هذه فراستهُ بالنظر ، فكون فراستهُ أقوى إذا سمع كلام المتداعين^(١) ولكنه لا يقطع به . وقد كنتُ في أيام قضائي إذا جلس رجل ربما يقول : « هذا جاء يتكلم في كذا ، فيكون كذلك وربما ننظر إلى الرجل ومارأيته قط فنقول : « هذا فلان ، فيتبين كذلك ، فهذه فراسة ا ولا تعطى التحقيق ، فلا عملَ عليها في الأحكام ، وما ذكرناه من الخلاف شاذٌ لا عملَ عليه ، ولكن الترابية في حفظه ، وقد قال رسول الله ﷺ تسليما :

« البينةُ على من ادعى واليمينُ على من أنكر »^(٢) :

وعلى كل حال فالملوب من القاضى : الوثوب في الأحكام ؛ لأن عدم ذلك يؤدي إلى الجسارة عليه ، ولما قدّم شيخنا أبو مهدي عيسى العبريني قاضى الجماعة بقونس : أبا يوسف : يعقوب بن يوسف الزغبى^(٣) قاضى^(٤) الأنكحة بها لأمه مرة - على ما باغنى - بسبب كونه يطول مع الفرما ، فربما يكرر الخصال حجتها مرارا ؛ إذ ذاك يحكم بأن تونس^(٥) لا يصلح بها ذلك ؛ لكثرة أهل الجاه

(١) في ت : « المداعين » .

(٢) أخرجه البيهقي بإسناد حسن ، والإسماعيل في صحيحه كلاهما من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو يطى الناس بدعواهم لادى رجال أموال قوم ودماءهم ، لكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر .
راجع جامع العلوم والحكم ٢٢٥ - ٢٢٧ وقد أفاض ابن رجب في تخريج الحديث وبيان طرقه ووجوهه .

(٣) في ت : « الزغبى » .

(٤) في م : « قضاء »

(٥) في ت : « فان تونس »

فيها ، فالملوب الوثوب في الأحكام ، فاعتذر إليه بأنه : « إنما يرد الأحكام بينهما ليظهر له الحق من البطل ، فقال : « له أنا إذا وقف الحصان بين يدي نعرف الحق من البطل ، بنظري إليهما قبل أن يتكلما ، فما اعتذرت به لا يُقبل ! » .

قال أبو بكر التجيبي : سمعت أبا القاسم : عبد الخالق بن خلف بن شيلون الفقيه يقول / قال سليمان بن عمران : « وليت القضاء في زمان ؛ فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون !؟ ، ولي سليمان القضاء ، لقد خسف الله بالدينا ؟ ثم دُزلت في زمان فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، عزل سليمان عن القضاء ! وأين مثل سليمان ؟! » وسمعت أبا محمد بن التبان يقول : « لم يكن يقول مخلوق القرآن » .

﴿ قلت ﴾ : يعني « إنما كان يقول : القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وإنما قال ابن التبان هذا المسائل : هل كان يقول بمخلوق القرآن أم لا ؟ وكان مولد سليمان (في شعبان) سنة ثلاث وثمانين ومائة ليلة ^(١) السبت لسبع بقين من صفر ، وتوفي ^(٢) سنة سبعين ومائتين ، وكان عمره سبعا وثمانين سنة وصلى عليه أبو العباس بن طالب ، وكانت بينهما منافسة ، فيقال : إنه ما زاد في صلاته عليه أن فرأ عليه : (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ^(٣)) .

(١) في م : « مات ليلة السبت ... »

(٢) سقطت من م .

(٣) سورة غافر : ٧

﴿ قلت ﴾: فيما فعله نظر وإن كان التَّجِيبِي قِبَلَهُ . والأقربُ عدمُ إجزاءِ صلاته عليه ؛ لأنَّ مذهبَ مالك رحمةُ الله تعالى : أن الميِّتَ لا يَتَنَفَّحُ بقراءة القرآن .

قال عبد الحق : « ولذلك لا تُقرأ عليه الفاتحة » ، وإن كان إنما قصد بالآية الدعاء بلفظ القرآن ، وهو قوله : (فأغفر) وما بعده فإنما هو لمن تاب واتبع سبيله .

ودفن بباب سلم .

قال التجيبي : ولأبي عقال : سعيد بن محمد بن جرير - كتابه - مرثية تدل على أنه أقام قاضيا ستا وخمسين سنة قال :

عجبا لموضعٍ لحدِّه في قبره

..... (١) .

رَجَّعَ الْخُصُومَ وَخَلَّفُوا عَلمَ الْمُدى

في باب سلم لا يزال مُتَمَّما

أنت المنيَّةُ إذ تلبَّبُ قاضيا

خمسين عاما واثنين وأربعا

﴿ قلت ﴾ : وقبر مزار ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه : « هذا قبر القاضي

سليمان بن عمران، وتاريخ واته - كما هو العادة - بمقربة من قبر الشيخ أبي بكر عتيق السوسى من جهة القبلة بأحرف إلى الغرب .

وكنا لا نعرف قبره ؛ فعرفني به أخى لأبى أبو عبد الله : محمد رحمه الله تعالى وأظنه هو أول من عرف به فى زماننا ، ثم اشتهر وصار قبره مزارا ، يعرفه الخاصة والعامة .

ومنهم :

١٢٣ • أبو داود العطار ، واسمه : احمد بن موسى

﴿ ابن جرير الأزدى ﴾^(١)

﴿ قال ﴾ : سمع من ابن غانم ومعاوية الصّادحى ، وأسد بن الفرات ، ويحى ابن سلام ، وسخنون ، وابن أبى خارجة .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بتر لزيادة غيره : « وغيرهم ، وأبتر منه قول التجيبى ؛ حيث ذكر مثله ، وأسقط ابن غانم .

﴿ قال ﴾ : وأخذ عنه الناس وكان ثقة .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكر من كونه ثقة تبع فيه التجيبى وهو فى غاية القصور . لقول غيره : « كان جامعاً لخصال من الخير : منها سلامة الصدر ، وعفة

(١) له ترجمة فى المدارك ٣/٢٦٩ - ٢٧٠ ، وطبقات علماء إفريقية لابن حارث ٢٠٥ ،

والديباج المذهب ١/١٥٠

الأسان واليد ، ومحبة العلم ، مع جودة الذكاء والفهم ، وكان ثقةً من بيت علم / ٥٧:٢
وفضل ودين ونباهة .

﴿ قال ﴾ : توفي سنة أربع وسبعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : زاد التجيبي في عشر ذى الحجة .

﴿ قال ﴾ : وهو ابن إحدى وتسعين سنة ودفن بباب سلم ، رحمه الله تعالى .

ومنهم :

١٢٤ ● (ابو العباس : عبد الله بن أحمد بن طالب)

﴿ التميمي القاضي رحمه الله ^(١) ﴾

وقد غلط فيه بعضهم ، فظن أن اسمه أحمد فسماه به .

ذكر ثناء العلماء عليه

قال محمد بن حارث في تاريخ الأفاقة وغيره من كتبه : « كان ابن طالب
فطناً جيداً النظر ، يتكلم في الفقه فيُحسِنُ ، حريصاً على المناظرة ، يجمع في مجلسه
المختلفين من الفقهاء ويُفِرِّي ^(٢) بينهم لقصد الفائدة ، فإذا تكلم أجادَ وأبان حتى
يودُّ السامعُ أنه لايسكتُ » .

(١) ترجمة عياض في المدارك ترجمة مستفيضة ١٩٤/٣ - ٢١٢ ؛ وابن حارث في طبقاته

١٨٦ - ١٨٨ ، وابن فرحون في الديباج ١٣٤ .

(٢) في ت : « فيفري »

وقال غيره : « لم يكن شيء أحبّ إلى ابن طالب من المذاكرة في العلم » .
وقال أبو بكر بن اللباد : « ما رأيت أحقّه من ابن طالب إلا يحيى
ابن عمر » .

وقال أبو العرب : « كان عدلاً في قضاائه ، حازماً في جميع أموره ، عالماً
بما اختلف فيه ، شديداً في الذبّ عن مالك ، ورعاً في حكمه ، قليل الميية
في الحق للسلطان ، ولا سمعتُ العلم قطُّ أطيبَ ولا أحلى منه من أبي طالب (١)
ولا أخذت منه غلطا إلا مسألة اختلف فيها ابن القاسم وأشهب فأتى بقولهما
ولكن قلب قول كل واحد إلى الآخر ، وكان كثير الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، لئین القول ، كثير الورع » .

ذكر ولايته الصلاة والقضاء

كان رحمه الله تعالى ولى الصلاة في الجامع الأعظم ، وتسبب له في ذلك
محمد بن سحنون ؛ وذلك أنه لما تولى سحنون القضاء تسبب ولده محمد عند أبيه
في أن يولى سليمان بن عمران قضاء باجة فأسغفه بذلك ، ومكث سحنون فاضياً
ستة أعوام ومات ، وتولى عوّضه سليمان ، وانفسدت الحال بينه وبين محمد (٢)
ابن سحنون ، حتى إن ابن سحنون خاف على نفسه منه ، فلزم داره ؛ خوفاً منه ،

(١) الزيادة من المالكي وهي لازمة لأن أفضل التفضيل مفرغ فيها .

(٢) ليست في م .

ثم خرج مخفياً حتى كتب كتاباً للأمير محمد^(١) بن الأغلب في ذلك ، وكتب له بيت عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حيث يقول :

فإن كنتُ ما كَوَلّاً فكن خيراً آكلٍ

وإلا فأذِرْ كنى ولساً أمزقٍ^(٢)

قال الأمير : ومن يمزقه مزق الله جلده ؟ قليل له : سليمان بن عمران :
قال : قد آمنناه من سليمان بن عمران ، فخرج حينئذ ، وعلم سليمان أنه آمن ، فلم يعرض له . فنسب ابن سحنون في تولية ابن طالب الصلاة ليوقفه له ؛ فكلم الحاجب فيه ، وخرج الأمر بتقديمه وأخفى أمره ، فلما كان يوم الجمعة أتى الخطيب ابن أبي الحواجب ، وكان من جهة سليمان ، ودخل المقصورة على جرى العادة - وكان ابن سحنون أعلم ابن طالب بذلك - فلما خرج ابن أبي الحواجب وأراد الصعود على المنبر ردّ وأمر ابن طالب / بالصعود ، ونزل النوم على ٥٨:٢ سليمان فما شعر إلا وابن طالب يقول : « الحمد لله الذى كلّى عرشه استوى ، وعلى ملكه احتوى ، وهو فى الآخرة يرى » فلم أنه أمر أبرم^(٣) . فلما خرج من الصلاة جمع أمناء البلد ، فكلّموا الأمير فى ذلك ، فخرج لهم الحاجب وقال : ألا تستحيون ؟ أراد الأمير أن ينوّه ابن عمه فتعارضوه ! فانصرفوا^(٤) .

(١) بيت فى م .

(٢) فى م : ... فكن أنت آكلٍ . وانظر ما سبق عن البيت ص ١٣٦ .

(٣) قال فى القاموس ٧٨/٤ : أبرم الحبل : جعله طاقين ثم قتله ؛ والأمر : أحكمه ؛

كبرمه برما .

(٤) تعدمت هذه القصة بأتم من هذا فى ترجمة محمد بن سحنون ص ١٣١ وما بعدها .

(م - ١١ - معالم الإيمان)

قَوُّ لى القضاء بعدُ بالقهروانِ مرتين، لما عزل سليمان بن عمران أول مرذولى هو - وولاه إبراهيم بن أحمد بن الأغب، وعظَّم قدره سنة سبع وخمسين ومائتين^(١)، فلما رأى إبراهيم ميلَ الناس إليه^(٢) ومحبتهم له غار إبراهيم منه وخشى على ملكه منه لكونه ابن عمه؛ فرأى إماتة اسمه بعزله؛ فعزله عام تسعة وخمسين ومائتين، ورد سليمان بن عمران، فلما شاخ^(٣) سليمان عزله وردَّ ابنَ طالب. وذلك سنة تسع وستين ومائتين، وعزله سنة خمس وسبعين ومائتين، وامتحنه كما سيأتى.

قال ابن طالب: سنت نأتما فى وقت القائلة؛ فتمت من نوى فزَعاً^(٤) فأنكرت ذلك وعلمت أنه لأمرٍ حدث، فقتيل لى: «رسول الحاجب بالباب» فخرجت فى ثوب البيت، فقال لى رسول^(٥) الحاجب: «الأمير يدعوك الساعة» فقلت: «أدخل فألبس ثيابى؟» فقال: «لا، فساءنى ذلك؛ فدعوتُ بثيابى فلبستها، وسررتُ حتى وصلتُ إلى إبراهيم بن أحمد، فوجدته وبين يديه السيفُ مسلولا، فسلمت، فردَّ علىَّ، فسكنَ روعى لرده، فقال: «عزمت على توليتك القضاء؟» فأبيتُ، فدد يده إلى السيف فقال: «إن شئت القضاء وإن شئت

(١) سقطت من م . وكذا فى المواضع الثلاثة التالية .

(٢) ليست فى ت .

(٣) بالأصل: «ساج» والتصويب من المالكي .

(٤) ليست فى م .

(٥) زيادة لازمة .

هذا؟، قلت: «أناذن لى فى صلاة ركعتين أَدْعُوْ وَأَسْتَخِيْرُ؟» فصلّيتُهما - يعنى بعد وضوئه - واجتهدت فى الدعاء والخيرة فلما سلمتُ قال لى: ما الذى ظهرلك؟» قلت: «أبقي الله الأمير تقدمت لى أيمانٌ؛ فأذن لى فى الإنصراف، حتى أنظر فيها، ثم أعود الساعة» فقال: «أفعل»، وكان حلفَ بجميع الأيمان قبل هذا أن لا يَلِيَ القضاة أبداً - فخرج فخالع زوجته، وباع عبيده، وتصدّق بماله، وأخرجه من مملكه، ثم رجع فقبل، وكتب له عهدَه وأمر له بصلّة وكسوة.

قال ابن اطلب: «ولما كنتُ دخلتُ عليه فى المرتين ما رفع لى أحد رأساً: فلما وليتُ وخرجتُ وجدتُ أهل الأرض ينتظرونى على الباب! فعلمتُ هوى الناس للدنيا.

قلتُ: وسياق الكلام يقتضى أنه بعد توليته القضاة ردّ زوجته وماله، وكان شيخنا أبو الفضل أبو القاسم من أحمد البرزلى ينقله كذلك. وهذا من ابن طالب يقتضى: أن التماذى على القضاة ليس بإنشاء، وأما على القول بأن التماذى كالإنشاء فإنه يحتمل؛ وهذا بناء على ما فعله. وإلا فهو مكره لا يحتاج إلى ما فعل - والله تعالى اعلم - لأنه لا خلاف أن الخوف على النفس إكراه، وإنما الخلاف فى التخويف بقتل أجنبى؛ هل هو إكراه أم لا؟ والصحيح أن التخويف بالولد إكراه، وفى التخويف بالمال ثلاثة أقوال فقيل: إكراه مطلقاً، وعكسه، وقيل / إن كان ٥٩:٢ كثيرًا فالأول، وإلا فالثانى.

﴿ ذكر ما كان عليه من السخاء ﴾

﴿ قال ﴾: بلغ من جوده إنه كان يتداين المال ويتصدق به ، وإذا لم يحضره شيء يتصدق بلجام فرسه ، وبمصحفه ، وبنعله من رجليه ، وخاتم يده ، وحلى بناته وعياله . وكان إذا رأى بعض الفقراء في الشتاء ليس عليه دينار نزع فروه وبعض ثيابه وكساه .

وروى أن أحمد بن معتب سأله لرجلٍ معروفًا ، فناوله ابن طالب كفه وأدخل يده لينزع قميصه ، فقال له ابن معتب : « معاذ الله أن أبلغك هذا المبلغ ! » فقال ابن طالب : « لا يسبق إليك أن هذا عن ضجرٍ مني ؛ لست والله أملك في هذا الوقت دينارًا ولا درهما ولا بد أن يأخذ هذا الرجل القميص ! فأخذ القميص من عليه في مجلس قضائه .

وحكى أن ابن طالب كان يمشى ذات يوم وإذا بجمال عليها حُمولة قمح ، فقال له بعض من كان يسيره من أصحابه : « أصلحك الله إن الذي تنزل هذه على بابه ^(١) في أمن من هذه الجماعة ! » وفارقه الرجل ، فسار ابن طالب إلى داره ، فوجد الحُمولة على باب داره ، جاء بها وكيله من أحد منازلها ، فقال ابن طالب : « حملوها إلى دار فلان » - يعني الرجل الذي كان يسيره - وقولوا له : « قد أمّنت مما كنت تحذر » .

وحكى^(١) أنه شكّا - إلى ابن طالب - الشريفُ بن الحسين : أنه زوج ابنته
وتعذّر عليه تجهيزها فدخل ابنُ طالب إلى زوجته وقال لها : « إن ابنَ الحسين
يُدخلُ ابنته وليس عنده شيء فأعطيني حُلّياً ابنتك ، وكِدوتها ندفعا إليه ، وإنا
نموّضك ونموّضها » ففعلت .

وشكّا إليه ردل أنه يريد أن يجهز^(٢) ولده فأعطاه ثلاثين ديناراً .

وروى أبو العرب بن تميم عن^(٣) ابن عياش قال : « ركبْتُ معه من التصر
القديم - يريد المتأبية - في إر سماء^(٤) من الليل - وهو على حمار مصرى -
فعرّض له ماء مستنقع فأتى غلام خماسى ، راعى غم فأخذ بلجام دابته وجوزّه
الماء ، فنزل ابن طالب فى مسجد ، وقال للغلام : « اذهب فأْتِ بمولاك »
فجاء به ، فقال له : « بكم اشتريت هذا الغلام ؟ » فقال : « بمشرة دنانير ، قال :
« هذه عشرة دنانير وأعتقه وولاؤه^(٥) لك » قال : « نعم » فدعا بصحيفة فكتب^(٦)
فيها عتقه ، وقال له : « لا تقطننا ؛ فإننا نرُفّقك » وفرض له ديناراً فى كل سنة .

(١) فى ت : « وروى »

(٢) فى م : « يزوج » .

(٣) سقطت من ت .

(٤) أى عقب مطر

(٥) فى ت : « وولاؤك » .

(٦) فى ت : « كتب » .

﴿ قلت ﴾ : وذَكَرَ ابنُ عُقْبَةَ قالَ : « خرج ابن صالِب إلى القصر فلقى غلاماً راعياً ، فسقط السوط من يد ابن طالب ، فجرى الغلام ، وناولهُ (١) إياه ، فقال له : « من مولاك ؟ » فأخبره ، فلما وصل قال : « ائتوني بفلان » فجاءه فقال له (٢) « أحبُّ أن تبيعَ لي غلامك فلانا » فقال له : « أصدحك الله ! ما نستغنى عنه » فقال له « لا بدَّ من ذلك » فقال : « هو لك بلائمن » فقال : « لا ؛ إنما نأخذهُ بثمنه ، وثمن الغنم ! » فبعث وراءه فقال له : « اذهب فأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى والنعمُ لك » .

وأُتاه شيخ من شيوخ (٣) الساحل وطلب منه أن يُعطيه شيئاً من الزيت يأكل منه أولاده ليلة / قدومه عليهم ، فكتب له رُقعةً لو كيله بالساحل ، وهو يقول له : « اعطه قفيزين زيتاً » فلما وصل إليه ضجر وقال له : (٤) « ما دققنا شيئاً (٥) من الزيت ، وهو أخذ في تفريقه ؟ ! ولم يُعطه شيئاً » فكتب إليه وقال له : « اعطه خمسين قفيزاً ؛ لأجل تعبهِ » ، فردّه ثانياً ، فلما وصل رآه ولد عبد الله بن طالب ؛ فلم يتركه يصل إلى أبيه ؛ فقال لو كيل والده : « اعطه خمسين قفيزاً زيتاً كما أمرك والدي ، ولو وصل إليه لأعطاه زيتونه (٦) من أصله ! » فأعطاه ذلك .

(١) في م : « وناولهُ » .

(٢) يست في م .

(٣) ليست في م .

(٤) ليست في م .

(٥) في المدارك : « إننا لم نصر بعد » ودق الحب من لوازم العصر .

(٦) في ت : « زيتونه »

وأنته امرأة يَأْتِرُ صلاة الجمعة ، وذَكَرَتْ له أَنَّ عِنْدَهَا ابْنَةً تُرِيدُ أَنْ تُجَهِّزَهَا
وَلَا مَالَ عِنْدَهَا ؛ فَدَخَلَ إِلَى الدَّارِ فَلَمْ يَجِدْ مَا يَرُدُّهَا بِهِ ، فَزَرَعَ ثِيَابَ الْجُمُعَةِ وَأَعْطَاهَا
ذَلِكَ ، فَمَشَتْ إِلَى سَوَاقِ الرَّهَادِرَةِ وَأَعْطَتْهَا لِبَعْضِ الدَّلَّالِينَ ، فَلَمَّا نَظَرَهَا قَالُ :
« هَذِهِ لَا تَصْلِحُ إِلَّا لِلْبَاسِ »^(١) ابْنُ طَالِبِ الْقَاضِي « فَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ ، وَقَتْلَ لَهُ : « دَهَى
لِيَأْسَى ، وَمَا وَجَدْتُ مَا يَرُدُّهَا بِهِ ، نَادَى عَلَيْهَا وَزَدَلِي فِيهَا فَإِذَا وَقَفْتُ عَلَيْكَ فَادْفَعْ
عَنِّي حَقَّهَا سَلْفًا ، وَرُدِّهَا إِلَيَّ إِذْ قَعَلْتُ ذَلِكَ .

قال أبو بكر التُّجَيْبِيُّ : وَأَتَاهُ رَجُلٌ شَكَا الإِتْلَالَ وَعَرَّضَ بِالسُّؤَالِ ،
فَاعْتَذَرَ ابْنُ طَالِبٍ إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ وَخَرَجَ وَفِي يَدِهِ عَشْرَةُ دِنَانِيرٍ دَفَعَهَا إِلَيْهِ .

﴿ قُلْتُ ﴾ : إِنَّمَا اعْتَذَرَ لَهُ مَعَ أَنَّهُ أَخْرَجَ لَهُ بَعْدَ مَا ذُكِرَ ؛ لِيَطِيبَ قَلْبُ الْمُعْطَى
أَهْ بِمَا أَعْطَاهُ ، وَلَا يَسْتَقَلِّهَا مِنْهُ ، أَوْ يَكُونُ بَعْدَ أَنْ اعْتَذَرَ ذَكَرَ أَنَّ فِي دَارِهِ
مَا أَعْطَاهُ ، فَدَخَلَ ، وَأَخْرَجَهَا لَهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

﴿ قُلْتُ ﴾ : وَكَانَ رَجُلٌ يَتَعَرَّضُ لِعَرَضِهِ كَثِيرًا ؛ فَمَاتَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ ؛ فَصِيلٌ لَهُ :
« امْسُ لِبْنِ طَالِبٍ ؛ يَصِلِي عَلَيْهَا ؛ لِيَكْتُرَ مَنْ يَصِلِي عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ » وَكَانَ
مَعْرُولا يَوْمَئِذٍ - فَعَقَلَ ذَلِكَ ، وَبَعَثَ وَرَاءَهُ ابْنَ طَالِبِ بَعْدَ ، وَكَتَبَ لَهُ ثَلَاثِينَ كِتَابًا
لِأَصْحَابِهِ بِالسَّاحِلِ ، وَهُوَ يَطْلُبُ [مِنْ] كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ جَارِيَةً ، فَأَتَى الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ
جَارِيَةً ، وَوَصَلَ يَهْنُ إِلَى ابْنِ طَالِبٍ ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ جَمِيعَهَا لَهُ ، فَبَاعَ ثَلَاثًا مِنْهَا

(١) فِي ت : « لِبَاسِ » .

وَيَسَا بِمَنْهَا ^(١) السبع والعشرين الباقية منها وأعطى له جميعها ^(٢) .
وهكذا كان الناس الضلّاء يُحْسِنُونَ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ .

﴿ قال ﴾ : وروى ان ابن طالب أتى يوما من القصر القديم في يوم شتوى مطير ^(٣) لينظر بين الناس في الجامع ، فبينما هو بين القصر والقبروان راكبا على دابته إذا بشيخ كبير ضعيف معه دويبة عليها حطب وقد أخذته الأودية ، والشيخ وحده ، والشبكة تميلُ من ناحية ، ويردها الشيخ من ناحية ، فعدل إليه ابن طالب وقال له ^(٤) : « يا شيخ ! في مثل هذا اليوم ؟ قال : « فما حيلتي ؟ إلى بناتٍ وعيالٍ أبيع هذه الشبكة ، فأشترى منها شعيراً وعلفاً ولو تركت هذا اليوم يقيناً بغير شيء » أو نحو ما قال .

فقال له ابن ^(٥) طالب : « لماذا كان بالعداة ، فلا تعمل شيئاً وتألف إلى موضع كذا وكذا من القصر القديم عند البير فتجلس فعسى أن يكون خيرا » أو كما قال فلما كان من الغد قال لرجل : « امض إلى البير فانظر شيخا من صفته وصفته فأت به » .

٦١ : ٢ . فلما دخل عليه دعا ابن طالب بوكيله فقال / له : « امض فاشتر لهذا الشيخ كذا وكذا من الطعام واشتر له ولعياله جبةً وكساءً لكل واحد منهم ، قم

(١) في ت : « بها » وفي م ، ت : « السبعة » وهو خلاف القياس

(٢) راجع ما تقدم عن نحو هذه القصة في ترجمة محمد بن يحيى بن سنان ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) في ت : « مطر » .

(٤) من ت .

(٥) ليست في ت .

يا شيخ « فقام الشيخ وقال : « الحمد لله رب العالمين » ، فقال ابن طالب : « اجلس يا شيخ » وقال للوكيل « اشتر له زَوْجًا يَحْرُثُ له من البقر ، وكذا وكذا من الزَّرِيعة » ، قال الشيخ : « الحمد لله رب العالمين » ، قال ابن طالب : « واشتر له غلامًا يَحْرُثُ له » ، قال الشيخ : « الحمد لله رب العالمين » ، قال ابن طالب : « واشتر له مائة شاة ^(١) من النعم » ، قال الشيخ : « الحمد لله رب العالمين » ، قال ابن طالب : « واشتر له كذا و - ذا حتى عدد الراوى أشياء كثيرة ^(٢) » وقال [بحيث] إذا أمر له بشيء يحمد الله عز وجل إلى منتهى القسم من الله عز وجل .

قال الشيخ : « أغنيتنى وأغنيتَ أهلى فعل الله بك وفعل » .

قال ابن طالب : « يا شيخ لو دمت فى الحمد لربك لأنفدتُ عليك جميع ما أملك !! » .

﴿ قلت ﴾ : لو لم يكن فى سخاء ابن طالب إلا هذه القضية لكان فيها كفاية نسأل الله عز وجل أن يجدد عليه الرحمة بكرة وعشياً .

﴿ قال ﴾ : وروى أن ابن طالب وصل جعفر الأعمى بسبعين ديناراً بآية من كتاب الله عز وجل - سمعها منه .

﴿ قلت ﴾ : هذا الكلام فيه بتر من وجهين :

أحدهما : تعيين الآية ، الثانى : كلامه يوم أنه أعصاه ما ذكر دفعة واحدة

(١) فى ت : شياها .

(٢) فى م : « فعد الراوى عددا كثيرا » .

وليس كذلك ، بل أعطاه ذلك في مواطن متعددة .

قال أبو بكر التيجي : وصل جعفر الأعمى بآية من كتاب الله بسبعين دينارا ، كان إذا رآه جالسا في مجلس قضائه قلم قريبا منه قهراً : (بسم الله الرحمن الرحيم إنما نطمعكم لوجه الله لا نزيد منكم جزاء ولا شكورا ^(١)) .

﴿قلت﴾: يعني كما قال أبو [عثمان] سعيد بن الحداد فيدفع إلى الدينار والدينارين وما أمكنه ، وعبر عن جعفر ببعضهم ، وقال عنه : وصل إلى منه بها نحو من سبعين دينارا .

[ومع سخائه هذا وعلمه ^(٢)] : فكان يقول : « هب أنك أعظم الناس قدرا ، وأكثرهم علما ، أليس وراء ذلك الموت ؟ ! » .

﴿قال﴾: وروى أنه لما ولي القضاء [كان] عنده ثمانون ألفا فلم يمت حتى تصدق بها كلها .

وأخبار ابن طالب في فضله وجوده يطول بها الكتاب .

﴿قلت﴾: من جوده : أن رجلا أكرمه في طريقه ولم يعرفه فقال له : « سل في القيروان عن دار ابن طالب » فلما وصل الرجل دفع إليه خمسة آلاف درهم وعشر خلع .

وأهدى إليه رجل خبز سلت ، فدفع إليه خمسة مثاقيل ، فقيل له : إنما

(١) سورة الإنسان : ٩

(٢) ما بين القوسين ليس في ت .

يسوي درهماً فقال؟ : « كلا ! ولكن هذا رجا أفضلنا فحقتناه » .

قال أبو القاسم المعروف بالمساجدي : شكوتُ يوماً لابن طالب الموحدة وقلة
الجلدة (١) فاشتري لي جاريةً بأربعين ديناراً ، وحُجْرَةً قُرْبَ الجامع بششرين
ديناراً ؛ فشكوت له (٢) : أنه : ليس فيها ماء ؛ فحفر في زُقاقها بئر المسلمين ،
وكان يعطيني قوتى وقوتَ الجلدية وكسوتها لكل شهر (٣) .

قال ابن أبي عُقبَةَ : كان رجل كفيف من الفقراء يمشى مع زوجته فإذا بصِقلِي
أتى إلي طباخ ، فقال له : « يقول لك القاضي خذ لنا خروفا من صفته كذا
وكذا ، وأعمله في التَّنور ، وخذْه من الزيتونِ والخبزِ وبقل / المائدة ما يُصلح ، ٢ : ٦٢
وهيئة إلى أن أرجع من صلاة الجمعة ، وانصرف الغلام ، فقالت زوجة الكفيف :
« والله ما اشتيتُ إلا الأكلَ منه » - وكانت حاملاً - فقال الكفيف : « أنت طالق
إن تعدّينا إلا منه ! » .

فلما فرغ الناس من الجمعة سبق القاضي - إلى باب الدار حتى جاء القاضي (٤)
ودخل بيتاً في سقيفة داره ، يحكم فيه (٥) فقالت : « ما الذي يوصلك إليه ؟ »

(١) الجلدة بالكسر والتخفيف ، والوجد مثناً : النقي .

(٢) في ت : « له » .

(٣) ليست في م .

(٤) ليست في ت .

(٥) هنا كلام مطوي ، وبعبارة المالكي : قال لها : إذا رأيت هذا الحروف قد جاء
على رأس الغلام ، فتسمعي لوقوع الماء في الطست «أي عند غسل الأيدي استعداداً للأكل»
لما سمعت وقوع الماء في الطست أخبرته .. الخ .

فقال لها : « اسكتي » فلما سمعت الطست أخبرته فقال الكفيف : « يا قاضي ! قال الله عز وجل : « وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (١) » وقال إنما نُظْمِمُكُمْ لوجهِ الله لا نزيدُ منكم جزاءً ولا شكوراً (٢) » فصاح القاضي : « يا غلام خذ هذا الخوان وامض معه حتى توصله إلى دار المتكلم ، ففعل .

* * *

ويعين هذا الكفيف خرج منه (٣) على غلبة الظن ؛ لما يعلم من سخائه . والأقرب عندي : أنه حانث .

* * *

وذكر ابن حارث نحو ما تقدم (٤) فقال : « أتادرجلٌ من أهل البادية فشكا إليه الإقلال ، فكتب له إلى أبي إبراهيم في ضيعته : « أن يدفع له خمسين قفيزاً زيتاً ، فلما وصل إليه الكتاب ضجر على الرجل وقال : « إننا لم نعصر بعد وهو يبدأ (٥) بتفريقه ؟ ما عندي ما نعطيك » فرجع الرجل إليه فأعلمه ، فكتب له : « ادفع إليه مائة قفيز والله لن رجع إلى لأدفنن له (٦) غلة العام أجمع » .

(١) سورة الحشر : ٩

(٢) سورة الانسان : ٩

(٣) ليست في ت

(٤) م ١٦٦ .

(٥) في ت : « منه وهذا بدأ »

(٦) في م : « إليه » .

(ذكر محنته رحمه الله تعالى)

كان رحمه الله امتُحن بمحنتين : محنة عند العزلة الأولى في ولاية سليمان بن
ع. إن ، فسجنه تسعة أشهر وأرسله ، ولما عزل سليمان وقدم (١) ابن طالب ثانيا
هرب سليمان ، وتوارى نحواً من سنتين ؛ خوفاً منه حتى أمر مناديا ينادى بأمانه (٢)
وكانت محنته الثانية بعد سليمان في ولاية ابن عبدون ، وذلك أنه نظر إلى ما فعل
إبراهيم بن الأغلب من الفسوق والاستطالة على المسلمين ، وإباحته للسودان (٣)
نساء « إيبانه » حين امتنع أهلها من بيعها له (٤) ، وقد أتت امرأة بفرعة (٥)
ابنتها في ثوب فآلقت بين يديه ، فترجع (٦) وقال : ما أراه يؤمن بالله ، أو هذا
فعل الدهرية ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر (٧) ، فبلغت الكلمة إلى إبراهيم
وحقدتها عليه ، فأخذته وسجنه ، ومات في السجن ، فقيل : « إنه بعث له رجلا
ضربوه برؤسهم في بطنه حتى مات » وقيل : « إنه سقاه سُمًّا ، فمات به » وهذا
هو الصواب ؛ لقول أحمد بن نصر البصرى : رأيت ابن طالب في النوم بعد قتله

-
- (١) في م : « وتهدم » .
(٢) في م بعد هذا : « ثم بعد عزل ابن طالب وولى سليمان ، وكانت محنته الثانية ... »
(٣) ليست في م
(٤) في ت : « وإباحة السودان » .
(٥) اسم مرة من فرع السكر إذا ففضها والمراد : أثر ذلك كدم في ثوب .
(٦) في الرياض : « فتوجع »
(٧) ستأتي القصة في ترجمة أحمد بن معتب .

فسأله فقال: « وحق الله لقد أدخلت الجنة » فقلت له: « كيف كانت منك؟ »
فقال « سقاني الأمير شربةً ، سقاه الله من صديد أهل النار ! » .

توفي رحمه الله تعالى عليه [سنة ٢٧٥ عن ثمان وخمسين سنة] (١)

ومنهم :

● ١٢٥ (أبو إسحاق : إبراهيم بن المضاء الضير)

رحمه الله تعالى ورضى عنه (٢)

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : وكان من كبار أصحابه وغلب عليه علم التصوف .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيهاً صالحاً .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : فاضلاً زاهداً عابداً / ثقة عدلاً ، من أكابر

٦٣ : ٢

الصالحين .

﴿ قال ﴾ : وهو الذي بنى مسجد الخميس بالدمنة .

﴿ قلت ﴾ : وأراد بمسجد الخميس : الذي كان يُقرأ فيه الرقائق كل خميس ،

كمسجد السبت يُقرأ فيه الرقائق كل سبت .

(١) ما بين القوسين من المدارك والديباج وفي الأصل : توفي رحمه الله تعالى عليه .

سنة كذا وبالهامش كلمة : «ياض» .

(٢) ترجم له عياض في المدارك ٣/١٢٠ وسماه : إبراهيم بن المضاء بن طارق الأسدي

﴿ قال ﴾ : وكان بهذه الدِّمَّة خمسة عشر رجلا ، كلهم مستجابُ الدعاء منهم : إبراهيم بن المضاء له رَامَات وَإِجَابَات وكان يُسْتَسْقَى به الفَيْثُ .

وروى أن رجلا أتى إلى مسجد أبي إسحاق هذا فقال لمن به من الحاضرين : « هبوا إلى دعوة [على] ^(١) عامر بن زرارة الوزير ، فإنه بنى عليَّةً وفتح فيها طيقاناً مُطَلَّةً مشرفة على بناتي ، وهن منكشفات فدعا إبراهيم ، ثم آمن الناس على دعائه ، فما كان بأقرب من أن جاء رجلٌ فقال : « إن الوزير قد انهدمت داره ، وضربتُه ساريةً فطيرت دماغه » .

وكان من دعائه : « اللهم اجعلنا من الذين خلّفوا الدنيا مع نفوسهم وراء ظهورهم فحفت عليهم الأثقال ، لما عندهم من الإعراض ، أولئك الذين يجب منهم البلاء لصبرهم ، وهابتهم المصائب بشكرهم ^(٢) !! » .

﴿ قلت ﴾ : زاد التجبي على جميع ما ذكره : « كل الخمسة عشر رجلا ذكرتهم في هذا الكتاب » .

﴿ قال ﴾ : ولما تولى القضاء محمد بن عبدون ضرب طائفةً من أهل العلم والصلاح من أصحاب سحنون بالسياط وطيف بهم على الجبال - بغضا منه في مذهب مالك

(١) في ت : « في »

(٢) هكذا في الأصول وفي المدارك : « أولئك الذين يجب عقوبتهم بالبلاء بصبرهم ، وهانت المصائب بشكرهم » .

رحمه الله تعالى وفي أصحابه - منهم أحمد بن مُعتَب ، وأبو إسحاق بن المضاء ،
وأبو زيد بن المديني ، والحسن بن مُفَرَّج : مولى مهريّة ، فمات ابن المديني
وأبو إسحاق بن المضاء ، على الحال وهما على الجمال ، وكان ابن عبدون حنفيا
رَجُلٌ سُوءٌ ، قال إبراهيم بن أحمد الأمير : « لو ساعدته على مقصوده فيمن يشكو
به لجعلت له مقبرة على حدة » .

توفي أبو إسحاق سنة ست وسبعين ومائتين بعد ابن طالب ، وقيل : بل توفي
سنة خمسين ومائتين .

قلت : وهو الصحيح ؛ إذ لم يحك التجيبي غيره (١) ، وقبره مزار ، وهو
الذي يقول العامة فيه : إنه قبر سيدتي تياهة ، وإنما هو قبره .

قال شيخنا أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد البرزلي رحمه الله تعالى : « لأعرف
أحدا عرف بتياهة ؛ وإنما هو قبر الشيخ أبي إسحاق هذا ، والمسجد الذي قبره
فيه هو المسجد المشار إليه بمسجد الخميس .

ومنهم :

● ١٢٦ (أبو محمد : عبد الله بن خليل التونسي المقعد (٢))

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

﴿ قال ﴾ : كان من كبار العابدين ، وأفاضل عباد الله الصالحين ، يصلي كل ليلة

(١) وكذلك عياض في المدارك ، غير أن هذا التاريخ لا يوافق خبر امتحانه من ابن عبدون
القاضي ؛ لأن هذا لم يل القضاء إلا بعد عبد الله بن طالب سنة ٢٧٥ ، والظاهر ان المتحن غير
ابن المضاء ؛ يدل عليه قول عياض في المتحنين : فقال منهم : إبراهيم الدمي فظنه الدباغ ابن
المضاء ؛ لاشتراكهما في الاسم والنسبة إلى الدمنة ، ومنه سرى الوم إلى سنة الوفاة ، ويؤيده
أن عياضا لم يذكر حديث الخنة في ترجمة ابن المضاء .

(٢) لم ترجمه المصادر التي بين أيدينا غير أن أبا العرب ذكره في سياق سند حديثه بهس ١٧٩

أربعمائة ركعة يختم فيها القرآن .

توفي بالقيروان ليلة الخميس الثالث من شوال سنة ست وسبعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التُّجِيبِي .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب سلم ، وقره معروف قُرب قَبْرِ ابن اللبَّاد ، رحمها

لله تعالى .

ومنهاهم :

● ١٢٦ ﴿ أبو جعفر : أحمد بن معتب بن أبي الأزهر ﴾ ٦٤: ٢

﴿ عبد الوارث بن حسن الأزدي رحمه الله تعالى ^(١) ﴾

﴿ قال ﴾ سمع من سَخْنُون بن سعيد ، وسمع بالمشرق من حُسَيْن بن حسن ^(٢)

صاحب ابن المبارك :

﴿ قلت ﴾ : زاد التُّجِيبِي : وبالمدينة من ابن العُماني ، وقال المالكي : « كانت

له رحلة إلى المشرق ، وسمع سمعات كثيرة ، وظهره أنه سمع من جمعة ، كما

صرَّح به العَوَّاني .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيهاً صالحاً ، وله صلاة طويلة ، وبكلاء بالليل حتى يسمع

جيرانه نُحَيْبَةً ، وكان عالماً بالحديث ، ثقة .

(١) راجع ترجمته في قضاة قرطبة وعلما افريقية لابن حارث ص ١٨٩ - ١٩٠ ،

ورياض النفوس ١/ ٢٧٠ - ٢٧٣ ، والمدارك ٣/ ٢٣٠ - ٢٣٣ ، والدياج المنهب

١/ ١٤٧ .

(٢) المروزي كانى المدارك .

﴿ قلت ﴾ : وفي كلامه بقرتقول أبي العرب : وكان له نُسكٌ وخشوعٌ وحُسنُ خلُقٍ ، وكان فيه زهدٌ .

﴿ قال ﴾ : وروى أنه سمع قوماً^(١) بالبقرية في يوم سَبْتٍ وهم على حالة شرابٍ ، وعندهم قوَالٌ^(٢) يقول ، فدخل عليهم^(٣) ، فقال : « من كان منكم يقول ؟ » قيل : « هذا » ، فقال له : « سألتك بالله إلا أعمدت الشعر » فقال :

الغفوة أولى بمن كانت له القُدَرُ .

لا سيما الغفوة عن من ليس ينتَصِرُ^(٤)

أقرَّ بالذنبِ ؛ إجلالاً لسيدِهِ

فقام بين يديه ، وهو يفتَدِرُ

فبكى أحمد وأنَّ ثم قال : « تاب الله عليكم ، أخذ الله بأيديكم » ، فأمَّن صاحب الدار ، ثم خرج أحمد فقال صاحب الدار : « والله لا عصيت^(٥) الله بعد ما رأيتُ هذا الشيخَ أبداً » فتاب هو ومن كان معه في المجلس .

(١) في ت : « يوما » وهو تصحيف .

(٢) يريد به : المنشد .

(٣) في م . « آليهم »

(٤) في المدارك : « ... لا سيما من مصر ليس ينتصر » وفي الرياض ..

« لا سيما من مقر ليس ينتظر »

وما هنا أقوم من الرواتين .

(٥) في ت : « ما عصيت »

﴿ قلت ﴾ : هذه الحكاية ذكرها المالكي عن الشيخ أبي بكر بن اللباد،^(١) والقوالُ : هو : أبو شرفٍ ، ودخوله عليهم إنما هو بإذن ، وإنما تركه ؛ لعلم به ولم يدخل أحمد حتى تقدّم صاحب الدار ، وغيب ما كان بين أيديهم^(٢) من الشراب ، ثم أذن له كما صرح به التّجيبى .

﴿ قال ﴾ : حدثني إبراهيم بن سعيد قال : قال أبو شرف : « أصبحتُ يوماً عند بعض إخواني بالرّبط المعروف بالبقرية في يوم سبت ، فبينما أنا أغنى إذ قرع علينا الباب ، فخرج صاحب الدار . وإذا أحمد بن مُعتبِ الفقيه : فقال : أردت أن أدخل عليكم ؛ فاستحيا منه صاحب الدار واعتذر إليه ، فقال : « لا بد » فدخل إلينا صاحب الدار قبلة فغيب ما كان تحت أيدينا من الشراب ، ثم أذن له ، فدخل ، وسلّم علينا وقال : « من كان المتكلم آتفا ؟ » وذكر ما تقدم ، وذكر أنه ردّد القارىء مرارا .

﴿ قال ﴾ : ثم دخل أحمد مسجد السبت بالدّمسنّة ، فسمع قارئاً يقرأ « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »^(٣) فخر أحمد صعباً ؛ فاحتُمِل إلى داره ، فمات قبل وصوله إلى الدار ، فخرجوا به والصبح خلف نعشه : هذا قيل القرآن ا هذا شهيد القرآن ا

﴿ قلت ﴾ : أراد بقوله ثم دخل مسجد السبت : يعني في ذلك اليوم : كما صرح به ابن اللباد .

(١) ص ٣٧٠ - ٣٧١

(٢) في ت : « بأيديهم »

(٣) سورة القصص : ٨٣

[وقيل: سمع القارىء يقرأ: «الهاكم التكاثر»^(١) وقيل: بل سمع بيتا من الشعر فيه ذكر النار وليس هذا عندي باختلاف؛ فهو سمع الجميع؛ نقول ابن اللباد^(٢)] دخل المسجد فسمع بعض القوالين يقول:

دع الدنيا لمن جَهِل الصَّوَابَا قد خَسِرَ الحُبُّ لها وخَابَا
وما الدنيا - وإن رَأَيْتُكَ - إلا كِبَلَّةٌ رَأَيْتَ بِهَا سَرَابَا /
إلى أن انتهى إلى قوله :

٦٥:٢

يظل نهاره يُبْكِي شَجِيئًا ويطوى الليلَ بالأحزانِ كَابَا
ثم قرأ القارىء آيةً من القرآن؛ فخرصمًا؛ فاحتُمِلَ لِمَى داره، ولم يزل مُنَازِعَا
إلى مغيب الشَّمْسِ، فتوفى بعد العشاء الآخرة، وهذا خلاف ما تقدم من كونه
مات قبل وصوله إلى الدار، [وخلاف قول النجيبى: عند وصوله]،^(٣) قال
المالكى: ^(٤) ولما انصرفوا من مجلس الذكر مرُّوا به على الصديبى العراقى
فقال: «هذا الرياء» فلما مات قال: «هذا والله الإخلاص فى
الصدق» .

﴿ قال ﴾ : وخَسَمَ فى مسجده ثلاثين ألفَ خَتْمَةٍ ، وُجِدَ ذلك مكتوبًا فى
قِبْلَةِ المسجِدِ .

(١) سورة التكاثر: ١

(٢) ما بين القوسين سقطت

(٣) ما بين القوسين ليس فى ت .

(٤) فى الرياض ١ / ٣٧١

ومن حكمه رحمه الله :

« كلُّ كلمةٍ لم يتقدّمها نظرٌ ؛ فالكلام فيها خطر ، وإن كانت من أسباب الظفر (١) » .

وكان يقول : « لو أهَمَّكَ شأنك ، كَلَلَّ (٢) لسأُتكَ : ولولا الفُضُولُ ، صَفَّتِ العقولُ : ومن كان بالليل نايماً ، وبالنهار هايم ، متى ينال الغنايم ؟ » .

﴿ ذكر بقية أخباره ﴾

قال المالكي (٣) : كان سحنون إذا اجتمع الناس للسمع يقول : انظروا هل جاء أحمد بن معتب فإن جاء قرأ القارىء ، وإلا أخرج ذلك حتى يأتي : وقيل له : أكان سحنون لا يسمع حتى تحضر أنت ؟ فقال : لا أدري ، غير أني كنت إذا حضرت أمر القارىء (٤) .

وغمص (٥) الناس عليه في أن القاضي عبد الله بن طالب كان مُكْرَمًا له ، (٦) وكان أحمد حاضرًا للكلمة التي قالها ابنُ طالب في شأن الأمير ابن الأُغلب التي (٧) قتل ابن طالب من أجلها ، وقيل : بل لم يشهد عليه - بعد أن

(١) بالأصل : « النظر » والتصويب من الرياض .

(٢) في م : « لكان » وهو تحريف .

(٣) راجع الرياض ٣٧٢/١ وفيه أن سحنوناً كان يقول : انظروا هل عبد الجبار حضر ،

فالظاهر أن في العبارة تحريفاً إن كان ما هنا هو الصحيح .

(٤) في الرياض : « أمر القارىء أن يقرأ للناس . » وهي أم ما هنا .

(٥) غمص الناس عليه : عابوا

(٦) في ت : « به »

(٧) ليست في ت .

رأودَه عليها ليلةً كاملةً بسأهره ويُسأله - وهو يقول: لأحفظ [عليه^(١)] شيئاً قاله ،
وكذبُ الناس كثيرٌ .

والكلمة المشار إليها هي قوله - في الأمير إبراهيم - : هذا فعل الدهرية :
هذا فعل مَنْ لا يؤمنُ بالله واليوم الآخر ؛ لكونه أمر عبيده في أهل قرية
إيانة فعاونوا في كرمهم^(٢) وفعّلوا أفعالاً مُنكرة ؛ لما امتنع أهلها من
بيعها له .

وامتنح - بعد ذلك - على يد القاضي : ابن عبدون عدوه .

وذلك أن ابن مُعتبٍ كان لطيفَ المِرْلة خامل^(٣) المِكانة ، يكتب إليه
إبراهيم بن الأغلِب : إلى أخى في الإسلام ، وشقيقى فى المحبة ، فتلاخى مع
ابن عبدون ، ووئىق بمكانه من الأمير ؛ فخذله ومكّن منه ابن عبدون ،
فأدخلَ رجلية فى فَلَقة ، وضربهما حتى أدامها ؛ فكان أحمد بعد ذلك يقول :
هذه النازلة خيرٌ لى ؛ إذ سلّبت محبة إبراهيم بن الأغلِب من قلبى .

ولما مات ابن مُعتبٍ وشهد الناسُ جِنَازته ، وباتوا على قبره ، نظر ابنُ
الأغلِب ليلةً إلى مَنْ على قبره من الناس ، وكثرة الشيوخ قال لابن عبدون : هذا

(١) من المدارك

(٢) كذا فى م ، ت والصواب : « حرمهم » على ما فى المدارك والرياض : « ولإباحة
السودان على نساء أهل إيانة الخ والقصة تقدمت قريباً فى ترجمة ابن طالب .

(٣) كذا بالأصول والصواب - على ما فى المدارك - « سامى المِكانة » والقصة منقولة

عنه وعن أبى العرب .

الذى كنت تهون أمره عندي ؟ انظر عاقبة أمره .
﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة سبع وسبعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التُّجِيبِي ، وقال الطُّبْرِي : توفى سنة ست وسبعين ومائتين
ولما ذكره العوانى قال : وقول الدِّبَاغ : كانت وِدَّته سنة سبع وسبعين ومائتين / ٦٦:٢
خطأ بين .

﴿ قلت ﴾ : إن أراد بقوله : سنة سبع وسبعين على ظاهره فهو وهم منه ، وإن
أراد بـخطئته إنما هو قوله سبع ؛ وإنما توفى سنة ست وسبعين كما قال الطُّبْرِي
فهو لم يختص بذلك ؛ إذ سبق في ذلك التُّجِيبِي ؛ إذ هو مختصره ، ويزيد بعض
زياداتٍ عليه ، وربما ينقص ^(١) :

﴿ قال ﴾ : ودفن بمسجد السَّبْت ، وقيل دفن بباب أبي الربيع .

﴿ قلت ﴾ : وهذا هو الأقرب ؛ إذ لم يحك التُّجِيبِي غيره .

قال العوانى : ورأيت قبراً بمسجد السَّبْت يحكى أنه قبر أبى جعفر رحمه الله تعالى .

﴿ قلت ﴾ : كان شيخنا أبو الفضل : أبو القاسم بن أحمد البرزلى رحمه الله
تعالى إذا زار بنا ذلك القبر يقول : إنه قبر أبى محمد الأنصارى الدُّمْنِي الضَّرِير

(١) هذا التعقيب ليس بذلك ، وهو على ما فيه من التعقيد يسلم قول الطُّبْرِي : ان
الوفاة كانت سنة ٢٧٦ وقد جزم عياض بأنه توفى لسبع خلت من ذى القعدة سنة ٢٧٧ قلا عن
أمن اللباد الذى كان حاضر المجلس ، وضبط سبب الوفاة بدقة ، ثم قال : ويقال : سنة
ست وسبعين . هكذا بالتمريض ، وما شهد له العيان أقوى . فما توافق عليه ابن اللباد وعياض
والتجيبى والدباغ : أئمت .

الذى ينسب اليه المذكور ، ويقول : هذا المشهد الذى على قبره فيه غير اسمه ،
وضعه عليه بانيه ، وليس فيه اسم واحد منهما .

ومنهم :

● ١٢٧ (أبو عبد الله : محمد بن زرقون بن)

(أبي مریم المعروف بالطيارة) (٢)

(قال) : سمع من سحنون وولده محمد ، ومن علي بن معبد ، ولم يكن
في أصحاب سحنون أحسن منه مجلساً .

(قلت) : زاد التجيبي : وكان يكتب لأبي العباس بن طالب القاضي .

(قال) : وكان قتيها ذا صلاح ، ودين ، وتهجد ، وورع .

(قلت) : زاد غيره : فاضلاً ، زاهداً متقشفاً ، كثير الخضوع في صلاته
متفناً في العلم .

(قال) : أقام إماماً وخطيباً بجامع القيروان عشرين سنة .

(قلت) : مثله ذكر التجيبي وزاد غيرها : لم يسجد سجود سهو ، قال التجيبي :
سمعت محمد بن عمر يقول سمعت : محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول : في رجل
له ثلاث نسوة ، فقال لواحدة : أنت طالق ثلاثاً ، وقال للأخرى : وأنت شريكها ،

وقال للأخرى : وأنت شريكتهما - تطلق الأولى ثلاث تطليقات ، والثانية تطلق طلقتين ، والثالثة : تطليقة .

قال ابن زرقون : وقال محمد بن عمر : أرى أن تطلق الثالثة ثلاثاً كالأولى - وهذا بالاستحسان .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة ثمان وسبعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : وتبعه العواف ، وهو خلاف قول التَّجِيبِي : وتوفى سنة ثمانين .

﴿ قال ﴾ ودفن بباب سلم وهو ابن سبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

ومهم :

● ١٢٨ (أبو حفص : عبد الجبار بن خالد)

﴿ بن عمران السُّرِّي رحمه الله ^(١) ﴾

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون ، وأبي زكرياء الحفري ، وأبي يحيى : حماد بن يحيى السَّجْلَمَاسِي ، كان قتيماً ، فاضلاً ، زاهداً ، ثقةً ، طويلَ الصلاة .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بئرٌ لقول أبي العرب : وكان كثيرَ الدعاء ، مجتهداً ، ومن عقلاء شيوخ إفريقيا .

(١) له ترجمة في الرياض ١/٣٦٦ - ٣٦٩ ، وطبقات ابن حارث ١٩٧ - ١٩٨ ، والمدارك

﴿ قال ﴾ : وكان سحنون يقول : « عبد الجبار تقي في بطن أمه »

﴿ قالت ﴾ : وفيما ذكره نظر ؛ اذ لم يحك المالكى إلا لأحمد بن / معتب كما

٦٧:٢

تقدم عن سحنون (١)

﴿ قال ﴾ : وكان قد نظر في العلم ، لا يقريء الناس حتى يحضر عبد الجبار (٢)

﴿ قال ﴾ : وكان قد أجاد في العلم حتى وازى سحنون بن سعيد أو كاد ،

ثم قال يا أبا عيَّاش ، قد بلغنا من هذا العلم (٣) ما قد علمت ، وقد مالت نفسي

للعبادة ، فبلغ منها حتى لحق - أو كاد - منزلة البهلول بن راشد ، ورباح بن يزيد

﴿ قالت ﴾ : فقيه المخالفة من وجهين : أحدهما . أنه حكى على القطع : أنه

وازى سحنوناً ، وهو خلاف نقل التعجبي : « أو كاد » .

الثاني : أنه وازى في العبادة واصلاً وهو في التعجبي - على الشك - بمنزلة البهلول

ورباح - لا بمنزلة واصل (٤) .

(١) في س : « كما تقدم وعن قال : وكان قد نظر ... »

(٢) في هذا الكلام نظر فان ما سبق عن الدباغ أت ذلك كان في شأن أحمد بن

معتب وقد اورده المالكى في ترجمته ، وذلك ما يفيد نقل الدباغ عنه ، ولا يقدر في هذا

ما في المطبوعة من الرياض في ترجمة أحمد بن منب س ٣٧٢ ، حيث أتم عبد الجبار فيها ،

وجاء الحديث عن مناقبه ، بينما الترجمة لابن معتب لا له ، فلعله خطأ مطبعي أو خطأ في أصل

المطبوع .

ولا ريب أن ابن ناجي حين نسب إلى المالكى في ذلك ما نسب بشأن أحمد معتب كان

قد وقف على نسخة خالية من هذا الاضطراب .

وهذا يتأيد بملحوظة ترجمة عبد الجبار في الرياض والمبارك أيضاً من هذه المنقبة .

(٣) في ت : « من العلم »

(١) في س ، « أنه وازى سحنون في العبادة واصلاً » بزيادة سحنون ولا

وجه له . =

﴿ قال ﴾ : وكان كثير التهجّد ، بختم كل ليلة من رمضان القرآن .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التّجّيبى ، وقال المالكي : حدث هاشم ^(١) بن مسرور قال : مضيت ليلة من ليالي رمضان إلى مسجد عبد الجبار ؛ لأصلي خلفه التراويح ، فصليت معه صلاة العشاء الآخرة ، فلما فرغ من الصلاة تنفّل الناس ما شاء الله تعالى أن يتنفّلوا ، ثم قام المؤذن فقال : الصلاة يرحمكم الله . فقام الناس ، ودخل عبد الجبار المحراب فقرأ في الترويجة الأولى : « البقرة » و « آل عمران » و « النساء » و « المائدة » فلما قضاها انصرف كثير من الناس ، ثم قام في الترويجة الثانية فقرأ « الأنعام » و « الأعراف » و « الأنفال » و « براءة » ، فلم يمدى برءوس الرجال أراها في ضوء القناديل تتمايل يمينا وشمالا ، ثم تبادى في الصلاة فكان يمر في القراءة مرّ الجواد ، فإذا اشتبه عليه الحرف أو تعاميا فيه تركه ،

= هذا والتقاد ابن ناجي آت من اختلاف النسخ كذلك ؛ فان ابن ناجي نبى اتقاده على إهمال عبارة « أو كاد » فى موازنة المترجم بسحنوز - فى الوجه الأول - وعلى موازنته بواصل - دون البهلول ورباح فى الثانى - وكلا الموجبين غير موجود بالنسخة التى بين أيدينا . .

على أن هذه النسخة لا تخلو من قص يظهر ما يّم الكلام به بإيراد نص المذرك (٢٦٠٣) .
قال ، معنى أبا عياش : ودرس عبد الجبار العلم حتى بلغ - أو كاد - مبلغ سحنوز ثم لما حج الحجة الثانية ، قال : قد نلنا من هذا العلم ما علمت ، وقد . . . حتى إلى هذه الناحية من العبادة ؛ فبلغ فيها مبلغ البهلول أو رباح .

(١) فى الرياض : « أبو هاشم » ولعلها كنية عبد الله بن هاشم لأنّ لم يكن ثم خطأ ببعض النسخ . ولا يتأتى أن يكون الآتى ابناً لهذا ؛ لأن المتصحت واحد .

وفراً ما يليه ، فيقرأ العشرين آية ، والثلاثين آية ، والأقل والأكثر ، ثم يتفكر^١ في ذلك المرف ، فيرجع إليه فيقرؤه مفرداً ، ثم يعود إلى الموضع الذي كان فيه فيقرأ منه :

قال : فما زال كذلك حتى ترآجع السامر إلى المسجد من آخر الليل ، وتمادى حتى ختم القرآن ، وأناه مؤذنه بقصعة فيها شيء من ترديد يسير ؛ فتسجر منه ، ثم أذن المؤذن وطلع الفجر ، فصلى بهم الصبح . قال عبد الله بن هاشم فجاهرت^(١) نفسي : أن أقدر على ما قدر عليه عبد الجبار من مجاوزة الموضع الذي أشكل عليه وجوعه إليه بعد برهة^(٢) ثم رجوعه إلى الموضع الذي كان فيه ، فما قدرت^٢ على ذلك إلا بعد ثلاثين سنة .

﴿ قال ﴾ : وختم في مسجده نيفاً وأربعة آلاف ختمة .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بترلز زيادة التعجبي : « في الفريضة » ولذا قال غيرها ختم

في مسجده ثلاثين ألف ختمة ، وكان يختم فيه كل ليلة ختمة .

قال المالكي : حدثت هاشم^٣ المذكور قال : « خرج عبد الجبار من دار يوم الجمعة للرواح إلى صلاة الجمعة ، فاذا شاب جميل له هيئة حسنة ، ولباس جميل ، وقد أتبع صبيته يمشي خلفها ، فلما رأى عبد الجبار شق عليه ذلك ،

(١) في الرياض : « لجاهدت » وهو الصواب .

(٢) في س : « بعد برهة »

فاتكأبرجله على الأخرى فقطع شسع نعله ، ثم صاح « ياشابُّ ياشابُّ »
 فالتفت إليه ^(١) فمشى إليه عبدُ الجبار / فوقف الفتى وقال له : « مالك ؟ » [قال] ٦٨:٢
 قد كبر سني ، وضُف بصري ، وقد انتطع شسع نعلي فأصليحه ، لى . قال : ^(٢)
 فأصلحه له ^(٣) ثم نظر عبدُ الجبار إلى الصبية - وقد أمسكت في مشيتها فأخذ من
 الشاب النعل ، وأخذه في رجله ، وتمادى الشابُّ في أثر الصبية ، فاتكأ عليه عبدُ
 الجبار ثانياً فقطعه ، ثم صاح ياشابُّ ياشابُّ - وكانت لعبد الجبار هيئة عظيمة
 - فعاد إليه الشابُّ فقال له : « أصلح النعل يا مبارك ؟ أصلح صلاحاً شديداً
 أظنك ما أصلحته إلا وأنت مستعجل ، ! » فأخذه الشاب وأصلحه ، فعطف عبدُ
 الجبار عليه وقال له : « ياشابُّ أنا قطعتُ النعلَ المرة الأولى والثانية !
 وإنما فعلت ذلك إشفاقاً عليك ، ورحمةً لك ، وخفت والله يا بني على الشباب
 الصبيح من لهب النار . »

وبكى عبدُ الجبار وبكى الشابُّ ثم قال له : « جزاك الله خيراً ، فوالله ما عدتُ
 إلى ما كان مني أبداً » .

ثم صحبَ عبد الجبار إلى الجامع ، ثم زبَّ وحنَّتْ توبتهُ وإنابته ،
 وكان من فضلاء أهل وقته ؛ فآفقه الله بنية عبد الجبار وبلطفه ورقته .

(١) ليست في س .

(٢) ليست في م .

(٣) ليست في م .

وذكر أن أولاد إبراهيم بن أحمد [بن الأغلب^(١)] الأمير حَتَنَهُمْ ، فمضى أهل الدلم والمشايخ - مشايخ أهل القيروان - تهنئته ، وكان ممن مضى إليه عبد الجبار بن خالد ، فلما أتى إلى الأمير أكَبَرَهُ وَعَظَّمَهُ وَسَرَّ برؤيته ، وأخرج إليه أولاده فدعاهم ، وبرك عليهم ، ثم قال :

« أيها الأمير : هل علمتَ مقدارَ هذه النعمة التي أنعم الله عليكَ بها ؟ أعطاكَ بنينَ مثل هولاء : علمتهم كتابَ الله ، وأحييتَ بهم سنةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ، وقد بلغني عنكَ أنكِ بالغتَ فيما عمَلتَ من الطَّامام للأغنياء ؟ » .

فقال له : « أجل » : [لموضع المسرة بذلك^(٢)] .

قال له عبد الجبار : « فلو استكملتَ هذه المسرةَ بأن تذكروا الفقراء ؟ »^(٣) .

فقال : « صدقت وبررت » ودعا بكيس فيه خمسمائة دينار ، ودفعه إلى عبد الجبار ، وسأله أن يفرقه على الفقراء والمساكين ، فأجابه عبد الجبار إلى ذلك ، فسرَّ به الأمير ، وخرج معه إلى باب القصر ، وقال : « احموا الشيخَ على دابته » وقال : « والله لا برحتُ حتى تركبَ » .

(١) من س .

(٢) من الرياض .

(٣) م : « ثم دعا » .

فركب عبدُ الجبَّار، والأَميرُ قائمٌ، فلما ركب واستوى على دابَّته، وأصلحَ
لِلنِّلمانِ ثِيابَهُ، وانصرف: التفت الأمير إلى كاتبه: رجاء بن محمد وقال:
« يا رجاءُ رأيتُ؟ ما أعقله وما أظرفه؟ أتعرف في رعيّتي مثله؟ إنه قضَى
ذِمَّامَنَا، وتَعَافَى من طعامنا، وأخْرَجَ ما لَنَا فيما بُرِّضِينَا!! »
فتصدَّق عبد الجبار بالدينارِ جميعاً على الفقراء والمساكين، ولم يُبقِ
منها شيئاً.

﴿ قال ﴾: وقال أبو جعفر بن أبي خالد الدباغ الفقيه: سمعت عبد الجبار يقول:
كنتُ أخْلُو لأسْلَمَ، فصرتُ أخْلُو لأغْنَمَ؛ ثم صرتُ أخْلُو لأعلمَ. ثم صرتُ
أخْلُو لأفهمَ، ثم صرتُ أخْلُو لأنعمَ.

﴿ قلت ﴾: زاد التَّجِيبِيُّ عنه، قال: « خاتُ على عبد الجبَّار فقال لى: يا أبا
أحمد؛ لو رأيتنى وقد أقامنى، ثم ظوّر لى، ثم أوقفنى بين يديه، فأتت سحابةً
فأبرقتْ، وأرعدتْ، وأمطرتْ، وأنبئتْ / وتمّ النبات.

٦٩: ٢

﴿ قال ﴾: وله كلامٌ حسنٌ في المعرفة والحقيقة.

وقال عبد الجبار: « من ترك رأيه واتَّبَعَ الشَّنَنَ والآثَارَ - رُجِيَ له أن
يلحقَ غداً بالأبرار، ومن تبع رأيه وترك الشَّنَنَ والآثَارَ خُفْتُ غداً أن
يكونَ ماواه النار. »

﴿ قلت ﴾: قال التَّجِيبِيُّ: « كان يَنْبِذُ بكلامٍ قليلٍ يدلُّ على معنى كثيرٍ،

مثل قوله: « من قل كلامه قلت آثامه ». (١)

[وقوله: « من كانت له وآية لم يعدم بليّة »] .

(١) ليست فى ت .

وقوله : « الصوم عن الكلام أفضلُ من الصوم عن الطعام » .

وقوله : « من زُمَّ لسانه كثر في الدنيا والآخرة أمانه » .

وقال عياض : كان يقول : « كلَّ كلمة لم يتقدمها نذر ، قال كلام فيها خَطَر ، وإن كانت من أسباب الظَّفَر » (١) .

﴿ قلت ﴾ : ولعله وَهَم ، وإنما هو من قول أحمد بن مُعْتَبٍ كما تقدم في ترجمته من نقل المالكي .

وقال الشيخ أبو بكر بن اللباد : « كنا نسمع على عبد الجبار بن خالد في جامع ابن وهب : من البرِّ أن لا يمشى الرَّجُلُ أمامَ والده ، فقال : من برِّه أن يمشى أمامه في الظلام .

﴿ قلت ﴾ : أراد أنه عامٌّ مخصوص فيمشى أمامه . حيث الحاجة إلى ذلك كظلامٍ أو طينٍ أو لصٍّ أو غير ذلك .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائتين وهو ابن سبع وثمانين سنة ، ودفن بباب سلم ، وصلى عليه حمديس التطان .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بَترٌ وقصور ، أقول التجيبي وغيره : توفي يوم الأربعاء لأول يوم من رجب وقيل يوم الأربعاء لتسع عشرة بَتين من جُمادى الأخيرة من السنة المذكورة .

ومحمد يس وعبد الجبار يُضْرَبُ المثل في الفضل والدين بإفريقية إلا أن عبد الجبار أُنْبِئُ من حمديس رحيمًا الله ورضى عنهما .

(١) في م ، س : « النظر » والتصويب من الرياض .

ومنهم :

● ١٢٩ (أبو أحمد : معتب بن رباح)^(١)

﴿ قال ﴾ : كان رجلاً صالحاً ورِعاً ، من أفاضل المسلمين ، صحب البُهلول
ابن راشد ، وانفع بصحبته .

قال سهل القبرياني : « كان مُعْتَبٌ رجلاً صالحاً ، وكان إذا دخل الحمام
عَصَبَ عَيْنَيْهِ بِعَصَابَةٍ ، وَيَكُونُ عِنْدَهُ مَنْ يَقُودُهُ ؛ لِئَلَّا يَقَعَ بِصَرْمِهِ عَلَى
عَوْرَةِ رَجُلٍ .

وروى أن مُعْتَبِيًا هذا دخل على البُهلول في مسجده ، فقال له البُهلول :
« ما جاء بك ؟ » فقال له : « يا أبا عمرو قد عَزَمْتُ عَلَى الْحَجِّ » فقال له :
« يا أبا أحمد أما كُنْتَ حَجَجْتَ ؟ » قال له : « نعم قد حَجَجْتُ وَاسْكَنْتُ اشْتَقْتُ
إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَإِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ » فقال البُهلول : « كم هيأت
لخروجك ؟ » فقال له : « مائة دينار » فقال له البُهلول : « هل لك أن تأتيني
بها فأصرفها في مواضع ، وأضمن لك على الله عَشْرَةَ حَجَّاتٍ مقبولة ؟ » فقام
مُعْتَبٌ مُسْرِعًا وَآتَى بِصَرَّةٍ ، فَأَفْرَغَهَا الْبُهْلُولُ نَحْتِ جِدِّهِ كَانَ قَاعِدًا عَلَيْهِ ، وَقَعَدَ
مُعْتَبٌ بِنِ رِبَاحٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يَدْخُلُ الرَّجُلُ فَيُعْطِيهِ خَمْسَةً ، وَآخِرُ فَيُعْطِيهِ ثَمَانِيَةً ،
وَآخِرُ فَيُعْطِيهِ عَشْرَةً ، فَوَاحِدٌ يَقُولُ لَهُ : نَزَّوَجٌ مِنْهَا وَعَشْرٌ بِالْبَاقِي ، وَآخِرُ يَقُولُ

(١) ترجمه أبو العرب في طبقاته ص ٢٠٨ .

له : جُدَّ بها على عِيَالِكَ وصَبِيَانِكَ ، وَاخِرُ يَقُولُ له : اسْتَرَبَهَا وَجَهَكَ ، فَلَمْ يَقُومَا حَتَّى نَفَدَتِ الْمِائَةُ دِينَارًا .

وكان بالسُدْرَة - أحد أرباض مدينة (١) القيروان - رجل صالح اسمه أبو سليمان الأعمى ، وكان من / أهل الدين والفضل ، وكان ربما ادَّجَّ إليه صقلاب ٧٠٤٧ ابن زياد الهمداني وأبو النُّصْنُ زبيح (٢) وهما من أصحاب البُهلول يتبركان بالصلاة خَلَقَهُ ، فأخبر أبو سليمان أنه أتاه آتٍ في تلك الليلة . فقال له : يا أبا سليمان امض إلى مُعْتَبِ بن رباح ؛ فأخبره أن الله عز وجل قد وَفَّى له بما ضَمِنَ له البُهلول ، قال (٣) أبو سليمان : فقلِّبَ على النَّوْمِ ؛ فَآتَى الثَّانِيَةَ ، فقال لى : يا أبا سليمان امض إلى معتب (٤) الساعة قبل أن يَطْلُعَ الفجرُ ؛ فأخبره : أن الله عز وجل وَفَّى له بما ضَمِنَ له البُهلول ، فقام أبو سليمان تلك الساعة فَآتَى إلى باب مُعْتَبِ بن رباح فدقَّ عليه الباب فخرج معتب ، فقال له : « يا أبا سليمان ما الذى (٥) أتى بك في هذه الساعة ؟ » فقال له : « أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ أَخْبِرُكَ إنَّ الله عز وجل قد وَفَّى لك ما ضَمِنَ لك البُهلول » .

(١) ليست في س . والرِبَضُ هنا : سور المدينة .

(٢) . ورد هذا الاسم في عدة صور منها هذه ، وفي س : ربيح ، وفي طبقات أبي العرب ط . تونس : « ذبيح » وط . الجزائر كما هنا .

وقد ترجم له أبو العرب فقال : كان مشهوراً من مشايخ إفريقية ، ثقة من أصحاب البُهلول ، وهو نحوي ألسن ، روى عنه موسى بن معاوية وغيره ، وكان قد رحل إلى سقيان الثوري فوجده قد توفى .

(٣) في م : « فقال » .

(٤) سقطت من س .

(٥) من س .

ومعتب هذا من عرب البلد ، وليس بوالد أحمد بن معتب الفقيه الأزدي ^(١) رحمه الله تعالى وفقنا به آمين .

ومهم :

● ١٣٠ ﴿ محمد بن محمد بن يحيى بن سلام التيمي ﴾

﴿ تيم ربيعة رحمه الله تعالى ورضي عنه ^(٢) ﴾

قال ﴿ : سمع من أبيه ، وكان فقيها ثقة ضابطا صالحا كثير الحياء لا يكاد يفض ، قال أبو العرب بن تميم : ولد بعد المائتين ، وصحبته نحو من سبعين ^(٣) سنة إما رأيته فيها ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة .

وكان مطبوعا على الأخلاق الحسنة ، قليل الكلام ، عالما بكتبه ، ضابطا لها ، لا يخوض في شيء من أمور الدنيا .

توفي سنة ثمانين ومائتين وهو ابن أربع وثمانين سنة .

﴿ قلت ﴾ : هذا ينافي نقله عن أبي العرب أنه ولد بعد المائتين ^(٤) وخلاف

(١) وأحمد بن معتب الأزدي هو المعروف بابن أبي الأزهر وقد مضت ترجمته ص ١١٨
(٢) ترجم له أبو العرب ترجمة موجزة في طبقات ضمن ترجمته لجلده : يحيى بن سلام
ص ١١٣ باسم يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام وهو التصويب لما هنا ؛ قال الصواب ان محمد بن محمد بن سلام : يحيى بن يحيى بن سلام .

(٣) هذا النص أيضاً ليس عند أبي العرب هكذا ؛ فإني في الطبقات في ترجمة يحيى بن سلام « وابنه محمد : ثقة نبيل ، ويحيى بن محمد الذي سمعنا منه [كان] صالحا ثقة ، صحبه سنين طويلة : ما رأيته قط ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة صاح على غلام له ... »

(٤) في هذا النقل نظر ؛ فإني في الطبقات : قال أبو العرب : وكان مولد يحيى بن سلام سنة أربع وعشرين ومائة ، ومات محمد ابنه سنة اثنين وستين ومائتين ، وهو يومئذ ابن اثنين وثمانين سنة ، قال أبو العرب : وكان مولد يحيى ابنه قبل المائتين بستين ومات سنة ثمانين

قول التجيبي : توفي وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

﴿ قال ﴾ : وصلى عليه محمد بن أبان ، ودفن بالبلوية رحمه الله تعالى .

ومنهم :

● ١٣١ ﴿ أبو يزيد : سهل بن عبد الله بن سهل ﴾

﴿ القبرياني رحمه الله تعالى ﴾^(١)

﴿ قال ﴾ : كان قفيها ورعاً ، من أهل الحديث ، فعلاً للخير ، وهو الذي

بنى القصر الجديد المعروف بقصر سهل الرباط قبلة مدينة « سوسة » قبالة قصر الطوب ، بينهما وبين سوسة ثلاثة أميال .

وروى عنه أنه قال : « سألني رجلٌ من أهل الورع عن مسألة ما ظننتُ أن أحداً يسأل عنها . قال لي : « ما تقولُ في رجَّلين بينهما مِرْحاضٌ يكون بأحدهما اختلافٌ هل يسههُ ذلك ؟ وعن الرجل يستجمر بمدر غيره ؟ » .

﴿ قالت ﴾ : أراد بالاختلاف كثرة تردده للمرحاض ؛ لبطنٍ به ، ولا شك

في جوازه ، والسؤالُ عنه ورعٌ ، وأما السؤالُ عن الاستجار بمدر غيره فليس هو من باب الورع ، ولا يجوز ذلك إلا أن يعلمَ طيبَ نفسٍ صاحبه أو رضاه^(٢) نطقاً .

وماثنين . قال أبو العرب وحدثني بهذا التاريخ - من موت يحيى ومولده ، وموت محمد - يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام .

وبهذا يتضح ترجيح قول من قال : توفي وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

(١) ترجمه ابن حارث في طبقاته ص ١٨٣ ، وعياض في المدارك ٣ / ٢٧٤ .

(٢) في س : « أو يرضى » .

والعامةُ عندنا يسألون عن ذلك ، ويجابون بما ذكرناه .

﴿ قال ﴾ : توفي / سَهْلٌ في ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ٧١:٢
وصلى عليه حمّديس القطّان ، ودفن بباب أبي الربيع رحمه ، الله تعالى .
ومنهم :

● ١٣٢ ﴿ أبو حفص: أحمد بن وازن ^(١) الصواف

الفقيه المتعبد ^(٢) ﴿

﴿ قال ﴾ : سمع من سَخْنُون ، ومروان بن أبي سَحْمِه ^(٣) .

﴿ قلت ﴾ : ظاهرُهُ أنه لم يسمع من غيرها ، وقال غيرهُ : سمع منهما
ومن غيرها .

﴿ قال ﴾ : وكان عالماً متعبداً مجتهداً .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيرهُ : فاضلاً جليلاً ثم انزل عن العلماء وتفرد للعبادة .

قال أبو بكر المالكي : « يُسَمَّى جوهرة أصحاب سَخْنُون ، كان إذا قام بين
يدَي الله عز وجل للصلاة لم يتعلّق قلبه بشيء سوى ما هو فيه » .

(١) في م : « وزان » وهو مخالف لما في الأصل ، ولما في الرياض والديباج .

وفي الرياض والمدارك : أن كنيته : أبو جعفر ، واختلفت أصول المدارك في اسم أبيه
ففي بعضها : مروان ، وفي البعض الآخر كما هنا .

(٢) له ترجمة في الرياض ١ / ٣٧٣ - ٣٧٤ ، والمدارك ٣ / ٢٦٨ - ٢٦٩ ، والديباج

١ / ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣) في م : « شحمة » .

وحكى أنه كان له ولدٌ له شبيبة ، وكان يخاطب أصحاباً له على سماع الأهو والغناء ، فكانت والدته تقول له : « يا بني ! لا تتحرَّكوا حتى يأخذَ والدك في الصلاة » فإذا أخذَ في الصلاة أخذوا في لهوهم ، فلا يشعرُ بهم ، ولا يسمع شيئاً مما يجري لهم . فإذا أحسَّت أنه ينصرف من الصلاة ضربت الحائط عليهم فيسكتون .

﴿ قال ﴾ : وكان جلوسه وصلاته بمسجد بلج .

﴿ قلت ﴾ : وأصحابنا يقولون بلج باسكان اللام ، وهو المسجد المعروف عندنا بمسجد الدباغ .

﴿ قال ﴾ : توفي هو وسهل المتقدم ذكره في يومٍ واحدٍ .

﴿ قلت ﴾ : زاد التَّحِيبي : أحدهما عند الظهر ، والآخر عند العصر .

﴿ قال ﴾ : وصلى عليه جبلة بن حمود ، ودُفِن بباب سلم ، رحمه الله تعالى ووقع به آمين .

ومنهم :

● ١٣٣ ﴿ حبيب بن نصر بن سهل التيمي صاحب ﴾

مظالم سحنون ومعدود في أصحابه رحمه الله ورضي عنه (١)

﴿ قال ﴾ : وكان سحنون أول من اتخذ صاحب المظالم (٢) .

(١) ترجم له ابن حارث ص ١٩٢ ، وعياض ٣ / ٢٤٦ ، وابن فرحون ١٠٦ .
(٢) هذه محكمة مستقلة أحدثها سحنون ، تشبه المحاكم الاستجالية ، تنتصب بالأسواق ، وتحكم في دائرة محدودة على ما بين ابن ناجي ، وهي غير الحسبة على المصالح العامة ، وهذا مما يدل على وجود نظام محكم ، ودرجات للقضاء في ذلك العصر .
راجع في هذا أيضا ما سيأتي بترجمة سليمان القطان .

﴿ قلت ﴾ : يعنى به أنه قدّمه ليحكّم بين الناس في الأسواق ، وكانت ولايته على المظالم سنة ست وثلاثين ، وقيل : سنة سبع ، فوليها ست سنين : بقية حياة سحنون ، ثم بعد موته سنتين ، وأذن أن يحكّم في عشرين ديناراً ، وامتحن على يدى سليمان بن عمران القاضي (١) فسجنه وضره .

وله كتاب معروف في مسالة سحنون سماه بالأفضية (٢) .

﴿ قال ﴾ : وله تأليف في العقه ، وروايات عن سحنون وغيره ، وهو أخص مما قبله .

وتوفى يوم الأحد لسبع بقين من رمضان سنة أربع وثمانين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : هذا خلاف قول التجيبي توفى سنة سبع (٣) .

﴿ قلت ﴾ : وقيل سنة ست ، فتحصل ثلاثة أقوال .

قال التجيبي : ودفن بعد العصر .

﴿ قال ﴾ : وسنه أربع وثمانون سنة ، وصلى عليه حمديس القطان ، ودفن

بباب سلم ، رحمة الله تعالى عليه . /

٧٢:٢

(١) ليست في س .

(٢) هذا غير ما سجله له ابن سحنون في كتابه أدب القضاء كما توحى بذلك عبارة ابن فرحون عنه : وقد أدخل ابن سحنون سؤالاته لسحنون في كتابه ، وكان جيد النظر ، وله كتاب في مسائل لسحنون ، سماه بالأفضية .

وعبارة ابن حارث : قد أدخل له سحنون سؤالاته سحنونا ومطالعه له في أحكامه في الكتاب الذى أُلّف في أدب القضاء .

ولعل فيها ما يوضح المراد بمسأله سحنونا ، وتكون عبارة ابن فرحون في تسميته كتابه المشار إليه هنا ، وأنه مسائل لسحنون أقرب الى الصواب من عبارة ابن ناجي .

(٣) وهو ما اتصّر عليه عياض وابن فرحون .

ومنهم :

● ١٣٤ ﴿ أبو جعفر : محمد بن أبان الحميري ﴾

رحمه الله تعالى^(١)

﴿ قال ﴾ : سمع من المدنيين والعراقيين ، وسمع من سخنون ، وعون بن يوسف ، ويحيى بن سليمان الحفري ، ومعمار بن منصور ، وأراد إبراهيم بن الأغلب أن يوليه القضاء ، فقام في مجلس إبراهيم على قدميه ، وأهل بالحج ، وخرج إلى مكة .

توفي سنة أربع وثمانين ومائتين ، ودفن بباب تسلّم قرب قبر الشيخ شقران رحمه الله تعالى ، ورضى عنه ، ونفع به .

ومنهم .

● ١٣٥ ﴿ أبو عبد الله : أحمد بن يزيد المعلم ﴾

رحمه الله تعالى^(٢)

﴿ قال ﴾ : يروى عن موسى بن معاوية الصمّادى ، وكان رجلاً صالحاً عالماً بالحديث وعلية ، كثير التعمّد والاجتهاد ، كثير الصلاة ، طويل الركوع والسجود ، مواظباً على التلاوة ، يختم القرآن في كل يوم وليلة ختمة ، مع فقير وزهد وورع .

(١) ذكره ابو العرب عرضا ص ١١٤ ولم يترجم له .

(٢) ترجم له ابن حارث ترجمة موجزة في طبقاته ص ٢٢٦ .

توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين ومائتين ، وقد زاد على التسعين سنة ، ودفن بباب سلم على قارعة الطريق خلف المصلّى ، وصلى عليه حمديس القطان ، رحمة الله تعالى عليه .

ومنهم :

• ١٣٦ (أبو جعفر : حمديس القطان)

رحمه الله تعالى (١)

﴿ قال ﴾ : واسمه أحمد بن محمد الأشعري ، من ولد أبي موسى الأشعري .
قرأ على سخون بن سعيد ، ورحل فلقى بمصر أصحاب ابن القاسم ، وأشهب ، وابن وهب ، وبالمدينة أبا مصعب وغيره .

﴿ قال ﴾ : ولم يسمع منه إلا حكايات ، لاشتغاله بالعبادة .
﴿ قلت ﴾ : أصل ذلك عن أبي ميسرة : أحمد بن نزار قال : « ما قرأنا على حمديس كتاباً ولا روينا عنه ؛ إنما أخذنا عنه حكايات . وكنا إذا سألناه في السماع يقول لنا : « ها هنا جماعة يحملون عنى هذه المثونة ؛ فإذا اقرضوا لزمنى ذلك ، وإذا فعلت ذلك قبل أن يحتاج إلى فعلت ذلك منافسةً وصلباً للرئاسة . »

﴿ قلت ﴾ : ياليت لم يفعل ذلك ! فإن حسنة تعلم العلم مما يبقى ، فهى أفضل

من العبادة .

(١) ترجم له ابن حارث ١٩٧ ، والمالكى ٣٩٤ / ١ ، وعياض ٣ / ٢٥٤ .

وقوله : « فعلت ذلك منافسة » إنما هو توهم ، وقد قال رسول الله ﷺ :
« إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث » فذكر منها : علما ينتفع به
بعد موته (١) .

وكان شريكاً مع عبد الجبار بن خالد في القطن ، يعملان لسوق الأحد فيه ،
وهذا - والله أعلم - في ابتداء أمرها ؛ يدل عليه ما يأتي .
« ذكر ثناء العلماء عليه »

قال أبو بكر المالكى (٢) : « كان فضله أكثر من أن يحمله هذا الكتاب » .
وقال ابن حارث (٣) : « كان علماً في الفضل ، ومثلاً في الخير ، مع شدة في
مذهب أهل السنة ، وكان قد لُجج الناس بتفضيله » .

وبه وبعبد الجبار بن خالد يضرب المثل في العبادة والدين - وكان صاحباً له - .
وقال أبو عياش : « كان حمديس ورعاً ، كاملاً ثقةً مأموناً » .

قال : « وكان لا يسلم على أحد من أهل الأهواء ، كثير التجنب للسلطان » .
روى أن الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سأل حمديساً عن مسألة فلم يجبه
فقال له إبراهيم : « أسألك ولا تجيبني ؟ » فقال له : « زيد أن تمندل بي ؟ »

(١) يشير إلى ما روى في ذلك عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع
به ، وأولاد صالح يدعو له » .

أخرجه مسلم في كتاب الوصية : باب ما ياتى الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣ / ١٢٥٥
والترمذى في كتاب الأحكام : باب الوقف ٣ / ٦٦٠ وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائي
في كتاب الوصايا : باب فضل الصدقة عن الميت ٢ / ١٢٩ وأبو داود في كتاب الوصايا :
باب ما جاء في فضل الصدقة عن الميت ٢ / ١٠٦ .

(٢) ص ٣٩٤

(٣) ص ١٩٧

إن سؤالك إياي تفسكٌ ليس لأن تعمل به .
وكان لا يهاب أحداً في الحق .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكي^(١) : قال حمديس : « اجتمعنا عند إبراهيم بن أحمد ابن الأغلب - يحيى بن عمر وجماعة - فطال المجلس والمذاكرة ، ثم عطف عليّ إبراهيم ، فقال لي : « من أين عيشتك؟ وفي كم أنت من العيال؟ » فقلت له : « في ستة » فقال لي : « العيش من أين؟ » فقلت : « نحن من الله في ستر جميل ، ثم سكّت عني ، فقلت له : « لي عند الأمير حاجة؟ » فنشط إليها وقال لي : « اذكر حاجتك » . فقلت له : « تعافيني من الجحى إليك بعد هذا المجلس ؛ فإنك است تَجِدُ عندي ما تريد؟ » فسكت ساءةً ثم قال لي : « قد فعلتُ » فعطف عليه يحيى بن عمر ، فقال : « وأنا أيها الأمير! » فقال : « لستُ أفعلُ » ، ثم انصرفنا . قيل لحمديس : « فلو أن إماماً عمل بالعصية أكنّت تأمره أو تنهاه؟ » قال : « لا » واحتج بالحديث :

« ينبغي للمرء أن لا يُبدل نفسه اقالوا : وكيف يُبدل نفسه؟ » قال :
« يعرضها من البلاء إلى مالا طاقة لها به^(٢) » .

(١) ص ١٩٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤٠٥/٥ (الجلي) .

والترمذي في السنن : كتاب الفتن : باب [٦٧] ٤ / ٥٢٢ - ٥٢٣ وقال : حديث

حسن غريب

وابن ماجه في السنن : كتاب الفتن . باب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) ٢ / ١٢٣١ - ١٢٣٢ .

كلهم من حديث جنذب عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغي للمرء أن يبدل نفسه ، قالوا : وكيف يبدل نفسه؟ قال : يتعرض من البلاء لمالا يطيق .
(نلفظ الترمذي) .

وذكر حديث مالك قال: «أدرکتُ سبعة عشر تابعياً فما سمعتُ أنهم قاموا إلى إمام جبارٍ فوعظوه .

﴿ قلت ﴾ : وقبله المالكي ، وهو واضح ؛ إذا كان يخفُ على نفسه بما ذكره ، وأما إذا كان آتياً من ذلك فيأمره برفق ؛ لقوله عليه للصلاة والسلام :

« من كان آسراً بمعروفٍ فليكن أمره ذلك بمعروفٍ (١) . »

وقد دخل مالك رحمه الله تعالى على هارون الرشيد فوجد الشطرنج يُلعبُ بين يديه ؛ فوقف وقال : « يا أمير المؤمنين أحقُّ هذا ؟ » قال : « لا » ، قال : « قال الله عز وجل (فماذا بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ (٢)) فأزالها هارونُ ، وأمر أن لا تُنشرَ بين يديه . »

قيل لحدیث (٣) : « فلو أن إماماً دعا إلى البدعة وأمر بها وبات بالدار ؟ قال نجاهده . »

(١) أوردته العراق في الإحياء ٢ / ١٩١ عن البيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده .

(٢) سورة يونس : ٣٢ .

(٣) أورد المالكي هذا القول في الرياض (١٩٥/١) . عقب روايته عن مالك : « أدرکتُ سبعة عشر تابعياً ؛ فما سمعتُ أنهم قاموا ... الخ وكان حق هذه الفقرة أن تكون موصولةً هنـا بذلك النقل عن المالكي حتى تتفق مع سياق الرياض من ناحية ، ولنفهم منها التفصيل الذي أراده حدیث في مقاومة الأئمة من ناحية أخرى . وواضح أن حدیثاً رأى أن ثبت في عمل الإمام بالمعصية في نفسه ، وبين نشره البدعة وحمله الناس عليها ، تخفف في الأولى وشدد في الثانية . »

﴿ قال ﴾ : رَوَى أَنْ حَمْدِيَّسًا لَمَّا اعْتَلَّ دُعِيَ إِلَيْهِ الطَّبِيبُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ تَبَسَّمَ ، وَقَالَ : « مَا أَفْبَحَ الخَافَةَ بَعْدَ المَوَاقِفَةِ ! مِنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ حَالًا وَأَرَادَ هُوَ غَيْرَهَا أَلَيْسَ أَنَّهُ قَدْ خَالَفَ ؟ » ثُمَّ أَنْشَدَ هَذِهِ الأَبْيَاتَ :

بِيَدِ اللهِ دَوَاءُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ دَائِي
إِنَّمَا أَظْلِمُ نَفْسِي بِاتِّبَاعِي لِهَوَائِي
كَلَّمَا دَاوَيْتُ دَائِي غَلَبَ الدَّاءُ دَوَائِي ؟

﴿ قلت ﴾ : الَّذِي دَعَا لَهُ الطَّبِيبُ ، وَسَمِعَ مِنْهُ مَا ذَكَرَ : هُوَ أَبُو سَعِيدٍ : مُحَمَّدُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَخْنُونٍ ، حَكَاهُ المَالِكِيُّ وَالتَّجِيبِيُّ .

﴿ قال ﴾ : (١) وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ : « دَكَّتْ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَشْرِقِ : إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ الخَبِزُ مِنْ حَلَالٍ فَأَعْلِمُونِي حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكُمْ ؛ فَأَنَا مِنْذُ سَنَةٍ مَا وَجَدْتُ لَهُ جَوَابًا . »

﴿ قلت ﴾ : هَذَا مِنْهُ عَلَى طَرِيقِ الوَرَعِ ، وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللهُ لَا يَسْلُكُ عَلَى القَنَاظِرِ الَّتِي / بَنَاهَا أَصْحَابُ السُّلْطَانِ .

٧٤ : ٢

﴿ قال ﴾ : وَتَوَفَّى حَمْدِيَّسٌ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ .

﴿ قلت ﴾ : زَادَ التَّجِيبِيُّ : لِلْيَلْتِنِ خَاتَمًا مِنْ رَجَبِ ، وَدُفِنَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ : مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَخْنُونٍ ، وَسَنَّهُ سَبْعَ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بِيَابِ سَلَمٍ .

﴿ قلت ﴾ : وَقَبْرُهُ مَرَارٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَنَفَعْنَا بِهِ .

ومنهم :

● ١٣٧ ﴿ أبو الربيع : سليمان بن سالم الكندي

القطان الفقيه ﴾

القاضي يعرف بابن كحالة صاحب سخنون رحمه الله تعالى^(١)

﴿ قل ﴾ : سمع من سخنون ، ومن عون بن يوسف ، وداود بن يحيى ، وغيرهم .

﴿ قلت ﴾ : منهم محمد بن سخنون .

﴿ قل ﴾ : وكان ثقةً كثيرَ الكتب .

﴿ قلت ﴾ : كلامه فيه بترٌ لقول التَّجِيبِي : كان من أهل الفقه البارِع ،

كثيرَ الرواية ، حسنَ الأخلاق ، بارًا بمن يأتي إليه للسمعِ عليه ، ذا أدبٍ
وتشَفِّ وعقلٍ ونزاهةٍ ؛ لقول أبي العَرَبِ : « كان حسنَ الأخلاق بارًا
بطاب (٢) العلم ، أديبًا كريمًا » .

وله تأليفٌ في الفقه يعرف بالسُّلَيْمَانِيَّةِ مضاف (٣) إليه .

﴿ قل ﴾ : ولأه عيسى بن مسكين قضاء صِقْلِيَّةِ ، فسار فيها بسيرة العدل إلى

أن مات .

﴿ قلت ﴾ : هذا فيه بترٌ أيضًا ؛ لأن كلامه يؤم أنه ما ولى غير ذلك ،

وليس كذلك ؛ لقول التَّجِيبِي وغيره : ولأه ابنُ طالبٍ قضاء باجة وأعمالها ،

(١) ترجم له ابن حارث من ٢٠٠ (ط . القاهرة) وعياض في المدارك ٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤

وابن فرحون في الديباج ١١٩ .

(٢) ت : « بطلب » .

(٣) م : « يضاف » .

وولاه عيسى بن مسكين مظالم القيروان وأذن له أن ينظر في مائة دينار ، ثم
ولاه ابن مسكين قضاء صِقلية ففشر فيها علماً كثيراً سنة إحدى وثمانين ومائتين^(١)

﴿ قات ﴾ : زاد التَّجِيبِي وغيره : ولم يوجِّد له مالاً بعد موته .

﴿ قات ﴾ : والظنُّ به إخراجُ ما فضل عنه في وجوه البر ؛ لأنه اختلس

بعد وفاته .

﴿ قال ﴾ : مات بصِقلية سنة تسع وثمانين ومائتين رحمه الله تعالى .

ومنهم — م :

● ١٣٨ (أبو جعفر : أحمد بن أبي سليمان داود الربعي)

الصواف رحمه الله تعالى^(٢)

﴿ قال ﴾ : سمع من سَحْنُونِ عشرين سنة حتى مات ، فكان يقول آتى
بني أبي إلى سَحْنُونِ سنة سبع عشرة ومائتين ، لأستسمع منه فاستصغرنى
سَحْنُونِ فأجاز لى جميعَ كتبه ، ثم جئته بعد ذلك فلزمته . كما تقدم ، وسمع منه
جماعة . منهم : أبو محمد : عبد الله بن مسرور التَّجِيبِي ، وأبو الحسن : علي بن
محمد بن مسرور الدَّبَّاع ، وأبو ميسرة : أحمد بن زرار ، وأبو بكر : محمد بن محمد
ابن اللبَّاد ، وأبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم ، وحبيب بن الربيع : مولى

(١) في ت : « سنة إحدى وثلاثين ومائتين » وهو مخالف لما في المدارك أيضا .

(٢) راجع ترجمته في المدارك ٣ / ٢٤٣-٢٤٥ ، وطبقات ابن حارث ص ١٩٠ - ١٩٢ ط

القاهرة ، ورياض النفوس ٤٠٧ - ٤١٣ ، والديباج المذهب ١ / ١٦٧ - ١٦٨ .

وقد تقدمت ترجمة أبيه المنوفى سنة ٢٥١ ص .

أحمد ، ومحمد بن زرقون ، ومحمد بن عمران الطرزي ، وحسين بن محمد ^(١) بن معتب ، ومحمد بن أحمد بن زياد ^(٢) وعالم كثير .

﴿ قلت ﴾ : وكان سبب طلبه للعلم - فيما حكاه - أنه قال « كنت أُطَلَّبُ الشَّعْرَ ، فرأيتُ في المنام كَأَنِّي على حائِطٍ يَرُجِفُ ، ونارٍ عظيمة ، وأنا أخافُ أن أُنْفَعُ فيها ، فإذا حَلَقَ رجالٌ فيهم والدي ، فسكنتُ آنسُ إليه فيقول لي ^(٣) : لا تخف ؛ ارمِ بنفسِك في حنَّةِ سَحَنون تنجو .

(قال) : وكان ثقةً صالحاً عاقلاً كريمَ الأخلاق / برَّ ابنُ يَأْتِيهِ ، وقال ٧٥:٢ عيسى بنُ مسكين : أحمد بن أبي سايان حكيم ؛ لأن أكنزَ كلامه حكمةً ، وكان نقسُ خاتمه : أحمد تفكرتَ تبر .

(قلت) : وقال أبو الحسن : على بن محمد بن مسرور الدباغ ^(٤) : كان أحمد يقول : « أزهَّدُ الناس في الدنيا من لم يرضَ منها إلا بِأَخْذٍ ^(٥) الحلال ، وإن رآه الناس مُتَكِنًا عليها .

(قلت) : ومثله ليحيى بن عمر ^(٦) واختاره شيخنا أبو الفضل أبو القاسم ابن أحمد البرزلي ، وكان لا يرتضى للصوابُ خلافه ^(٧) وهو أنه لا يُسَمَّى

(١) في ت : « محمد » .

(٢) م : « نادر » .

(٣) ليست في ت .

(٤) تأتي رَجْنَه بالجزء الثالث .

(٥) ليست في ت . وفي م : « الحلال » وهو تصحيف .

(٦) في م : « يحيى » .

(٧) مقول القول : « الصواب خلافه ... الخ وهو الذي رده البرزلي ، ورجع قوله

أحمد : « ازهَّد الناس ... الخ » .

زاهداً حتى ينبذ الدنيا وراء ظهره ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « حلالها حسابٌ وحرأما عذاب (١) » .

﴿ قال ﴾ : « وقال أبو الحسن الدبّاغ : أقام يُسمعُ الناسَ ويُفتيهم عشرين سنةً ، وكان يقول : أنا حُبُّسٌ وكتبي حُبُّسٌ - أراد في السَّماعِ وانتفاعِ الناسِ به - .

وروى عنه أنه قال : رأيتُ ليلةً في المنام كأنَّ زُبلاً في مسجدي وأنا أكنسُهُ ، فأصبحتُ مغموماً من ذلك ، فبينما أنا كذلك في المسجد إذ دخل على قومٍ قلتُ من أنتم ؟ قالوا : نحنُ الصَّيارفةُ وجَّهنا عبدُ الله بنُ طالبٍ نسعُ منك كتابَ الصرفِ ، قال : قرأتهُ لهم وعلمتُ أنَّ ذلكَ تأويلُ الرؤيا .

﴿ قلت ﴾ : وأرادَ بقوله : قرأتهُ لهم : قراءةً تبيِّنُ لما دلَّ عليه من المعاني ، ولو كانوا يفهمون لأنفسهم لطلبوا الكتابَ خاصَّةً ، وفي كلام الشيخ بترٌ لأنهم قالوا : أمرنا ابنُ طالبٍ أن لا نصرف من أحدٍ حتى نسعُ كتابَ السرفِ ، وليس في كلام الشيخ ما يدل على هذا ، ولما كان الصرفُ من أضيقي الأبواب ، وذنبُهُ أحمقٌ من غيره فقلَّ بهم هذا دون غيرهم من سائر الباعة .

(١) روى موقوفاً من حديث علي بسند منقطع ، وروى مرفوعاً من طريق ابن عباس وأبي هريرة ، وقال المراق : لم أجده ، راجع كشف الغطاء ٤١/١

قال أبو بكر المالكي^(١) : وكان يقول : ينبغي لطالب العلم أن يتخذ له قبل طلبه أدبا يستعين به على [طلبه^(٢)] وأدبا بعد طلبه يستعين به على [حلته^(٣)] ، ومن أدب العلم الحلم^(٤) ، وأن يغلب حيلك^(٥) هواك إذا دعاك إلى ما يشينك ، وعليك بالوقار ، والتعفف ، والرزانة^(٦) ، والصمت ، والصيانة ، والسمت الحسن ، والتوؤد إلى الناس ، ومجانبة من لا خير فيه ، والجلوس مع الفقهاء ، ومحبة الأخيار ، ومباينة^(٧) الأشرار ، والقول الحسن في إخوانك ، والكف عن ظلمك ، ولا تهميز أحداً ولا تلمزهُ ، ولا تقل فيه ولو كان عدوك ، فإذا^(٨) فعلت ذلك شرفت عند العقلاء ، وعرفت^(٩) حقاك الحكماء ، ولحقت بالعلماء ، وهابك السفهاء ، وحللت محل الأخيار^(١٠) ، وبرئت من الأشرار ، فافهم وتفهم واستعن بالله يُعينك^(١١) الله .

(١) في الرياض ٤٠٧/١ .

(٢) في الرياض : « ياطالب المعلم . إذا طلبت العلم فاتخذ له قبل طلبه أدبا تستعين به على طلبه ، واتخذ له بعد طلبه أدبا تستعين به ... » .

(٣) ما بين القوسين ليس في ت .

(٤) في ت « حلته » وهو تحريف .

(٥) بعد هذا في الرياض : « والحكم كظم الفيض وأن يغلب ... الخ » .

(٦) في الرياض : « وإن يغلب حيلك وعلمك ... » .

(٧) في م ، ت : « الدراية » والتصويب من الرياض .

(٨) في الرياض : « ومناينة » .

(٩) في الرياض : « فان »

(١٠) في الرياض : « وعرفت حقاك الجلساء »

(١١) في الرياض : « الأبرار »

(١٢) في الأصول : « يمينك » وما أتيته : عن الرياض

﴿ قال ﴾ : وكان أحمد شاعراً مجيداً ، ومن شعره ، رحمه الله :
يا لذةً قَصُرَتْ وطال بلاؤها عند التذكُّر في الزَّمان الأولِ
لما تذكَّرها ، وقال - ندامةً مِنْ بَعْدِهَا : يا لَيْتَنِي لم أَفْعَلِ
﴿ قلت ﴾ : ذكر هذين (١) البيتين أبو الحسن الدباغ ، قال : وجدتُهما في
رمة في مسجد أبي سليمان ، فقلت له : أهذا من قولك ؟ قال : نعم .

قال التجيبي : وهو القائل :

فَدَعَّ عَنْكَ الْمَذَاهِبَ وَاتَّبَعْنِي مَتَى تَتَّبِعْ أَنَا الْخَيْرَ الْكَبِيرَ (٢)
فَقِيهُ النَّاسَ سَخُونٌ تَجِدُنِي لِأَكْثَرِ فِقْهِهِ بَصْرًا بَصِيرًا (٣)
وَفِي فِقْهِهِ الْفَقِيهُ أَبُو سَعِيدٍ رَأَيْتُ الْحَقَّ مُتَضِحًا مُنِيرًا
وَفِي تَعْلِيمِهِ عِلْمًا عَلِيمًا وَفِي تَأْدِيهِ سِتْرًا مَتِيرًا
لَزِمْتُ فِتْنَاءَهُ عِشْرِينَ عَامًا أَغَادِيهِ وَأَغْشَاهُ جَبِيرًا (٤)
فَلْتُمْ مِنَ السَّلَامَةِ مَا كَفَانِي وَوَقَانِي وَبَلَّغْنِي الشُّرُورَا

(١) في الأصل : هاتين ، والبيتان عند المالكي ٤٠٨/١
(٢) هذه الأبيات من قصيدة أورد منها المالكي ٤٦ ، يقال : إنها من قصيدة طويلة ، وفي المدارك بعض منها ، وعجز البيت الأول هنا يختلف عما للمالكي وهو : « متابفة تجد خيراً كثيراً » وهو أجود ولا يحتاج إلى إضمار فعل ، كما قال ابن قاضي .

(٣) في الرياض : « بأكثر علمه نفاً خيراً »

(٤) في الرياض بعد هذا وقبل البيت التالي :

وكنت مؤدباً نفسي لنفسي على نفسي أجنبتها النكيرا
فلت من العلوم لطلول عمري وإمضاني وتجريتي الدهورا
وحزت من السلامة

(قلت) : نَصَبَهُ السَّكْبِيرَ بِإِضْمَارِ فَعْلٍ ؛ لِأَنَّهُ (١) نَعَتْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَأَرَادَ
بِأَبِي سَعِيدٍ : سَحْنُونًا ؛ لِأَنَّهَا كُنْيَتُهُ . وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « فَنِلْتُ مِنَ السَّلَامَةِ » أَيْ
مِنَ النَّارِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهَا (٢) .

قال التَّجِيبِيُّ : وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَمَا نَسَا عَمْرَى ثَمَانِينَ حِجَّةً وَأَيَقُنْتُ أُنِّي قَدْ قَرُبْتُ مِنَ الْمَدَى (٣)
تَرَكْتُ تَسْكَالِيفَ الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا وَجَانِبْتُهَا طَوْعًا ؛ فَجَانِبَنِي الرَّدَى
رَأَيْتُ حَلِيمَ الْقَوْمِ فِيهِمْ مُقَدَّمًا وَبَنَ نَالَ عَلِمَا نَالَ جَاهًا وَسُودَدَا
أَرَانِي - بِحَمْدِ اللَّهِ - فِي الْمَالِ زَاهِدًا وَفِي شَرْفِ الدُّنْيَا فِي الْمَرْزَاهِدَا (٤)
تَحَلَّيْتُ عَنْ دُنْيَايَ إِلَّا ثَلَاثَةً دَقَاتِرَ عِلْمٍ ثُمَّ يَتَمًّا وَمَسْجِدًا (٥)
غَنَيْتُ بِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوَيْتُهُ وَكُنْتُ بِهَا أَغْنَى وَأَقْنَى وَأَسْعَدَا
زاد غيره - عنه أيضا :

وَقَدْ ذَمَّ قَوْمٌ مَا فَعَلْتُ جِهَالَةً فَعُدُّوْا مَعَ الْجُهَالِ فِي الْجُهْلِ أَحْمَدًا (٦)
وَلَوْ فَهَمُوا رَأَى وَأَمْرِي لِأَبْصَرُوا
وَقَالُوا : رَأَى رَأْيًا سَدِيدًا مُسَدَّدًا

(١) في ت : « لأنه » وهو خطأ .

(٢) في قوله : هجيرا فهذه هي الإشارة الوحيدة .

(٣) م وأصل الرِيَاضُ : « بِنَاءٌ » وفي المطبوع من الرِيَاضِ « مَحَا »

(٤) م : « زَاهِدًا »

(٥) س : « تَحَلَّيْتُ مِنْ »

(٦) جاء هذا البيت وما بعده في الرِيَاضِ لِأَنَّ مَا سَبَقَ - دُونَ قَائِلِ - وَفِي ت ، وَأَصْلُ
الرِيَاضِ : « . . . فِي الْجُهْلِ أَحْمَدًا »

ألم تر أن الدهر أوقرَ أهله فهو ما وأن العيش صار منكداً (١)
فما حلَّ يوم فيه إلا بفجعةٍ وأنت لأخرى فيه منتظرٌ غداً (٢)
وكم قد رأينا من عزيزٍ مشرفٍ بيتٌ مُقرّاً في القباب مهداً (٣)
فجته المنايا وهو في حين غفلة فأضحى ذليلاً في التراب موسداً (٤)

وله رحمه الله تعالى أشعار كثيرة . .

(قال) : وكان رحمه الله غزيرَ الدمعة ، قرى عليه كتابُ الزهد لسحنون ،
فما زال يبكي حتى فرغ من قراءته ، وكان يُفتى في الذي يفتح حانوتا في الشارع
قُبالة دارِ رجلٍ : أنه يُمنع .

﴿ قلت ﴾ : وبه قال عبد الحميد الصايغ ؛ لأن ضرره أشدُّ من فتح باب دار .
قال المازري : وهو الصحيح .

ولم يرتضيا قول بعض القرويين يجوازه كباب الدار ، وكذلك كان شيخنا .
أبو الفضل : أبو القاسم البرزلي لا يفتى إلا بقول عبد الحميد . /
وكان أبو جعفر يقول - في المرأة تُودَع ودِعة ، فتودعها لزوجها ، فتضيع -
أنها غير ضامنة كالرجل يستودع الودِعة امرأته .
وقال غيره : المرأة ضامنة ، بخلاف الزوج .

﴿ قلت ﴾ : قف على قول أبي جعفر هذا ؛ فإنه من الثرائب ، وقلَّ من يعرفه

(١) ت « أنرا » والتصويب عن الرياض .

(٢) ت : « قوم » والتصويب عن الرياض .

(٣) في المطبوع من الرياض : « بيت مقرا بالضلالة مجهدا » .

(٤) فجته المنايا : يقصد فجاءته أو فاجأته .

من الحفاظ ، والتتوى يقول غيره ، للعرُف ، ولو ثبت العرف في بلد ^(١) لكان كما قال .

(قال) : وتوفى يوم الاثنين لأربع بقين من رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين .

(قلت) : كذا في نسخة عتيقة «لأربع» وهو وهم؛ لقول التجيبي توفى الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر رمضان ^(٢) .

وفي كلامهما معا بترُّ لقول غيرها : ودفن بباب نافع وكان له مشهدٌ عظيم .
(قال) : وسنةٌ سبعٌ وثمانون سنة رحمة الله تعالى ورضى عنه آمين .

ومنهاهم :

١٤٠ ● (أبو عقال: غلبون بن الحسن بن غلبون) ^(٣)

رحمه الله تعالى

كذا قال ، وهو خلاف قول التجيبي وغيره أن اسمه آداب ^(٤) .

(قال) : كان من الحفاظ النبلاء ، والفصحاء الأدباء الشعراء ، وله سماع من سخنون .

(١) أي بما قال أبو جعفر

(٢) عجيباً لهذا الوهم ، فإذا كان موته يوم الاثنين لأربع باقيات ، ودفنه يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رمضان فقيم الوهم أو الخطأ ؟ !

(٣) ترجم له المالكى في رياض النفوس ١/٤٢٧ - ٤٤٢ باسم أبي عقال بن علون والظاهر أن فيه تحريفاً من الذساخت .

(٤) م : « أدب » ، ت : ... التجيبي وأسمه آداب .

نشأ أبو عقاب بالقيروان^(١) في رفاهية عظيمة ؛ لأنه كان من بني الأغلب :
ملوك إفريقية ، فكان شديد المجون ، لم يكن في زمانه أشد^(٢) مجونا منه ،
إلى أن تاب وارعوى ، وتجرد من الدنيا ، وزهد فيما يفنى ، ثم جد واجتهد حتى
كان من كبار العبّاد ، وأفاضل الزهّاد ، وأرّبى على أهل الجهد والاجتهاد .
وكان سبب توبته أنه كان مفتونا بالنساء ، فكان يحضر الأعراس والمآتم
بزيّ النساء ، فحضر يوماً عرساً لبعض ملوك الأغالبة مع جملة من جواربه على
شكل النساء ، فلما جلس بينهن ضاعت درة نفيسة في دار العرس ، فأغلقوا^(٣)
الأبواب ، ووقع التفتيش في النساء : واحدة بعد واحدة ، حتى لم يبق في الدار
إلا هو وامرأة ، فلما خشى الفضيحة قال : إلهي لسُن سترتني هذه المرة ، ولم
تضخني لأنوبن^٤ ثم لأعود - وكان قد تاب قبلها نحو السبعين مرة ثم نكث -
فلما علم الله منه الصدق نادى منادٍ من الدار : خلّوا عن الحرّة ؛ فإننا قد وجدنا
الدرة ! فخرج من الموضع إلى داره وقد حصل في نفسه^(٥) ما حصل من التوبة
النصوح - فرفض المال والأهل والولد والوطن وخرج قادراً بنفسه ؛ فلحق
ببعض حصون إفريقية فصحب بها أبا هارون الأندلسي .

وكان أبو هرون الأندلسي زاهداً متجللاً - فاضع بصحبته ولازمه

حتى مات .

(١) م : « بالقيروان ورفادة »

(٢) ت : « أرشد »

(٣) م : « فظلقوا »

(٤) ليست في س .

﴿ت﴾ : المراد بالدرة : الياقوتة . وقيل إن (١) الذي ضاع إنما هو حلّي لبعض أهل تلك الدار ، وإنهم أمروا بالبواب أن يُغلق عليهم ، وقتشوا النساء ، فكل امرأة لا يجدون (٢) عندها شيئاً أخرجوها ، قال أبو عقاب : وتبت إلى الله عز وجل وتمادوا حتى لم يبق إلا أنا وامرأة واحدة وهي ترادفني (٣) ، وتريد أن تكون ورأى - وأنا أدفها إليهم - إلى أن أخذوها وقتشوها (٤) فوجدوا / الحلّي معها ، فقالوا لها (٥) : انصرفي يا هذه المرأة ، فأزلت الخلف والمعبر (٦) والرداء التي كانت على من زى النساء ، وتماديت على التوبة .

٧٨: ٢'

وما ذكر أنه تاب نحو السبعين مرة : خلاف قول غيره : تاب قبلها سبع عشرة مرة .

وأراد ببعض حصون إفريقية بعض محارس مدينة صفاقس ، كما صرح به غيره .
﴿قال﴾ : روى أنه لما اجتمع بأبي هرون وتعبّد معه جدّ أبو عقاب في العبادة ، وزاد على أبي هرون ؛ فخطر في نفس أبي عقاب أن له شفوفاً (٧) على أبي هارون في المجاهدة فرأى في المنام كأنّ قائلاً يقول له (أم حسبّ الذين اجترحووا

(١) سقطت من م .

(٢) م ، س : « لا يجدوا » على لنة من يحذف نون الجمع تخفيفاً .

(٣) لعل المراد - كما في بعض النسخ : تدافني

(٤) سقطت من م .

(٥) ت : « لها » ولا يستقيم .

(٦) الاعتجار : لف الهامة دون التلحي ، ولبسة للمرأة ، والمجر - كئيب ، ثوب يتجر به . اه قاموس .

(٧) شف الجسم شفوفاً نحل وهزل ، ، يقصد أنه أكثر نحولاً وهزالاً من أبي هارون لتفوقه - في المجاهدة - عنه . هكذا اخطر في نفس أبي عقاب

السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سِوَاءَ^(١)) فَاسْتَيْقِظْ فَرِحًا ،
وعلم أنه^(٢) المراد بذلك لما خطر في نفسه ، فقال لأبي هرون : سألتك بالله هل أتيت
كبيرةً قطُّ؟ فقال : لا يا ابن أخي ولا صغيرة - عن تميم ، والحمد لله .

﴿ قلت ﴾ : وهذا أخصّ من نقل المالكي حيث قال : قلت له : يا سيدي ا
هل تعلقت من الدنيا بذنب أو معصية^(٣) ؟ فقال : « لا والله يا أبا عقال . ما حلت
ثوبى على معصية قطُّ ، ولا أكلتُ مال يتيم ، ولا شهدتُ بغير الحق ! فاسأل الله
يا أبا عقال أن ينفو عنا وعنك ، وأن يُدخِلنا الجنة برحمته » فخبّرتُه بالرؤيا ؛
فبكى ، وقال : « يا ابن غلبون هذه من أكبر النعم ! » .

﴿ قال ﴾^(٤) : ثم رحل أبو عقال من القيروان إلى المشرق مع أبي هرون ،
وكانت له هناك^(٥) رياضات وسياحات ، ثم لازم الحرم إلى أن مات ، ولما علمت
أخته بموته رحلت إلى مكة ؛ فزارت قبره ، وكتبت عليه هذه الأبيات :

ليت شعرى ما الذى عاينتهُ بعد طول الصّوم مع نقي الوسن^(٦)
مع عزوب النفس عن أوطانها والتخلّى عن حبيب وسكن^(٧)

(١) سورة الجاثية ٢١

(٢) م : « أن »

(٣) ليست فى ت .

(٤) ليست فى ت .

(٥) ليست فى س .

(٦) فى الرياض : « بعد دوم الصوم »

(٧) فى الرياض : « مع زوح »

يا شقيقة! ليس في وجدى به علة تمنعني من أن أجن^(١)
وكما تبلى وجوه في الثرى فكذا يبلى عاين المزن
وكانت أختها شاعرة .

﴿ قلت ﴾ : ظاهر كلامه أن أخته لم ترحل إليه في حياته ، وهو
خلاف قول المسالكي : قيل إنها كتبت إليه من القيروان كتباً كثيرة ترغب
إليه في الرجوع إلى المغرب ؛ لتجتمع معه ، وتسرَّ برؤيته قبل أن يفرق الموتُ
بينهما ، فكلَّ كتابٍ يصل إليه منها ألقاه من يده ولم يقرأه ، فلما طال عليها
أوصت^(٢) له - بغير كتاب - بحق الثدى الذي رضعته معك إلا أريتني وجهك
قبل فراق الدنيا ، مالك في حال صباك ، وجناياتك ، وكثرة ما يطراً علينا^(٣)
بسببك كنت عندنا ، وحين صرنا نفخر بك ، ونتبركُ برؤيتك ؛ فارقتنا؟! فقال
لرسولها : قل لها ما كنت لأدع^(٤) بلداً عرفت الله فيه وأمضى إلى بلد عصيت
الله فيه [أخشى أن تقضى^(٥) العوائد] ثم قدمت عليه أخته بعد ذلك من المغرب ،
وأقامت معه بمكة - حتى مات ، رحمة الله تعالى عليه .

٧٩:٢ وقيل / إنها لما قدمت عليه قال لها : يا أخت إن هذا بلد شديد العيش ،
وليس تمكنك الأشياء فيه كما كانت تمكنك في إفريقية وأنت ، قد تعودت بإفريقية^(٦)

(١) في الرياض : « يا وحيداً لي من ... »

(٢) في م ، ت : « وصت »

(٣) م : « علينا » وهو تحريف .

(٤) ت : « ادع »

(٥) في الرياض : « تقتضيني » من الاقتضاء أى تحملني على الرجوع إلى ما كنت فيه ،

كما تبت إلى الله منه . وما في الرياض أصوب .

(٦) ت : « في إفريقية »

العيش الرغد والطعام الطيب ، فقالت له : إذا لم أجد شيئاً أخذت القربة ،
وحملت على ظهري الماء ، وسقيتُ مع السقايات (١) .

ثم إنها أقامت معه ما شاء الله بمكة تتعبد ، وكانت مجتهدة وتوفيت بها .

﴿ قال ﴾ : ولأبي عقاب أشعار في الزهد - منها قوله عند توبته :

أبصرَ بالقلب سبيلَ الرشدِ فبما ين الأهل معاً والولدُ (٢)
وجدَ في السُّبر إلى ربه مُشمرًا يطلب مُلك الأبدِ
قد صارت الدنيا بأقطارها عليه كاسسجنٍ فمنها سرَدُ
﴿ قلت ﴾ : ومن قوله رحمة الله تعالى عليه :

لئن غرُب الإخوان غنى نراه

وخلفني عنهم نصيبي من الفقر (٣)

لقد سرّني أني خلى من الذي

أضاعوه من حقى ولو كنتُ في الأُسرى

ولو كنتُ في الدنيا على مثلِ حالهم

أبجّتهم رَحلى وعُدتُ إلى طبرى (٤)

فعالى إلى خلتى - سوى الله - حاجّة

ولكنه شىءٌ يحدّثه فكرى (٥)

(١) م : « السقايا » وما أبتناه عن س موافق لما فى الرياض

(٢) م : « أبصر القلب »

(٣) فى الرياض : « لئن عزف »

(٤) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم - الثوب الملق أو الكساء البالى من غير الصوف .

(٥) فى الرياض : « تجاذبه »

أبكى على الدنيا إذا ما تعذرتُ

وأورُرُ بالموجود منها على الضرر (١)

سأرعى لهم ما هان منى عليهمُ وأخملُ نفسي في الجفاء على الصبرِ

عليهم سلام الله منى رسالة مُقسمةً بين التواصلِ والمَجْرِ

فما ألفةُ الأحبابِ إلا تشاغُلُ

عن الجدةِ والتشميرِ في الدين والأمرِ (٢)

رضيتُ بوصلِ الله من كلِّ قاطعِ حبالِ الإخافيا ينبؤُ من الدهرِ

وأيقنتُ أن المنعَ من فيضِ جودهِ

وفضلاً لأهل القربِ باح به شكري (٣)

قمتُ على طول الزمانِ مفكراً بأربعة أبلتُ فيها على الصبرِ (٤)

قل لحصون الغربِ طراً ومن بها أجتكمُ حظي من البرِّ والبحرِ

بلا عِوضٍ منها إلى النفسِ راجعِ على بجاهِ في الأنامِ ولا قدرِ

ومن قوله أيضاً، رحمه الله تعالى ورضى عنه :

كأني ونفسي بين حربٍ وهدنةِ إذا ساعدتني في الشهادِ بدأ لها

إذا ذادها للوردِ حادي وعيدها أشار إلينا ضده فازالها

(١) في الرياض : « أتبه » و : هو أقوم .

(٢) في الرياض : « فما ألقه الألاف » وفيها : « في النهي والأمر » وهذا هو

الأصوب ؛ لوضوح انقالبه

(٣) ت : « سكري » وهو تحريف .

(٤) م : « على حول » الرياض : « على صول ... بأربعة أثبت »

تخالفني في كل أمر أريده وتقطع عني باليمين شمالها
فمن لي بنفس لا تزال غويةً تساعد شيطاناً يريد ضلالها / ٨٠:٢
فلو كان لي التخيير في بدء خلقتي

تعوذت من نفسي فلم أرحلها^(١)
وكنتُ كمن لم يبسِّدع الله خلقه بلا علة آسى عليها ولا لها^(٢)
ولو كنتُ في الدارين حراً مدلاً

لنقص ذكرك الموت عندي دلالة ! !
فلا كانت الدنيا ولا كنتُ قبلها فسالي وما للعيش فيها وما لها !
ومن قوله أيضاً رحمة الله تعالى عليه :

رضيتُ بدون الكفاية قوتاً وبالله من كلِّ خلقٍ عماداً
فأحظى الملوكِ وأهلُ النعيمِ أفلُّ البرية عندي عداداً^(٣)
وأسقطت لومي عن العالمين فمن شاء ودَّ ومن شاء عادى
فمن دامَ دُمتُ له في الوفاء وزايدته أبداً ما استزادا^(٤)
ومن تاه تهتُ بمن لا يذللُّ لُ به من أعزَّ ولا من أسادا
ولم أَر عيشاً كعيش القنوة عـ ولم أرمثل الثقي لي زاداً^(٥)

(١) م : « نفسي التي ساء حالها » والتصويب من الرياض .

(٢) في الرياض : « فلا علة ... »

(٣) في الرياض : « فأضحى »

(٤) في الرياض : « وزايدته »

(٥) م : « مزادا »

وهذا والذي قبله كل من قصيدة طويلة ، وقد أكثروا في النقل من شعره
رحمه الله تعالى .

﴿ قال ﴾ : ونحن نذكر من أخباره جملة :

من ذلك ما روى أن رجلا حائكا صاحب أبا عقال بمكة - وكان من الصالحين -
فقال يوما لأبي عقال : أحب أن تقضى لى حاجة ، « قال وما هى ؟ » فقال (٢) : « اضمن
لى قضاءها وأنا أخبرك بها » ، فلم يزل يستوثق منه حتى وثق به ، فقال : « إن كان
لك شهوة فعرّفنى بها » ، فقال : « أشتهى آكل رأسا مشويا » ، قال : « أنالك به » ،
فانطلق إلى الرواس وقال : « تخير لى رأسين من أطيب ما يكون » . ففعل ولقهما
فى رفاق وأوصلهما إلى بيت أبى عقال ، فلما كان من الغد أتاه ، وقال له : يا أبا
عقال ! هل طاب لك الرأسان ؟ قال لا : قال : ولم ؟ قال : كشفتُ عنهما فوجدتُهما
محموتين دودًا ليس فيهما لحم ألبتة ! فقال الحائكُ للرواس : أما استحييتَ ؟
تطينى مالا فائدة فيه ؟ وذكر له ما قال أبو عقال ، فحلف الرواس ما ترك عنده
مثلها ، ثم أطرق متعجبًا ، فقال (٢) : ما الخبر ؟ قال : هما والله من غم كان
انتهبها بعض (٣) العمال .

ثم أخرج رأسين دونهما فقال : خذ هذين بدون الثمن ، لكنهما من غير
تلك الغنم ، فأخذتهما . ثم قال لى الرواس : والله ما ظننتُ أحدًا فى زماننا
يُحمى عن الحرام هذه الحماية ؟ قال : فانطلقت مسرعًا إلى أبى عقال ، فأخرجت

(١) ت « قال »

(٢) أى الحائك .

(٣) ت : « لبعض »

الرأسين فأكلتهما واستطابهما فضحك (١) الحائِكُ وتبسّم ، فقال له أبو عقال :
ما شأنك ؟ فأخبره الخبر ، فاستعبرَ أبو عقال ، ورفع طرفه إلى السماء ، وقال :
إلهي ! بلغ عندك عبدك أبو عقال إلى منزلةٍ تحميه طعاماً حراماً ؟ لك على عهد
أن لا آكل طعاماً بشهوة حتى ألتاك .

وروي أبو العرب بن تميم قال : كان أبو عقال كثيراً ما يأتي هذا المسجد / ٨١ : ٢
يأوى إليه - يعني مسجد الزاقل الذي عند دار أبي الحسن الزعفراني بالقيروان -
فزل بأبي هارون الأندلسي أضيافاً ولم يكن عنده في الوقت ما يشتري به
طعاماً ، فدخل عليه أبو عقال ، فذكر له ذلك ، فخرج أبو عقال مغموماً بهم ،
فأتى إلى هذا المسجد فنام فيه ، اعتماماً بهم وتوكلاً على الله في أمرهم ، إذ وقف به
إنسان فأيقظهم (٢) ثم قال له : هاك ، وصبّ في حجره دراهم كثيرة ، فأخذها
أبو عقال ، ومضى بها إلى أبي هارون ، فأخذ منها ما اشترى به لهم طعاماً
وصرف الباقي .

وروي الشيخ أبو سعيد بن أخي هشام عن رجل من أهل مصر قال :
دخلت جامع مصر فقلت : اللهم أرني ولياً من أوليائك ، قال : فحانت مني العناية
فإذا برجل عند المقصورة عايه عبادة وهو يركع ، فقربت (٣) منه وركمت خلفه ،
فلما سجد سمعته يقول : « اللهم إني جئتُ فأطعمني » ثم نادى على صلاته ، فإذا

(١) ليست في ت .

(٢) ت : « وأيقظهم »

(٣) ت : « فتقربت »

برجل قد دخل المسجد فالتفت يمينا وشمالا ، ثم قصد نحوه ، فجعل بجواره خبيصًا ورُقاقًا وجردًا (١) ثم انصرف ، قلت له : سألتك بالله إلا ما أخبرتني عن سبب هذا الطعام ، فقال : مضت عيالي إلى الحمام وسألتني أن أعمل لها شواء في التَّنُور ، فأتاني حريق (٢) فاشتغلت معهم ، حتى ذهب الوقت ، وقد مر (٣) رجل حلوى فأخذت منه خبيصًا ثم أخذت رُقاقًا وجردًا ، فقالت المرأة : اشتغلت ببيعك وشرائك ولم تُلقِ إليّ بالآلِ وحلفت لا أُكَلِّتُهُ ، قلت : أحله إلى الجامع وأطعمه لبعض الفقراء ، فدخلت إلى الجامع ، ونظرت يمينا وشمالا فلم أرا إلا صاحب العبادة ، فجعلتُ ذلك جواره ، فلما حولت وجهي وانصرفتُ نظرت فإذا الجامع مملوء قراء ، قال : فرجعتُ أنظر إلى الرجل فإذا هو (٤) أبو عمال ابن غلبون .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب تاريخ الصوفية له : سمعت أبا القاسم المغربي يقول : سمعتُ سعيد بن سلام قال : قال لي بعض أصحاب أبي عمال : إنه أقام أربع سنين لم يأكل ولم يشرب حتى مات .
وقال بعضهم : أقام اثنتي عشرة سنة إلى أن مات .

(١) الخبيص : نوع من الحلواء ، والرقاق - بالضم : خبز مرهق ، والجردق : لرغيف .
فارسي معرب ، هذا بحسب اللغة ، ومازالت الجرادق - بالبوادي - معروفة إلى اليوم ، وهي خبز فطير .

(٢) صاحب حرفة

(٣) ت : « قد أمر »

(٤) ت : « هو »

وقال أبو علي ابن الكاتب: حدثني أبو الحسن الغلابي قال: كنت مجاوراً بمكة مع أبي عقاب بن غلبون - وكنت خياطاً بها - فجئتُ من سفرى فأخذتُ قطعة لحم وشويتها، وجئتُ بها إلى أبي عقاب فقلت: أردت أن يكون فطرك الليلة معي، فقال: ما إلى ذلك من سبيل، قلت له: ولم؟ إن أمهت كسبي فوالله ما أعرف معي درهماً إلا من وجهه، قال: فقال لي: ماذا أردت، قلت له: لا بد أن تخبرني ما السبب أو أكون عندك متهماً، قال: فقال لي: بشرط أن لا تذكر ذلك في أيام حياتي، قلت: نعم، فقال: كان يجيئني شيء من المغرب أفتات به، فأبطأ عني وتما من الأوقات، فلحقتني فاقة عظيمة (١)، فأقتُ أياها لا أطعم، فجئتُ إلى الملتزم وتماقتُ به (٢)، وقلت: يا إلهي هأنا ذا قد لحقتني فاقة / ولا أسألُ غيرك؛ إذ أنت مالكُ نفسي! فيينا أنا في ٨٢:٢

مناجاتي، إذ رأيتُ عوداً من نور نازلاً من السماء إلى الأرض قبالة الركن، وقائلاً يقول لي: كل (٣) يا ابن غلبون! فنظرتُ فإذا بقصعة في وسط النور تقور! فجلست، فقبل لي: قل: بسم الله، فأكلتُ، ثم قيل لي: «قل الحمد لله»، ثم نظرتُ فإذا لا شيء، فالיום لي يا أبا الحسن حولٌ كامل ما طعمتُ ولا شربتُ، فقارقتُه وذهبتُ إلي يتي فأطرتُ ثم انصرفتُ إلى المسجد الحرام، فبعد أن صلينا العشاء الآخرة وقمنا لصلى التراويح، فبعد أن تمت ترويحاً أو

(١) ت: «عظيمة»

(٢) ت: «وتماقت»

(٣) سقطت من م

ترويحان سجد أبو عقال فلم يرفع رأسه ، فقال الناس : أبو عقال داخله الكلال ؛
فنام في سجوده إلى أن فرغت الترويجة التي كان فيها ، فذهبت إليه فإذا هو ميت
— رحمه الله تعالى — فطلعت على الحجر فقات : أيها الناس ! إن الله تبارك
وتعالى أراد أن ينشر لأبي عقال في أرضه اليوم علما ، ثم قصصت عليهم
القصة .

﴿ فإن قلت ﴾ : قد تقدم أنه قال : ما أكلت طعاما ولا شربتُ منذ أربعة
أعوام في قول ، وفي آخر : اثني عشر عاما ، وفي هذه أخبر أنه لم يأكل ولم يشرب
منذ عام واحد ، ومات بالفور ، فكيف الجمع ؟

﴿ قلت ﴾ : لا مناقضة في ذلك ، والجمع هو : أن من قال : منذ أربعة أعوام لم
يباشر منه إلا ذلك ، ومن قال : اثني عشر عاما علم أكثر من الأول ، ولا علم
هندما بأكله من القصة ، ومن علم بالأكل من القصة التي نزلت في النور قال :
لم يأكل ولم يشرب مدة من عام واحد ، ومات بعد ذلك في الفور ، والله أعلم .

﴿ قال ﴾ : وقال أبو عبد الله الدينوري : كان أبو عقال يسمى حمامة
الحرم بمكة .

وحدث أبو إسحاق المغربي بطرسوس عن أبيه — وكان ممن لقي أبا عقال وصحبه —
قال : رأيتُه يوما بمسجد تخيف من ميني وعاليه خيستان — متوزرا (١) بإحداها ،
متشحا بالأخرى — وحوله جماعة يكتبون كلامه ، فلما انقضى المجلس وتفرقوا

خلوتُ به فقلت له : حدّثني بأشدّ ما مرَّ بك في الحجاز بعدى ، فقال : لا تقدر أن تسمعه ، ولكنى أحدثك ببعضه : كان معى في بعض السنين سبعمون صاحب ركوبة ، فوقع القحط في الحجاز^(١) فماتوا ، وبقي ستة نفر قد أثر فيهم الضرر ، وبقينا تسع عشرة ليلة متواليات لم نضعم فيهم شيئا ، فضعفتُ ويئست من الحياة ، فوقع في سرى : أن آتى الركن فألتزمه ؛ لعلى أموتُ على تلك الحان ؛ فقممتُ لأمشى ، فلم أقدر فخبوت إليه حبوا ، حتى عانقته ، فطرات على قلبى آياتُ قهاتهما ؛ فرجعتُ روحى إلى ، وعشت ، وهى هذه :

عقدتُ عليك مكمّاتُ خواطرى

عقدَ الرجاء فالزمتك حقاً^(٢)

إن الزمان عدداً على فزادنى علماً بأنك سيدى تحقيقاً^(٣)

ما نالنى يوم بوجهٍ مساءةٍ إلا عبّرتُ به إليك طريقاً^(٤) / ٨٣: ٢

حسبى بأنك عالمٌ بمصالحى إذ كنتَ مأموناً على شفيعاً^(٥)

ثم رجعتُ فاستندت إلى زمزم ، فلما استويتُ جالسا إذا أنا بأسود على رأسه

مكتلٌ ، فيه خبزٌ ولحم مشوى ، وصرّةٌ كبيرة من فضة ، فقال لى : أنت أبو عقاب؟

(١) ت : « في الحجاز »

(٢) ت : « مكمّات » ، م : عند الرجاء »

(٣) ت : « صاحبى تحقيقاً »

(٤) الرياض : « ... ضر ... الا وجدت . . . »

(٥) بعد هذا في الرياض :

قلت له : نعم ، فوضعه بين يديّ ورسر ، فأومأتُ إلى أصحابي فأتوتني حبوا ؛
فكنت فيهم كواحد منهم .

وقال أبو بكر بن سعدون : كنتُ مكة سنة تسعين ومائتين ، فضاقتُ على
الأمر ، وبقيتُ حَيْرَان لا أعرف حيلةً في رجوعي ، فقصدتُ إلى أبي عقال
فأطلعتُه على الحال ، فقال لي : والله يا أبا بكر ، ما ينصرف أخوك أبو عقال إلى
صفراء ولا إلى بيضاء ، لكنني قد ضمنتُ على الله وصولك ، ثم قال : أخرج تصل
إلى القيروان كما تحب ومعك فضل .

قال : فخرجتُ فما دريت كيف كان الطريق ؛ من كثرة ما كنتُ فيه
من الرزق والفضل .

﴿ قلت ﴾ : أشار بقوله : « ومعك فضل » إلى أنه يفضل له إذا وصل إلى إفريقية
مال ، وهو كذلك ففضل له مائة دينار كما أخبر به ، فكان الناس يعطونه الدنانير
والدراهم كل من غير سؤال .

﴿ قلت ﴾ : وقال أبو بكر المالكي (١) : حدث أبو بكر بن سعدون قال :
قال لي أبو عقال : يا أبا بكر ، زال من قلبي حب الدنيا إلا حب النساء ، قال :
فكنتُ أطوف مغطى العينين خوف الفتنة ، فإذا بامرأة خراسانية نظرتُ
إليّ وأنا أطوف ، فقلوا لها : هذا رجل من ملوك المغرب طلق الدنيا وبقي في

(١) في الرياض / ١ / ٤٣٤

قلبه حبُّ النساء ، فقالت : أنا أنزوجه ، فأرسلت إليه ؛ فقال لها : لا أنزوجك حتى تتركي الدنيا بحيث لا يبقى معك منها شيء مثلي ، فأخبروها فتصدقت بما معها وتزوجت أبا عقال .

قال (١) : فأقام معها حتى توفي فدفنا جميعا بمكة : أبو عقال وزوجته الخراسانية .

وروى أن أبا عقال قال لأبي هارون الأندلسي - وها بمكة - : أحب أن أكل من عمل يدي ، اشتري قرية أعمل بها الماء ، فقال له : ويحك اقعد واقنع بما أعطاك الله ولا تسأل عن هذا ، فقال له أبو عقال : ولا بد من ذلك (٢) ، فاشتري له قرية فملاها وحملها على كتفه ومشى بها حتى يبيعها ، فلقية أبو سعيد الإسكافي فقال له : ما هذا يا أبا عقال ؟ قال له : ما ترى ، فقال له أبو سعيد ، أبا العارفون أن يكون في قلوبهم غيرُ الله .

قال : فوعدت الكلمة في قلب أبي عقال فخار ومشى ، فعثر فطار ظُفْرُه ، وسقطت القرية فانشقت ، فرجع إلى أبي هارون بعد (٣) ما أفاق - والقرية مقطوعة ودمه يجري - فقال له : ما هذا يا أبا عقال ؟ فأخبره بما جرى عليه فقال له : قد نصحتك فلم تقبل .

(١) يعني ابن سعدون

(٢) م « لا بد » ت : « من ذلك »

(٣) ت « منه »

وقال أبو الحسن : على بن عبد الله الطعان المتعمد : كان أبو هارون يكسو أبا عقال الثياب ، فإذا انصرف أبو عقال فرأى من الضعفاء من هو أحوج منه يرقُّ عليه ، فيؤثره بما عليه من الثياب بما أمكنه ، فلا يزال يعطى ما عليه حتى يبقى عريانا ، فيأتي أبا هرون فيجدُّ له كسوة / فيمضى أيضا فيؤثر بها الفقراء ، ويأتي إلى أبي هرون ٨٤: ٢ عريانا فيكسوه ، فكان هذا دأبه ، حتى طال (١) على أبي هرون هذا الأمر ، فقال له يا ميشوم حيرتني ، يا ميشوم اتعبتني ! فيقول له أبو عقال : دعني يا أبا هرون ! ما رأيتُ في معاملة الله عز وجل إلا خيرا ، فيمسك أبو هرون ويعود إلى ما عوده من الكسوة . رحمة الله عليهما .

وقال أبو بكر بن سعدون : رأيت أبا عقال (٢) يسقي الماء في مدينة رسول الله ﷺ تسنيا ، وعليه مرقعات صوف ، وعلى خلفه قربة ، ويده رَكْوَةٌ يسقي بها الماء ، فأعطيته مائة درهم ، وثوبين من ثيابي ، قال : فأصبحتُ من الغد فرأيتُهُ كما كان ، فقلت له : يا سيدي أبا عقال ، قد عرفتَ ورعي ، وإنما أعطيتك ثيابي التي ألبسها ، ودرهم حلالا ، فقال يا ابن سعدون : إني عاهدت الله أن لا تبيت معي بيضاء ولا حراء ، إنما لك من الدنيا قوتك ، والباقي صدقة ، وثوابه لك ! وكذلك قال لي معالي أبو هرون الأندلسي .

﴿ قال ﴾ : وتوفى أبو عقال وهو ساجد - كما تقدم - سنة إحدى وتسعين ومائتين وقبره بالحرم ، رحمه الله تعالى .

(١) م : « فطال »

(٢) ت : « ابن غلبون »

﴿ قلت ﴾ : وأما أبو هريرة الأندلسي فظاهر كلاء الشيخ أنه لم يسكن القيروان ، ولو سكنها لعُرف به ؛ لانجرار ذكره ، وإنما كان يأتيها زائراً .

ومن لم ينتصب لتخصيص القرويين كالمالكي والتجيبى عرفا به قالوا : ذكر عنه أنه ما اغتسل من جنابة قط ، وأنه كان حصوراً^(١) ، ولما حضرته الوفاة وضع رأسه في حجر أبي عقيل وفاضت نفسه ، ودفن قدام مسجد فاطمة بنت النبي ﷺ تسليماً في البقيع ، جوار الحسن بن علي ، ودفن في السنة المذكورة أعلاه في نقل المالكي^(٢) .

وقال التجيبى : مات فيها أو في السنة التي قبلها^(٣) .

(١) الحصور : الذي لا يأتي النساء ، وهو « فمول » بمعنى مفعول ، كأنه محصور عنهن ، أى مأخوذ محبوس عنهن ، وأصل الحصر : الخبس . راجع تفسير فريب القرآن لابن قتيبة ص ١٠٥ ، واللسان ٢٧٠/٥ ، وتفسير الطبرى ٣٣٦/٦ ، وتفسير القرطبي ٧٨/٤

وفي الرياض ٤١٦/١ : كان صالحاً قاضياً مجتهداً في الدعاء والعبادة ، تخلى عن الدنيا وبابن أهلها ، واشتغل بمبادة ربه ، والانتقطاع إليه ، والاستئناس به ، والاستيقاض من خلقه ، مفتقراً إليه ، متوكلاً عليه . وذكر عنه أنه ما اغتسل من جنابة قط : كان حصوراً لا يأتي النساء .

(٢) راجع الرياض ٤١٦/١ في أصله : وفيها تولى أبو هارون الأندلسي .. وذلك لأول الحديث عن المترجم كما يتبين من تعليق المحقق ص ٤١٤ ، ٤١٦

(٣) ترجمته في الرياض ٤١٦/١ - ٤٢٦ .

ومنهم :

١٤١ ● (أبو محمد : عبد الله بن محمد)

سعيد بن الأشجح الفقيه (١)

قال : كان عالما فاضلا ثقة ، عارفا بطرق المناظرة على طريقة أهل العراق .

رحل إلى المشرق ، وأخذ عن محمد بن شجاع البلخي وغيره ، وهو الذي نُقل عنه لإبراهيم بن أحمد : أنه يرى الخروج عليه ؛ فأرسل إليه إبراهيم فقال : أتري الخروج علينا ؟ فقال : مذهبي الخروج على أئمة الجور في ثلاثمائة وأربعة عشر : عدد أصحاب بدر ، مع إمام متفق على بيعته ، وأما تغيير المنكر بأشد منه فلا .

قال : فوجه بي إلى سوداء منعبدة ، فحبسني عندها مُكْتَفَأً ، فكانت تفزل وتطعنني سبعة أشهر .

قال : ثم وجه في طلبي ، فدفعت إلى السوداء خاتمي إذ لم أجد غيره ، فدخلت عليه وأنا أقول : « يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اشتدى أزمة تنفرجى » فنظر إلي وقال : مرحبا بمن لا تأخذه في الله لومة لأثم . فخلت سبيلي فانصرفت في الليل إلى داري وأنا عند أهل القيروان في الموتى .

وتوفى سنة ست وثمانين ومائتين^(٢) ودفن بباب مسلم رحمه الله /

٨٥٤٢

(١) ترجمه الحفنى ١٩٣، ٢٢٠

(٢) ت : « سنة ٢٨٠ وهو مخالف لما عند الحنفى

ومنهم :

١٤٢ ● (أبو زكريا : يحيى بن عمر بن يوسف بن)
(عامر الكنانى الأندلسى ، من أهل جيان^(١))

نشأ بقرطبة ورحل ، وعداه فى الإفريقيين ، سكن القيروان واستوطن سوسة
آخرها ، وبها قبره .

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون ويحيى بن سليمان الخضرى .

﴿ قلت ﴾ : ومثله للمالكي والتجيبى ، وهو قصوره . بل سمع من عون بن
يوسف أيضا .

﴿ قال ﴾ : ورحل إلى المشرق فلقى يحيى بن بكير وأبا مصعب : أحمد بن
أبى بكر الزهرى ، وحرملة بن يحيى التجيبى ، والحارث بن مكين ، وابن كاسب ،
وابن رمح ، وأصبغ بن القرج وغيرهم .

﴿ قلت ﴾ : وكان فرات^(٢) يطعن فى سماع يحيى انوط من ابن بكير^(٣)
ويحلف على ذلك ويقول : إنه كان ملازما لابن بكير حتى ملت . قال : وإنى
لمنصرف من جنازته إذ نزل يحيى بن عمر من مركب فسلم علىّ وسألنى عن أبى

(١) ترجمة الحنفى فى الطبقات ١٣٤ والمالكي فى لرياض ٣٩٦/١ ، وعياض فى المدارك
٢٣٤/٣ ، والحميدى فى جذوة المقتبس ٣٥٤ ، وابن فرحون فى الديباج ص ٣٥١

(٢) هو فرات بن محمد العبدي الآتية ترجمته قريبا ، وطعنه فى سماع يحيى من تنافس
الأقران فى كل زمام ، ويحسى أجل من أن يرتكب هذا التدليس ، وقد أزال إلقان ابن
يوسف الشك فى ذلك . كما سينقل ابن الدباغ عن المالكي ما يؤيد هذا .

(٣) ت : « لأبى بكر » وهو تحريف ، وكذلك فى المواضع الآتية .

بكير قتلت : هذا منصرفي من جنازته ، فاسترجع ..
قال أبو العباس الأبيّان^(١) : فذكرت قول فرات للقمان بن يوسف فقال :
كذب فرات ؛ لقيت بمصر أبا الزنباغ : روح بن فرج ، وسألني عن يحيى بن عمر ،
وقال : كيف حاله عندهم ؟ فقلت : في الهواء ما يوصل إليه ! فقال يستحق يحيى ،
ما خرج من عندنا حتى احتاج أهل بلدنا إليه ، ولو كان عندنا لكان أكثر مما
هو عندهم وأرفع ، فقلت : سمع من أبي بكير ؟ قال : نعم صاحبني عنده وسمعنا
منه «الموطأ» .

قال أبو بكر المالكي : وكان شيوخنا يقولون : إنما جرى هذا ليحيى مع فرات
في سفرته الثانية ، وفي الأولى^(٢) لقي ابن بكير .

ولقد جرى له أيضاً مثل هذا في الرواية عن سحنون ؛ فإن أكابر أصحاب
سحنون قالوا : ما رأيناه عند سحنون قط ، فقال حمديس القطان : سمع من
سحنون في منزله بالساحل .

وكذلك قال يحيى : لم أسمع من سحنون بالقيروان وإنما سمعت منه بالبادية ،
وذلك أني لما قدمت القيروان سألت عنه فمئيل لي : خرج للبادية ، فمضيت إلى البادية
فاجتمعت به ، فرأيت رجلاً أشقر عليه جبة صوف ومنديل وهو يتولى حرث ضيعته ،
وأسباب مرمته بياديته ، فاستقلتته فقلت : «إن الله وإننا إليه راجعون» خلقت العلماء

(١) نجه إلى آياته قرية صغيرة كانت حنو مدينة تونس في الجنوب منها على مسافة
عشرة كيلومترات تحريبا (هامش الرياض ١ ٣٩٦).

وفى ت : «الأبياني فسألت بل فذكرت»

(٢) فى ت : فى سفرته الأولى وفى الثانية « وما أثبتناه موافق لما فى المدارك قحلا عن
المالكي أيضا .

خلفي ، وجئت إلى هذا الرجل ما أراه يحفظ شيئاً من العلم ولا معه شيء ! ؟ فانزلني
ورحّب بي ، فلما كلمته وسألته في العلم رأيت بحراً لا تكدره الدلاء^(١) والله العظيم
ما رأيت مثله قط ، فكان^(٢) العلم جمع بين عيذه وفي صدره .

﴿ قال ﴾ : وكان يوضع له بالجامع بالقبروان كرسى يسمع الناس عليه ؛ لكثرتهم ،
ولم يكن لأحد قبله .

﴿ قلت ﴾ : وهذا الذي ذكره قاله أبو بكر الزويلي ، وهو خلاف قول غيره :
كان يجلس في جامع القبروان ، ويجلس القارىء على كرسى يسمع من بعد
من الناس .

وتفقه عليه خلق كثير منهم : أخوه محمد ، وأبو بكر بن اللباد ، وأبو العرب
وأبو العباس الأبياني ، وإليه كانت الرحلة في وقته ١٠٠ /

٨٦٤٢

« ذكر ثناء العلماء عليه » .

﴿ قال ﴾ : كان قفيها ثقة صحيح الكتب مع صلاح بين ، وورع حاجز ،
وكان من الحفظ بمكان ، حسن الاستنباط ، عالماً باختلاف الناس وما أشكل
من النوازل ، شديد في الحق صلباً في السنة .

﴿ قلت ﴾ : وقال أبو بكر المالكي : كان يحيى بن عمر من أهل الصيام والقيام ،
محب الدعوة ، له براهين ، وكان مقدماً في الحفظ^(٣) .

(١) ت : « لا تدركه الدلاء »

(٢) م : « كان »

(٣) ليس هذا قول المالكي ، وإنما هو قول أبي بكر بن اللباد نقله المالكي عنه في
الرياض ٣٩٦/١

وقال الحسن بن نصر : ما رأيت أصوب^(١) منه ، قيل له : فابن طالب ؟ قال : كانت له هيئة القضاء .

وقال الكاشي^(٢) : ما رأيت مثل يحيى بن عمر ، وما رأيت أحفظ منه ؛ كما ما كانت الدواوين في صدره . واجتمعتُ بأربعين عالماً فما رأيت أهيب لله عز وجل من يحيى بن عمر ، وأنفق يحيى بن عمر في طلب العلم ستة آلاف دينار .

وقال أبو العباس الأبياني : ما رأيتُ مثل يحيى بن عمر^(٣) في عمله [وورعه] وكثرة دعائه وبكائه . وكان حريصاً على أهل العلم ، يحرّض طالبه ويشرفه ، والوصف يقصُر - والله - عن يحيى بن عمر ، وما يجمل فضله إلا جاهل .

وقال ابن حارث : كان يحيى متقدماً في الفقه ، وسكن القيروان فشرفت بها منزلته عند العامة والخاصة ، ورحل الناس إليه ، لا يروون المدونة والموطأ إلا عنه ، وكان فيه من السكينة والوقار ما يجب لمثله ، تأدب في ذلك بأداب مالك .

وقال ابن أبي دؤيم^(٤) : كانت له منزلة شريفة عند الخاصة والعامة والسلطان ، وكان حافظاً .

وقال القاضي أبو الوليد : كان فقيهاً حافظاً للرأى ، ثقة ضابطاً لكتابه^(٥) .

(١) : « أصيب » وهو تحريف

(٢) الكاشي : نسبة لمالك كاشي : قرية كانت نبي الساحل التونسي

(٣) سقط من م .

(٤) م : « ديلم » وهو تحريف

(٥) ت « للكتابة »

وقال التجيبي : كان ثقة فقيه البدن .

﴿ قلت ﴾ : يريد أنه كان طيبيا ، والله أعلم .

وقال القصرى : كنت أسأله عن الشيء من المسائل فيجيبني ، ثم أسأله بعد ذلك عنها بزمان فلا يختلف قوله على ، وكان غيره يختلف على قوله .

(ذكر جملة من أخباره)

﴿ قال ﴾ : كان يحيى شديد الإنكار على من يحضر مسجد السبت ، وألف في ذلك جزءا ، فأتى رجل من يحضر مسجد السبت إلى مسجد يحيى بن عمر فقرأ : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَوَّى فِي خَرَابِهَا أَوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١)) يمرض يحيى بن عمر ، فدعى عليه فعصى الرجل .

﴿ قلت ﴾ : هذا الكلام فيه بتر من وجوه :

أحدها : أنه كان أندلسيا حسن الصوت بالقراءة ، وأنهم دشوه عليه .

الثانى : أنه قرأ ما ذكر بأثر سلام يحيى من صلاة الظهر .

الثالث : أن يحيى لما قرأ بكى حتى سالت دموعه على لحيته .

الرابع : أنه لم يبين اللفظ الذى تكلم به وتفظه : اللهم إن هذا القارىء ما أراد

بقراءته رضاك ولا ما عندك ، وإنما أراد بذلك تقصى وعيبي فلا تمهله بعد ثلاث - كما

صرح بجميعه المالكي .

وقال غيره : كأن ذلك كان بأثر صلاة المغرب ، وليس في كلامه ما يدل أنه عمى

فورا ، فيحتمل أنه عمى بالقرب .

وقال غيره: فوالله ما حَمَلَ الرجلُ من مكانه إلا ميتاً.

ويقال: إنه مات من ليلته .

قال المالكي: ويقال: إنه ما بلغ ثلاثة /أيام حتى مات . ٨٧:٢

وكان مسجد السبت هذا يحضره الزهاد والعباد ، يقرأ فيه القارى آية من كتاب الله عز وجل ، وبعض حكايات الصالحين ، وتنشد فيه الأشعار، وهو الذى يسمى عندنا اليوم بالرفائق ، فكان يحيى بن عمر رأى أن هذا بدعة لم تكن فى الزمن الأول فألف تأليفاً فى وجوب عدم حضوره ، فكان لا يحضره وينهى عن حضوره .

وكان المشيخة فى زمانه على خلافه . وتابعه على قوله الشيخ أبو الحسن بن القاسمى ، رحمه الله تعالى .

وكان يقول: يا قوم، هذا القرآن يُتلى ، والأحاديث النبوية ولا تمتعظ ، ويسمع بيتاً من شعر فيبكي ، هذا عجب ! .

وتبعه تلميذه الشيخ أبو عمران الفامى ، رحمه الله تعالى، على ذلك ، هكذا سمعته من شيخنا أبي الفضل : أبي القاسم بن أحمد البرزلى حفظه الله تعالى .

قال المالكي: ويقال: إنهم كانوا يخرجون منه يوم السبت فيبقى عليهم أثره إلى السبت الثانى .

﴿ قلت ﴾ : فما سُمى بمسجد السبت ، إلا لامل الرفائق فيه كل سبت خاصة ، وهو الذى يسمى عندنا اليوم بمسجد العربى ، سُمى به لأنه كان يقوم به

واسمه محمد. وهو خارج القيروان بقرب تربة الشيخ أبي زمعة صاحب ، رسول الله ﷺ
وحكى أن يحيى بن عمر مر على قوم يكبرون أيام العشر فنهاهم وقال لهم : هي
بدعة ، فلم ينتهوا ، فيقال : إنه دعا عليهم ، فصار - بعد - موضعهم خرابا .

وقال يحيى : رأيت في منامى كأن سحنون معلم صبيان بيده درّة فأعطانها
وقال لى : قم على الصبيان . فأولتها خلافته في تعليم الناس .

ودعا ابن الأغلب إلى قضاء إفريقية واضطره إلى ذلك ، فذّله على عيسى
ابن مسكين فولاه وسلم هو .
قل أبو الحسن اللواتى :

كان يحيى بن عمر عندنا بسوسة يُسمع الناس في المسجد فيمتلئ المسجد وماحوله ،
فسألوه الانتقال منه .

وقال يحيى بن عمر لبعضهم : لا ترغب في مصاحبة الإخوان ، وكفى بك من
ابتليت بمعرفته أن تحترس منه .

وقال الحسن بن نصر : كان يحيى بن عمر إذا صلى الصبح وسلم من صلاته بقى
كذلك على هيئة جلوسه في صلاته يذكّر الله عزّ وجل حتى تطلع الشمس .

﴿ قلت ﴾ : تحمله على أنه كان مأموماً ولو كان إماماً لانحرف عند سلامه ،
ثم يستقبل القبلة .

وذكر أنه رجع من القيروان إلي قرطبة ؛ بسبب

« دائق » (١) كان عليه لبقال فكلم في ذلك ، فقال : ردّ دائقٍ على أهله أفضلُ من عبادة سبعين سنة ، فمضينا إلى قرطبة ، ورجعنا في سنة ، وبقيت لنا تسعٌ وستون سنة (٢) ، ولما هدمت القبور لإنشاء السلطان المراكب إلي صقلية لم يهدم قبر يحيى بن (٣) عمر فكلم بعض السوردان في ذلك فقال : « نرى على قبره نوراً عظيماً » .

وحضر يوماً مجلسه رجلٌ من أهل العراق فقال يحيى : « من كان هاهنا من أهل العراق فليقم عنا » .

قال المالكي (٤) : وكان يحيى بن عمر كثيراً ما يُشيدُ : / ٨٨:٢

همت ولم أفعل ولو كنت صادقاً عزمْتُ ولكنَّ الفراقَ شديدُ
ألا ليت شعري هل أبينُ ليلةً إليك انقطاعي إنني لسعيدُ

* * *

وأشدد أيضاً في هذا المعنى :

اخفِضِ الصَّوْتِ إِنْ نَطَّأْتَ بِلَيْلٍ

والتفتُ في النهار قبلَ المقالِ (٥)

(١) الدائق - بكسر النون وفتحها : سدس الدينار والدرهم . السات ٣٩٤/١١

(٢) ت : « حسنة » وفي الرياض : « رجحا »

(٣) ما بين الرقين ليس في ت

(٤) في الرياض ٤٠٢/١

(٥) ت « في النهار »

وكان يجب سوسة ويقول : هي كالإسكندرية وعستان - وهذه المواضع
المشهوره بالفضل .

قال أبو بكر بن اللباد : « كنت عند يحيى [بن عمر]^(١) في يوم شك
من رمضان ، فأثاه شيخ فساره ، فعطف يحيى علينا وقال : إن هذا يجزئ أمة
يعصى الله منذ ستين سنة أو سبعين ! قلنا بماذا ؟ قال بصيامه يوم الشك » .

قلت : يعنى أنه أخبره أنه كان فيما مضى من عمره يصومه احتياطاً ،
وإن حُمل ما مضى من السنين على الحقيقة ، لا المبالغة فهو يدلُّ على كبر
الشيخ جداً .

وقوله : « يعصى الله » يدلُّ على أن صيام يوم الشك عنده^(٢) حرام ،
ويفهم منه أنه فهم قول المدونة : « لا ينبغى صيام يوم الشك » على التحريم كحمل
المغربى لها ، قال : معناه لا يجوز . وهو ظاهر ما نسبته للخمى لمالك ؛ لأنه قال :
ومنه^(٣) مالك . وقال أبو القاسم بن الجلاب : ويكره صيام يوم الشك ، وذلك
ظاهر فى الكراهة ، وعليه يحمل عندى قول المدونة : « تقول ابن عطاء الله :
« الكافة يجمعون على كراهة صومه احتياطاً » .

وقول الشيخ أبي محمد بن أبي زبد فى رسالته : « ولا يصام يوم الشك »
يحمل التحريم والكراهة .

(١) سقطت من م .

(٢) ت : « منه »

(٣) ت : « ومنه » وهو تحريف .

ومحتمل أن يكون يحيى: إنما قصد بقوله اتباعاً لقول حماد بن ياسر: « من صام يوماً بالشك قد عصى أبا القاسم، ﷺ تسليماً » .

وخرج الأئمة الأئمة بصومته من الخلاف فيمن شك في الفجر: هل يبأح له الأكل أو يحرم أو يكره؟ والجامع أن كلاً من الزمانين مشكوك فيه، ومن الحائض تتجاوز عادتها ولم تبلغ خمسة عشر يوماً؛ فقد قيل: تحتاط .

ورده ابن الحاجب بثبوت النهي .

قال التيجاني: حدثني أبو محمد بن الحجام قال: سمعت يحيى يقول: قال

النبي ﷺ تسليماً:

« خصَّ بالبلاء من عرف الناس، وعاش فيهم من لم يعرفهم (١) » .

ذكر محبة، رضى الله عنه

ولما ولى ابن عبدون القضاء طلب يحيى وأخافه حتى توارى منه، وخرج إلى سوسة، واختفى فيها، ويقال: إنه ذهب ايلاً متنكراً فمر على دور بعض أهل العراق، وبها مشعل، فخاف أن يروه، فوقف، فإذا بريح قد أطفأته فجاز، فبعث ابن عبدون كتاباً إلى عبد الله بن هارون الكوفي (٢) يقول فيه: « صحح عندي أن يحيى متوارٍ بتونس؛ فاطلبه، وأوثقه، وأبعث به إليّ » .

(١) في كشف الحقاء ٤٥٣/١ أن هذا الحديث رواه القضاة بسند ضعيف، مع إرساله أو إعضاله. وأخرجه الديلمي عن ابن عمر موقوفاً. وهو في الفتح الكبير ٨٧/٢
(٢) في الرياض: « الكوفي »

قال محمد بن عمر: أخوه: فوجه إلى الكومي^(١). وعرض على الكتاب
قرأته وتغير وجهي فقال: « لا يسؤه ظنك » فلم أبعث فيه بمكروه ،
ولكن لأعجبك من ابن عبدون: أن / يريد مني أن آتي إلي إمام من أئمة
المسلمين ، فأرسل به إليه ليمتنه^(٢) ، إن كان أخوك بهذا البلد فهو من
هؤلاء المدول .

قال أبو العرب: وذهل يحيى آخر عمره .

﴿ قال ﴾ : وله مصنفات منها: كتاب « الصراط » ، وكتاب « الميزان » ،
وكتاب « النظر إلى الله عز وجل » ، وكتاب يرد فيه على الشافعي .
﴿ قلت ﴾ : ومنها كتاب « اختصار المستخرجة » للسخي بالمنتخب ، وكتاب
« اختلاف ابن القاسم وأشهب^(٣) » .
قال ابن أبي خالد في تعريفه : له من المصنفات نحو أربعين جزءاً^(٤) .

(١) في المطبوعة - بعد هذا يقول : فيه صح عندي أن يحيى متواتر بتونس ، فطلبه
وأوثقه وبعث به إلى ، قال محمد بن عمر أخوه : فوجه إلى الكومي وعرض على ... الخ
(٢) ت : « ليمتنه »

(٣) راجع هذه المصنفات : في ترجمة يحيى بن عمر أيضا في هدية العارفين ٥١٧/٢

(٤) نقل له الونشريسي في المعيار ٢٨٦/٥ رسالة حافلة في أحكام السوق جمع فيها ما قاله
الفقهاء في الحقوق العامة بالأسواق من مكابيل وموازين وتدليس وغش وتطفيف واحتسار
والقضاء بالقيمة ، وحكم بيع الفاكهة قبل الطيب ، وما يضر بالصحة ، ومعاملة الأجانب ، كما
ذكر أحكام الحمامات ، والمسآم والمقابر وغير ذلك من الحقوق التي امتاز بها الفقه الإسلامي

﴿ قال ﴾ : وتوفي يحيى بن عمر سنة تسع وثمانين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بقر من وجهين :

أحدهما : أن بكلامه لا يدل على أنه دُفِنَ بسوسة ؛ لاحتمال أن يموتَ بها ، ويُرفعَ ليدفنَ ببلده القيروان ، وقد قال النجيب وغيره : دُفِنَ بسوسة :

الثاني : قال المالكي (١) : وتوفي في القعدة .

وقال غيره : ويقال (٢) : توفي في ذى الحجة .

ولما وليت قضاء سوسة سألتُ عدولها عن قبره ، فقالوا : إنه غير ظاهر ، وقال لي منهم سحنون الدكالي : هو في هذه الناحية ، لمكان بين الفصيل والشور ، وليس له قبرٌ ظاهرٌ . وما ذكره ضعيفٌ ؛ لأن ما تقدم من كلام بعض السودان يقتضى أن قبره في الجبَّانة لا في الفصيل .

﴿ قال ﴾ : وتوفي وهو ابن ست وسبعين سنة (٣) .

﴿ قلت ﴾ : وردني بمرأى كثيرة ، منها : مرثية رثاه بها سعيد الوجيهي ، رحمه الله تعالى ، وذلك خمسون بيتاً نقلها العواني ، ووجدتُ نحواً في تأليفه ، ولم أجد نسخة أخرى ، فها أنا أقل منها ما أتتني لي ، فمن ذلك قوله ، رحمه الله تعالى :

(١) في الرياض ١/٣٩٦

(٢) مابن الرقبن ليس في ت

(٣) هذا يقتضى أنه ولد سنة ٢١٣ ، وتقدم في مشيخته بالمشرق أنه أخذ على أصبغ بن العرج الشوفي سنة ٢٢٥ فيبعد كل البعد أن ينشأ بقرطبة ، ثم يرحل إلى القيروان ويأخذ عن مشيختها ، ثم يرحل إلى المشرق ويدرك أصبغ وعمره اثنتا عشرة سنة فقط ، فيظهر أن عمره أوفى مما هنا ، لاسيما وقد ذكر أبو العرب : أنه ذهل في آخر عمره .

وكان يحى - إذا خفنا - لنا حرماً نلجأ إليه فقد صرنا بلاحرٍّ !
وكان يحى لنا في كلِّ حادثة
في الدين كاللَّيْثِ يحى ساحة الأجم-
وكان يحى لنا في الزائغين - إذا صالوا - لسانا يبين الحقَّ عن أمم-
وكان يحى لنا كغزاً ، وكان لنا
جرزاً ، وكان لنا كاللَّيْثِ في الأزم-
لتبك يحى عُيُونٌ بالذُّمِّوعِ وإنْ
غاضتْ مَدَامَعَهَا فَلتَبْكِهِ بدم-
ما كان أفهمه ! ما كان أعلمه !
ما كان أحماه عند الخوف للحرم !
ما كان أطهر تلك النَّفْسَ من ريبِ
ما كان أكتبَ تلكَ الكفِّ بالقلم-
أَتَاكَ ضَيْفًا فَلَا تَجْعَلْ قِرَاهُ سِوَى الرَّبِّ
رضوان ؛ إنك ذو فضلٍ وذو كرم-
وارحمه ربُّ ووسع ضيقَ حُفرتِهِ
فإنه طالما نأجلك في الظلم-
ولا توانسه في استيحاشه بسوى
حُورِ القُصُورِ بدار الخلدِ في الخيمِ (١)

(١) أخذنا ما يشير إليه قوله تعالى (حور مقصورات في الحيام) سورة الرحمن :

ومنهـم :

● ١٤٤ (أبو زكريا: يحيى بن عون بن يوسف)

(الخرزاعى الزاهد رحمه الله) (٢)

﴿ قال ﴾ : سمع من أبيه ومن مسنون .

﴿ قلت ﴾ : مثله للتَّجِيْبِي ، وهو قصور ؛ بل سمع أيضا من يحيى بن سليمان / الحفرى ، وكان مصابا بإحدى عينه . ٩٠:٢

وكان إذا كان يوم الشَّكِّ جَلَّ البَرادُ بالماء بجواره في المسجد ، فإذا سأله أَحَدٌ عن صومه شرب الماء .

﴿ قلت ﴾ : وإنما قصد بذلك للمبالغة في إفطار الناس .

﴿ قال ﴾ : وكان رجلا صالحا يُقرأ عليه الزبور (٢) وكان فيه لين .

﴿ قلت ﴾ : أراد بذلك ما ذكره المالكي : « في قوله : » وكان حمديس القطن يضعفه « .

وقال أبو العرب : كان رجلا صالحا من أهل الفقه والعلم .

قال العوانى : ولا يعول على ؛ هذا ؛ إذ لم يثبت ذلك عن حمديس .

﴿ قال ﴾ : وكثيراً ما كان يُنشد .

(١) حدث عنه أبو العرب في ترجمة أبيه (١٠٥) وذكره عياض في مشيخة بعض من ترجم له ، ولم يترجمه .
(٢) كذا بالأصول ، وهو مشكل .

قالت : أرى صعباً إذ نورَ الشَّعْرُ
مهلاً سليماً فِذَانِ الشَّيْبِ وَالْكِبَرِ
وقد تَمَّاسَكْتُ عن شَيْبِي وَأَحْكَمَنِي
أَطْوَارُ دَهْرٍ لَهَا فِي مَمَرِي أَثَرُ

وتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين - وهو ابن خمس وثمانين سنة .

﴿ قلت ﴾ : قال العوانى : ما ذكر من أنه ابن خمس وثمانين سنة خطأ ؛ لأنه
توفى في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين ، ومولده سنة ست ومائتين
وتوفى وهو ابن اثنين وتسعين سنة .

﴿ قلت ﴾ : ولا يختص اعتراضه بما ذكر - بل وبقوله : توفى سنة إحدى وتسعين ،
وهو لم ينفرد بذلك ، بل تبع فيهما التَّجِيبِي .

وقال المالكي : ودُفِنَ بِيَابِ نَافِعٍ ، وَقَبْرُهُ غَيْرُ مَعْرُوفٍ .

ومنهم :

● ١٤٥ (أبو عبد الله : محمد بن زرزر ، رحمه الله) (١)

كذا قال شيخنا ، وذلك يوهم أن زرزر اسم ، وليس كذلك ، وإنما هو
لقب ، واسم أبيه عبد الرحمن بن سلم بن أراب بن سهيل القلبي .

قال المالكي : يقال : إن سهيلاً صاحب أمير المؤمنين : علي بن أبي طالب ،

رضي الله عنه .

(١) ترجمة المالكي في الرياض ١ / ٤٩٦ وكناه أبا العباس ، ولم يؤرخ لمولده ولولوفاته .

وكنا أفضل أبو العرب (١٩٠)

﴿ قال ﴾ : كان عالماً حافظاً لمذهب أهل الكوفة وجميع الأقاويل ، حتى يقال : إنه شرب دواءً للحفظ ؛ فعرض له وسواسٌ في بعض الأوقات .
﴿ قلت ﴾ : أراد بالدواء البلاذر ، وذكر أنه قيل له ذلك فأخرج كتاباً في كنهه فإذا فيه مكتوب قرأته خمسمائة مرة فقال : هذا هو البلاذر .

قال غير واحد : وكان محمد بن زرزور هذا حافظاً للغريب ، بصيراً بالامنة ، راويةً للأشعار ، يُحسن الصنعة لها ، جيد القول فيها ، وشعره كثيرٌ جداً ، وأكثره في توحيد الله عز وجل ، والرد على الزنادقة والمكذابين . فمن قوله رحمه الله تعالى :

تَهْتَكُ السُّتْرَ عَنْ ذِي الْبُنَى وَالْفَنَدِ	وَصَحَّصَ الْحَقَّ أَهْلَ الْبُنَى وَاللَّدَدِ
وَأَيُّنَ الْمَشْرُكَ الدَّاعِيَ لَهُ وَلِدًا :	بَأَنَّهُ لِلَّهِ لَمْ يُوَلَّدْ وَلَمْ يَلِدْ
لَا مَوْتَ يَدْرِيهِ ، لَا شَيْءَ يُشْبِهُهُ	تَبَلَى الْأَبُوتُ لَا يَنْبِي عَلَى الْأَبْدِ
وَيَسَّحُ ابْنُ آدَمَ ! مَنْ عَاصَى خَلْقَهُ	وَمَنْ مُصِرٌّ عَلَى الْآثَامِ مُنْعَقِدٌ ^(١)
وَفِي الْخُلُودِ نَعِيمٌ غَيْرُ مُنْصَرِّمٍ	بَاقٍ بِقُدْرَتِهِ ، بَاقٍ بِلَا أَمْدٍ

٩١:٢١

وكان يقول: إني أحفظ ^(٢) «تفسير يحيى بن سلام» كما أحفظ القرآن ، وأحفظ قه أبي حنيفة ، كما أحفظ التفسير ، وأحفظ الموطأ ، وقه مالك كما أحفظ قه ^(٣) أبي حنيفة ، وأحفظ بعد ذلك كثيراً من دواوين العرب وأشعارها وأخبارها .

(١) ت : « معتقد »

(٢) ليست في ت .

(٣) ت : « قول »

وأحضر سليمان بن عمران القاضى ، عبد الله بن أحمد بن طاب ، من أجل حكم من أحكامه لم يجده يجوز فى مذهب المدنيين ولا الكوفيين ، وظن أنه لا يقول به أحد ، وأحضر له جماعة من أهل العلم ، منهم : محمد بن وهب الفقيه . فبلغ محمد بن زرزر الخبر ، فأتى حتى وقف على الموضوع الذى هم فيه جلوس ، فسلم ثم قال : لم اجتمعتم ؟ فقال له (١) محمد بن وهب : « اجتمعنا لحكم وجدّه القاضى لابن طالب لا يقول به مدني ولا عراقى . فقال : ما هو ؟ فأعلمه ، فتبسّم ابن زرزر فقال : ليس العجب من أب الريحع : سليمان وجّه له ، وإنما العجب منك يا أبا عبد الله وأنت من أئمة العلم ! أو ليس هذا قول ابن أبي ليلى فى الكتاب الفلانى (٢) - ووصفه له - فقال ابن وهب لأخيه : امض فبحثنا بالكتاب ، ففعل ، فقال ابن زرزر : انظروه فى باب كذا ، فى موضع كذا ؟ فوجدوه كما قال .

وتوفى ، رحمه الله ، سنة إحدى وتسعين ومائتين .

ومنهـم :

١٤٦ ● (أبو سهل : فرات بن محمد العبدى)

رحمه الله (٣)

﴿ قال ﴾ : هو معدود من رجال سحنون ، وسمع منه ، ومن عون بن يوسف .

(١) ما بين الرقيين ليس فى ت

(٢) ت : « كتاب كذا »

(٣) ترجمه أبو العرب (١٤١) وذكره فى المنتخبين (٢٨٨)

وابن أبي حسان البخصي ، وأبي زكرياء الحفري ، وابن عبد الحكم ، وابن
بُكَيْر ، ونعيم بن حماد ، وأصبغ بن أبي الفرج ، ومحمد بن فضيل .

وكان من أطول الناس صلاة في شببته وكبره ، وأكثرهم ملازمة للجامع ،
ذاتهم جِدِّ وسرِّد صيام ، وكان يقرأ عليه الزبور ^(١) وكان يَخْصِف .

﴿ قلت ﴾ : جميع ما ذكره هو من التَّجِيبِي إِلا قوله : ومحمد بن فضيل .

ومنهم :

● ١٤٧ (أبو عبد الله : محمد بن أبي حميد السوسى)

المستجاب ، رحمه الله ^(٢)

﴿ قال ﴾ : صحب سجنون ، ورحل إلى الشام ، فلقى هشام بن عمار ، وأحمد

ابن أبي الحواري .

وكان عظيم القدر ، كبير الشأن ، من الأبدال ، عظيم إجلال الله في قلبه ،

حتى هان عليه في الله ^(٣) كل أمر شاق .

(١) ما بين الرقين ليس فت

(٢) لم نجد له ترجمة بالمصادر سوى ما أشير إليه بقائمة فوات الجزء الأول من الرياض من وجود ترجمة له بالمدارك ولكن النسخة التي بأيدينا منه ط . بيروت لحقها «نقص كبير» بالموضع لفتى هو منطقة الترجمة ، ونبة عليه محققه ٢٨٥/٣ .

ومن المؤكد أن هذا النقص أتى على تراجم كثيرة في الطبقة المكملة للقرن الثالث من تحريوين ومفاربة وأندلسيين .

(٣) ما بين الرقين سقط من ت

وكان من إشفاقه يقول : ما أراني صليت قط . - يعني هل الحقيفة كما يجب
لحق الله تعالى - ومثلي من (١) يعمل عملاً يصلح لله ؟ اللهم إن كنت تعلم أي
عملت عملاً رضيته لك فأحرقني بالنار .

وكان يقول : إذا أنامت فارموا على قبري الكناسة .

وقال أبو جعفر التمودي : نمت ليلة فأتاني آتٍ فقال : يا أحمد أنت نائم وابن
أبي حميد / ينجي الله عز وجل ! فجيئت إلى الدمنة ، وهو قائم يصلي على ظهر
المسجد ، فجاست تحت الجدار (٢) أسمع قراءته وبكائه إلى أن لاح الفجر ،
فسمعته يقول : « يارب (٣) أموت ولم أعرفك » ؟ ثم خر مغشياً على وجهه .

وكان يختم كل ليلة ختمة .

خرج من القيروان فسكن دمنة سوسة ، وكان يخدم الأضرأء حتى صار ضريراً .
﴿ قلت ﴾ : ما ذكره مثله نقل التحيبي .

ومعنى الدمنة : موضع سكنى المحذومين ، وكان يخدمهم حتى صار مثلهم
مجدوماً .

وما ذكره من أنه كان يختم كل ليلة ختمة - هو خلاف قول أبي العرب : كان
يختم القرآن في كل ليلة من شهر رمضان بدمنة سوسة .

وقال عبد الله بن كامل القطان السوسي (٤) : كنت في جنازة مع أبي وابن

(١) سقط من م .

(٢) ت : « الدار »

(٣) م : « رب »

(٤) ليست في ت .

أبي حميد فأتى رجل يسأل عن ابن أبي حميد، حتى وقف وسلم عليه وقال له :
« أتيتك لرؤيا رأيتها في المنام : رأيت كأن قائلًا يقول لى : « اذهب إلى ابن
أبي حميد فسلم عليه^(١) ، فإنه ختم خلف كل عمود في جامع القيروان ختمة »
فسأله فقال له : « قد كان ذلك » قال : « فعددت أعمدة جامع القيروان ، فوجدتها
على عدد أيام السنة » .

(قال) : وقال أبو محمد بن أبي عيسى : كنت^(٢) أماشي ابن حميد ، فالتفت
إلى وقال لى : « يا بن أبي عيسى » نموت ؟ قلت : « نعم ، أصلحك الله » ،
قال : ثم مشى قليلا ثم التفت إلى فقال : « نموت يا ابن أبي عيسى ؟ قلت :
« نعم ، أصلحك الله » ، قال : فصاح آد ، ومدَّ بها صوته ، ثم ضرب بيده فى
صدره ، قال : « نعم نموت يا ابن أبي عيسى ، ويصلى فى المساجد بعدنا ، ونحن
تحت التراب ؟ ! » قلت : « لا بد من ذلك ! » فنشى عليه .

* * *

قال أبو محمد بن أبي فطيس الفقيه : « قام ابن أبي حميد ليلة يُصلى على
سطحه ، وأنا أسفل حتى بلغ هذه الآية (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ)^(٣) » فبكى حتى انقطع وقعد ، ثم قام وعاد إلى الآية ، فمدا
جاوزها حتى أصبح الصبح .

* * *

(١) ليست فى ت

(٢) ما بين الرقين سقط من ت

(٣) سورة غافر .

وروى ابن بسطام قال : قال لى إسحق بن عبدوس الفقيه : « إن ابن أبي حميد يسهرنى بقراته فى الليل - وذلك فى الصيف والنَّاس على السطوح - قال ابن بسطام : فما تبته ، فقال : إنما أرفع صوتى ، لئلا يغلى النوم .

(قلت) : جميع ما ذكره هو نقل التجيبي .

وقال أبو بكر المالكي : حدثت عن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب الأمير : أنه اخذ^(١) على أهل « سوسة » لشيء بلغه عنهم ، فركب وجاء إليها عازماً على خرابها وهدم سورها ، وتعذيب أهلها ، فلما وصل نزل الدُّمَّة فى مسجدتها ، فاجتمع إليه أهلها فقال لهم : « أعندكم أحدٌ يحفظ القرآن يخرجُ إلى ؟ » فخرج إليه محمد بن أبى حميدٍ : فسلمَّ عليه ، وجلس معه ساعة ثم قال له : « ما أتى بك ؟ » فأخبره ، وقال : « بلغنى أن أهل هذه المدينة تكلموا فىِّ بالقبيح ، وآذونى بألسنتيهم ، فجئت لإخرابها ، وهدم سورها ، وعذاب أهلها » فقال له ابن أبى حميدٍ : « يأذن لى الأمير أن أقرأ ؟ » فقال له : اقرأ ، فقرأ - بعد أن تعوذ - (يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى : إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفورٌ رحيم)^(٢) فسكى إبراهيم بن أحمد عند ذلك بكاءً شديداً ثم قال : والله لا فعلتُ شيئاً مما كنتُ عزمْتُ عليه ، وركبَ راجعاً إلى القيروان - ببركة ابن أبى حميدٍ .

وسمع محمد بن أبى حميدٍ هذا قاسماً الجوعى ينشد :

(١) م : « وجد »

(٢) سورة الأنفال .

أَظْهَرُوا زُمَدًا وَنُسْكَا وَعَلَى الْمَنُوشِ دَارُوا
وَلَهُ صَلَوًا وَصَامُوا وَلَهُ حَجَّوًا وَزَارُوا
لَوْ رَأَوْهُ فِي الْكُزْبِيَا وَلَهُمْ رِيشٌ لَطَارُوا

وحدث أبو بكر بن الأبياد عنه أنه قال: رأيت محنون في المنام بعد موته كأنه في موضع، فخرجت في طلبه، فأحس بي خلفه، فقال لي: «تحفظ القرآن؟» قلت: «نعم»، فقال: «اقرأ عشر آيات (واتل عليهم نبأ نوح^(١))» من يونس، فقرأت عليه، فلما فرغت قال لي: «القراءة في المصحف أفضل» قلت: يا أبا سعيد أشكو إليك أني آخذ الكتاب فأدرس، فإذا حفظت العشر مسائل وانحوها نسيت! فقال: «يا بني! لم يحثك الصدق، ولو جاءك الصدق لجاءك فوق ما تريد، والقراءة في المصحف أفضل».

كرره ثلاثا .

﴿ قلت ﴾: ويريد أنك لو درستته لوجه الله عز وجل لما نسيتَه، والله أعلم.
﴿ قال ﴾: وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾: مثله للتجبي، وقوة لفظهما تقتضى أنه مات بسوسة، وهو نص
المالك،

وقال إبراهيم بن سعيد: كان عند صهرى مؤدب - وذكره بخير -
قال: «دخلت يوماً على ابن أبي حميد في عاتته التي مات منها، وهو في البيت،

وكان في الدار ذُبَابٌ ، وإِذَا بِكَفٍّ خَارِجَةٍ مِنَ الْحَائِطِ تَذِبٌ عَلَيْهِ عَنْ وَجْهِهِ ،
رَأَتْهَا عَيْنِي لَا شَكَّ فِيهَا .

ومنهم :

● ١٤٨ (أبو عثمان : سعيد بن إسحاق)

الكلبي ، رحمه الله (١)

﴿ قال ﴾ : لقي أبا زكرياء الحفري وابن عبد الحكم . وسمع بإفريقية من سحنون ،
ومن عون ومن محمد بن رزين ، وابن سنان وداود بن يحيى ، وكان عالما صالحا
متعبدا ، وكان يقيم بقصر الطوب ويُقَدَّم إلى القيروان فيكثر الناس للسمع عليه
قال الشيخ أبو محمد بن التبان قال سعيد : ما انتفعت إلا بشاب لقيته
بمكة مارا في السحر إلى المسجد الحرام - وهو يقرأ ويبيكي - فقلت : مجهود أو
مجنون ! - وعليه خرقتان - فقلت : مالك يا فتى ؟ فرفع رأسه لي وقال : عليك
بنفسك فلها فانظر . فما شككت أنه ولي الله عز وجل ، هنت في نفسي : لقد
وقعت على الحاجة وسأله في الدعاء ، فبحثت على ركبتي وقت : « سألتك
بالله إلا ما دعوت لي » فقال لي : « شغلك الله بنفسك ، وجعلك ممن ينظر
في عيوب نفسه » .

(١) هو أيضا داخل في العجوات أي النقص اللاحق بنسخة رياض النفوس والمدارك

﴿ قلت ﴾ : قال النجيبى : سمعته من ابن التَّبَّان . وزاد غيره : عرفتك الله قدر
ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك .

﴿ قال ﴾ : فوصل سعيد إلى القبروان ، ثم رحل منها^(١) فسكن قصر الطوب .
وكان دائم الحسرات ، مُغلق اليباب حتى مات .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر النجيبى .

قال المالكي ، رحمه الله تعالى : وقد أتى نواتية الأمير إبراهيم ، فأرادوا النزول
بقصر الطوب ، وكان في القصر - ذلك الوقت - سعيد بن إسحاق ، وأبو يونس ،
وجبلة ، فمنعهم وأغلقوا الباب ، فبلغ ذلك إبراهيم فأتى القصر مغضبا ، فدخل أهل
القصر منه رُعبٌ عظيم ، وقال : « من هؤلاء الذين منعوا عبيدى أن يدخلوا القصر ؟ »
وأخافهم ، فاجتمع أهل القصر فجاءوا إلى سعيد بن إسحاق فعرّفوه ، فتشرف
من أعلى القصر ، فقال : « من هذا ؟ » فقال : « أنا إبراهيم بن أحمد الأمير » فرفع
سعيد صوته وقال : « يا إبراهيم ! تركنا لك الدنيا كلها ، وانزونا في هذا الثغر
فجئت تؤذينا فيه ؟ والله إن لم تملأنا لهدمنا ! » .

فمضى إبراهيم هاربا على وجهه حتى جاوز بآمد^(٢) عظيم فقال له من حوله :

(١) ت : « منها »

(٢) ت : « بآمد »

« مالك يا سيدنا ؟ » فقال : لما صالح عليّ سعيد بن إسحق تلك الصوالة حسبت أن الفحص اشتمل على ناراً ، فما زلتُ كذلك حتى وقفت على هذا الموضع .

﴿ قال ﴾ : توفي سنة خمس وتسعين ومائتين في جمادى الأولى .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بترت لقول النجيبى : توفي يوم الأحد لست

بقين منه .

﴿ وقال ﴾ : وصلى عليه ابن يونس^(١) المتعبد ، ومات بقصر الطوب ودفن به

— رحمة الله تعالى عليه ونفصنا ببركاته — آمين .

ومنهـم :

١٤٨ ● (أبو عياش : أحمد بن موسى الغافقى)

رحمه الله (٢)

كذا قال ، وقال التجيبى : أبو عياش : عيشون بن موسى .

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون وعبد العزيز بن يحيى اللدنى ، وسمع بالشرق من

ابن رُمح ، وابن البرقي ، وهرون بن سعيد الأيلي .

(١) ت : « أبو يونس » دور وكذلك في ترجمة جيلة بن حمود الآية له قمته مع

ابن عبون القاضى ، وهو من الزهراء المنتظمين بقصر الطوب . / تؤثره ترجمته .

(٢) ترجمه المالكي في الرياض ١/٣٦٥، ٣٦٤، وعياض في المدارك ٣/٢٦٦-٢٦٨ وابن فرحون

في الديباج ١/١٤٨ - ١٤٩ ، وابن مخلوف في شجرة النور ١/٣٣

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التَّجِيبي ، وزاد غيرُهما : سمع منه بَشْرٌ كثيرٌ من أهل القيروان ، وفتح الله لهم (١) على يديه !

﴿ قال ﴾ : وكان فقيهاً ، ورِعاً ، عاقلاً ، عابداً ، زاهداً ، متواضعاً ، صحيح الكتب ، ثقةً حسنَ التقييد ، كثيرَ الجهدِ والسكدةِ والتواضع .
وكان مهابةً لا يذكر أحدٌ في مجلسه بغيبةٍ إلا نهى الذاكر عن ذلك .

عرض عليه ابن طالب قضاء قسطنطينية فامتنع (٢) من ذلك ، وكان إذا سافر إلى قرية ركب ثورا من باب أبي الربيع إلى الروحاء ، فإذا قيل له في ذلك قال : « حسبك من الدوابِّ ما بلَّغك المهلة (٣) » .

﴿ قلت ﴾ يريد كما قال أبو العرب كان منه تواضعا ، وكان يميل إلى المواظفة والرقائق ، ويُحتم بها مجلسه إذا فرغ من المسائل : الكلام عليها ، وقال محمد بن يونس : قلت لابن عباس : « إني صرتُ أتقدمُ بالناسِ أصلي بهم الفريضة وأنا كاره لذلك (٤) لأني لا أرضى على نفسي فما ترى في ذلك ؟ » فقال لي : « تقدم بهم ولا تعطل المساجد ؛ فإن لك في / ذلك أجراً » ، ثم قال لي : « ويحك لعله يُصَلِّي خلفك من يدعو لك فيجبرك الله بدعائه » .

٩٥:٢

(١) ت : « فتح لهم »

(٢) م : « قسطنطينية » والتصويب من ت ومصادر الترجمة

(٣) ت « المهلة »

(٤) ما بين الرقين سقط من ت

﴿ قال ﴾ : وتوفي في صفر سنة خمس وتسعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : وزاد التَّجِيبي، وصُلِّيَ عليه يوم الجمعة بعد صلاة العصر .

﴿ قال ﴾ : ودُفِنَ ببابِ سَلَمٍ، وصُلِّيَ عليه في جمعٍ عظيمٍ، وقد أنافَ على التسعين سنة، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ومنهم :

● ١٤٩ (أبو عبد الله : محمد بن مسرور الضرير)

رحمه الله

كذا قال، ولم يبين ضرورة، وعند الإِطلاق الذي يتبادر للذهن أنه جُذَام - ولم يكن بذلك - فكان حقه أن يبينه كما قال التَّجِيبي في قوله : « كانت علته استرخاءً في رجليه وجسده كله، نقيٌّ ذو هيئة في لباسه، ومنظرٍ حَسَنٍ .

﴿ قال ﴾ : سمع من يحيى بن عمر، وعبد الجبار بن خالد، وسهل بن عبد الله، وأحمد بن وازن الصَّوَّاف، وابن طالب القاضى، وابن عمران القراط، وبكر بن حمَّاد، وأحمد بن يزيد، وحمَّاس القاضى .

﴿ قلت ﴾ : تبع فيه الشيخ^(١) التَّجِيبي وهو قصور ؛ لسماعه^(٢) من محمد بن زرزر أيضا .

(١) ليست في م .

(٢) في ت : « في سماعه » .

﴿ قال ﴾ : كان تقيماً فاضلاً متمبداً من أهل الفقه البارع والفتيا ، وكان القاضي حماس يشاوره في أحكامه .

﴿ قلت ﴾ : تبع فيه مَنْ تقدم ، وفيه بَيِّنَةٌ لزيادة غيرها : ويصدر عن رأيه في جميع أموره ؛ إذ لا^(١) يلزم من مشورته له صدوره عن رأيه .

﴿ قال ﴾ : وكان الناس يأتونه للفقه والمناظرة والفتيا .

﴿ قلت ﴾ : تبعه أيضاً ، وزاد غيرها : والشيوخ إذ ذاك متوافرون^(٢) وهذا أخص ؛ لاحتمال أن يُقال : إنما كانوا [يأتونه] لفقد مثله ، وكان علي بن ظفر يسكنُ إلى جوار أبي عبد الله الضرير ، فكان يحكيه ، ويقع فيه ؛ فابتلاه الله بالجدام ، فكان يُسمع صياحه من خارج داره .

﴿ قلت ﴾ : وعلى بن ظفر هذا كان عراقياً ؛ قال التَّجِيبِي : يعرف الطَّبَّ والجدل والشعر ؛ له جاعة عند الملوك ، من أصحاب ابن الصايغ : صاحب دولة الأغالبة ، وكان صديقاً لأبي جعفر البغدادي ، وكان كثير الكبر والأففة .

وأشار بقوله « يحكيه » ويقع فيه [إلى] ما قاله أبو عبد الله الخراط قال : بلغني أنه كان إذا جلس مع أصحابه يمدُّ يده ويتفَّ أصحابه^(٣) - يحكي بذلك أبا عبد الله الضرير ليضحك بذلك من يجلس إليه من أصحابه - وكان مؤذياً لمن يفتحل مذهب

(١) سقطت من ت .

(٢) م : « متوروث » .

(٣) يفت أصحابه : يجرها .

أهل المدينة؛ ولذلك كان يحاكي أبا عبد الله الضرير؛ فابتلاه الله بالجذام في آخر عمره .

قال : قال أحمد بن محمد الباجي : « دخلت على أبي العباس : إسحاق ابن بطريقة القاضي بطرابلس مُنصرَفِي من الحج ، فألقينته في مجلس حكاه مضموما يسترجع ، فقال لي : « انشلم لأهل القيروان حاطط ! مات أبو عبد الله الضرير الفقيه ! » .

وذلك لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، وهو / ابن ٩٦:٢
تسع وأربعين سنة ، وصلى عليه القاضي حمّاس ، ودُفِنَ بياب سَلْمَ رحمة
الله تعالى عليه .

ومنهم :

● ١٥٠ (أبو إسحاق : إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي)

الشهيد المعروف بابن البرذون رحمه الله تعالى (١)

﴿ قال ﴾ : سمع من جماعة من رجال سحنون منهم عيسى بن مسكين ، ويحيى بن
عمر ، وابن جبلة ، وسعيد بن إسحق .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكر من قوله : وابن جبلة مثله ذكر التجيبي والعواني - وصوابه
كما قال غيرهم عوضه : وجبلة بن حمود .

﴿ قال ﴾ : وكان قهيباً بارهاً في العلم يذهب مذهب النظر من رجال أبي عثمان :

(١) ترجمه ابن فرحوت في الديباج ١ / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

سعيد بن الحداد ، لم يكن في شباب عصره أقوى على الجدل ، والمناظرة ، وإقامة
الحجة على المخالفين منه .

﴿قلت﴾ : ما ذكره لفظ المالكي وكان يقول : تتكلم في تسعة عشر فناً
من العلم ، وكان شديد التعمُّك للعراقيين [١] والمناظرة ، فدارت عليه بذلك دوائرُ
في دولتهم : ضربه مرةً بالسياط محمد بن أسود الصَّدِّي إذ كان قاضياً ، وكان
الصدِّيق يصرح بخلق القرآن ، ثم سعى عليه العراقيون [٢] عند دخول الشيعي
القيروان ؛ لموافقهم إياه في مسألة التفضيل ، ورخصة مذهبهم .

﴿قال﴾ : وسعى القاضي محمد بن عمر المروذي به ، وبالفقيه أبي بكر بن هذيل ،
إلى أبي العباس الشيعي ، فأمر حسن بن أبي خنزير عامل القيروان أن يقتلها معا ،
فضرب رقابهما ، وطيف بهما مسحورين على وجوههما قدرَ بطلانِ سندِ بغلِ فجرهما
من باب تونس إلى باب أبي الربيع ؛ فصلباً هنالك .

أما ابن البرذون فقتلَ عنه أنه قال : « كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يقيم الحدود بين يدَي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويعينه على أموره ، فلولم
يكن عنده إمام هُدًى ، مستحقاً للتقدمة ما فعل ما فعل » فبلغ قوله إلى أبي
العباس الشيعي فقال : كان يوسف الصديق من أعوان العزيز [٣] بمصر يعينه في
أموره ، فما كان فيه نقص ليوسف ولا زيادة في مقدار العزيز [٤] ثم أمر بقتل سنة

(١) ما بين الرقين سقط من ت .

(٢) ما بين الرقين سقط من ت .

تسع وتسمين ومائتين^(١) رحمة الله تعالى عليه .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكر من قوله بين يدي عمر مثله نقل التحيبي ، وقيل بين يدي أبي بكر .

وقال المالكي : قال أبو عبد الله : محمد بن خراسان : « لما وصل عبد الله إلى رُقادة أرسل إلى القيروان من أتاه بابن البرذون وابن هذيل ، فلما وصلا إليه وجداه على سرير مُلكه جالسا ، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي ، وعن يساره أبو العباس أخوه ، فلما وقفا بين يديه قال لهما أبو عبد الله ، وأبو العباس : أشهد أن هذا رسولُ الله - وأشار إلى عبيد الله - قتالا جميعاً بلفظ واحد : والله الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشمسُ عن يمينه ، والقمر عن يساره ، يقولان إنه^(٢) رسول الله ما قلنا إنه رسول الله ﷺ . »

فأمر عبيد الله بذمهما حينئذ جميعا ، وأمر بربطهما إلى أذنان البغال .

﴿ قلت ﴾ : محمّل ما ذكر الشيخ أن أبا العاس أمر ابن أبي خنيز أن يقتلها

(١) هذا التاريخ غير دقيق؛ لأن أبا العباس قتل مع أخيه أبي عبد الله قبل ذلك في جادى ٢٩٨ ، وجميع النقول تدل على أن لها يندأ في دم هذين الشيخين ، فلا بد أن يكون استشهادها قبل قتل الآخرين ، والراجع أنه سنة ٢٩٧ لأنهما من أول ضحايا ذلك الانقلاب .

وأبو عبد الله : هو قائد الثورة الشيعية ومهد الدولة الميمنية وهو الحسن بن محمد بن زكريا المعلم الصنعاني ، وفد إلى المغرب ونشر به دعوته ومنه قاد الجيوش التي قضت على الدولة الأغلبية ودخل رقادة سنة ٢٩٦ ، ثم عاد إلى المغرب فاستنقذ عبيد الله في سجناسه ودخل به القيروان في ربيع ٢٩٧ ولكنه ألق عليه وعلى أخيه وقتلها (انظر التفاصيل في ابن خلدون ص ٧٥-٧٧ بالمجلد ٤ ط بيروت)

(٢) ت : « هو »

مُسْتَنْدًا فِي ذَلِكَ إِلَى أَمْرِ أَخِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - لِعِنَّمَا اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعًا بَيْنَ
الْمُتَقَلِّبِينَ .

وَيَأْتِي لَهُ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ .

* * *

وكذلك ما ذكر من قوله : « كان علي بن ابي طالب » إلى آخره ليس المراد
انه قتله بسبب ذلك فقط . بل كان هو أول السبب ، ولهذا قال ثم أمر بقتله ؛ فإن
ثم تقضى المهلة ، فليس المراد أنه بنفس ما بلغه عنه ما ذكر من التفضيل أمر بقتله ؛
جمعا بين الثقلين / أيضا والله تعالى أعلم .

٩٧:٢

ويدل على هذا قول بعضهم لما ناظره في مسألة التفضيل : أمر بمجسه وحبس
صاحبه ، ثم أمر عامل القيروان المذكور بضرب ابن هذيل خمسمائة سوط ، وبضرب
رَاقِبَةَ ابن البرذون ، فغلط ابن أبي خنزير فضرب ابن البرذون خمسمائة سوط
ثم قتلها .

وقيل إن إبراهيم ابن البرذون لما جُرِدَ لِلْقَتْلِ قال له حسن ابن أبي خنزير :
« أترجع عن مذهبيك ؟ » فقال له : « أعن الإسلام تستتبيبي ؟ » فقتل .

وقال المالكي : « إنه لما امتنع هو وصاحبه من ذلك قال لهما : ارجعا إلى الناس
قولوا : إنه قد فعلنا ولا نفعل^(١) فأبيا عليه من ذلك ، واعتلا بأنه يقتدى بهما ،
وقالا : « عذاب الدنيا أيسرُ من عذاب الآخرة » ، فأمر بضربهما بالسوط حتى ماتاه

(١) قد فعلنا أي الرجوع عن مذهبيهما ولا نفعل ذلك في الواقع فهو يكتبنيهما بالرجوع

قولنا لتأثير على العامة ؛ لأن كلا منهما قدوة .

وما ذكر الشيخ من صلبهما كان مقداره نحو الثلاثة أيام ، ثم أنزل ودُفناه
فذكر بعضهم : أنه رأى إبراهيم في النوم ، فقال له : « أنت مع صاحبك ؟ »
فأشار إليه أنه فوقه ، فقال له : « بماذا رفعت ليه ؟ فأشار بيده يحكي الضرب
الذي ضرب دونه .

﴿ فَإِنْ قُلْتَ ﴾ : وهل يُعذَّرُ أَحَدٌ بِالْإِكْرَاهِ فِي الدُّخُولِ لِمَذْهَبِهِمْ ؟ .

﴿ قُلْتَ ﴾ : قال يوسف بن عبد الله الرِّشْتِينِي - في كتابه : قال الشيوخ أبو محمد
ابن أبي زيد ، وأبو القاسم بن شبلون ، وأبو الحسن القاسبي ، وأبو علي بن خلدون ،
وأبو محمد الضَّبِّي ، وأبو بكر بن عذرة : « لا يعذر أحدٌ في ذلك ؛ لأنه أقام بمد
علمه بكفرهم - وكفرهم ارتدادٌ وزندقةٌ - بخلاف غيرهم .

وقال الشيخ أبو القاسم بن الدهان : « لأن كُفْرَهُمْ خَالَطَهُ سِحْرٌ ، فمن اتصف
بهم ، وخالط خالطه ، والسَّحْرُ كُفْرٌ » .

ولما حُمل أهل طرابلس لبني عبيد أظهرورن يدخلوا في دينهم عند الإكراه
ثم رُدُّوا من الطريق سالمين ، فقال ابن أبي زيد : « هم كفار لا يعتد بهم ذلك » .

﴿ قُلْتَ ﴾ : الأقرب أنهم ليسوا بكفار ، وإنما صرح أبو محمد بما ذكره ؛
مبالغة لتغيير العامة لأن المطلوب سدُّ هذا الباب ^(١) وأما فيما بينهم وبين الله فلا
قلناه والله أعلم .

ومنهم .

١٥١ ● (أبو بكر بن هذيل الفقيه رحمه الله تعالى^(١))

سمع من رجال سحنون منهم : عيسى بن مسكين ، ويحيى بن عمر وجبله بن حمود ، وسعيد بن إسحاق ، وأحمد بن حمّاد .
﴿ قال ﴾ : وكان فقيها زاهداً صالحاً متقشفاً .
﴿ قلت ﴾ زاد غيره : ورِعاً بارِعاً في العلم نظّاراً .

﴿ قال ﴾ : حكى الشيخ أبو الحسن القاسبي : أن أبا بكر هذا كان من المتورّعين ، وإنما كان عيشه من غزَلِ امرأته ، كان يشتري السكتان فتغزله ، وينسج منه أبدانا^(٢) فما كان / فيها من فضل توتّأ به ، واشترى برأس المال كتّاناً ، فمن ذلك كان عيشهما .

﴿ قلت ﴾ : وروى أنه دفع يوماً بدناً إلى رجل من تلك الأبدان التي كانت^(٣) تصنع زوجته وقال له : « عسى أن تبيعَ لنا هذا البدن ، وتأتينا بالثمن ؟ »
يقال : فمضيتُ به وعرضته فلوى ثمناً ليس بالكثير فإذا برجل صنهاجي ، قال لي : « تبيع لي^(٤) هذا البدن ؟ » قلت : « نعم » قال : « كم ثمنه ؟ » قلت له

(١) أدبجه ابن فرجون في ترجمة صاحبه المذكور قبله ١/٢٦٧

(٢) أي أنوابا

(٣) سقطت من م

(٤) ليست في م .

فكذا و لذا ، وزدتُ عليه في ثمنه فقال لي : « قبلت » ، فبعته منه ^(١) بذلك ، وأخذتُ الثمنَ ، وجعلته في صُرَّة ، وأتيتُ إليه فدفعتمها ^(٢) إليه فقال لي : « ضعها في التابوت » ففعلتُ ذلك ومضيتُ .

فلما كان بعد ذلك دخلتُ عليه - على سبيل الزيارة ، فقال لي : « كنتُ ذهبتُ إليك بدناً فما صنعتَ في أمره ؟ » قلت له : أصلحك الله ، بعته وأتيتُك بالثمن ، فقال لي : « ما وصل إليَّ منه ^(٣) شيء » ، فقلت له : بلى قد أتيتُك بالثمن وأمرتني أن أضعه في التابوت ، فقال لي : لا أعلمُ شيئاً من ذلك ؛ ففقتُ مبادراً إلي التابوت ، وإذا بالصرَّة فيه على حالها ، فقلتُ في نفسي : « الله عز وجل حماه منها » فأتيتُ بها إليه فقلت له : « هذه هي - أصلحك الله وجدتها - في التابوت ! ؟ » فأخذها .

ثم قال لي : سألتُك بالله أخبرني ما قصة هذه الدراهم ؟ فإنه لم يطب على قلبي أخذها ؟ فقلتُ له : والله - أصلحك ^(٤) الله - لأصدُقَنَّك ، فأخبرته عند ذلك بالقصة كما جرتُ ، فقال لي : « ويحك يحل لك أن تطعم أخاك الحرام ؟ » قلت له : « فإني تائب أصلحك الله إني لا أعود إلى شيء من هذا أبداً » ، فقال لي :

(١) ليست في ت .

(٢) ت ؛ « ودفعتمها »

(٣) ليست في م .

(٤) ما بين الرقنين ليس في ت

(٤) ما بين الرقنين في ت .

«خذها عني»، قلت: «تصدق بها أنت» فقال لي: «والله لا أفعل ولا يتصدق بها إلا أنت؛ عقوبة لك فيما فعلت».

قال فأخذتها منه فأتيت بها إلى الدمنة، فرضتها على قوم من أهل البلاء، فقالوا: «قد أحل الله عز وجل الميتة للمضطر، والميتة خير لنا منها، فتوجهت بها إلي باب سلم، فإذا برجل بدوى عليه أثر الفقر، فرضتها عليه، وأخبرته بقصتها، فقال لي: الميتة حلال للمضطر، وأنا مضطر، فأخذها ومضى».

ذكر هذه الحكاية المالكي عن أبي عبدالله: مكى بن عبد الرحمان المنستيري الفقيه، عن الشيخ أبي الحسن القاسمي .
قال: أبو عبدالله وإنما حكى لي الشيخ أبو الحسن هذه الحكاية لما سأله عن المضطر إذا وجد ميتة ومالا مغصوباً فما الذي يؤمر به أن يأكل منهما؟ .
قلت: أراد بقوله - فيما تقدم كم ثمنه؟ أي كم سؤالك؟ فكذب له في ذلك، ولذا كان حراماً، وما أفنتي به الشيخ أبو الحسن في أن المضطر يأكل الميتة دون المال المغصوب محتجاً بما تقدم .

قال: قتل ابن أبي خنيزر أبا بكر بن هذيل - بأمر أبي عبدالله الشيعي - مع أبي إسحاق بن البرذون، وذلك أنه أشاع الحجة التي احتج بها ابن البرذون في الناس من أن علياً كان يقيم الحدود بين يدي عمر رضي الله عنهما حتى فهم منه الشيعي أنه قصد قتل علي بذلك هو وابن البرذون، ومذهب أبي العباس الشيعي - مذهب الأمامية - تفضيل عليّ على سائر الصحابة ويرى أن من تنقصه

أو أحدا من نسل فاطمة رضی الله عنها فإنه مباح الدم ، فلأجل ذلك قتلهماعا ،
وَرَبَطَهُمَا إِلَى أذْنَابِ الْبِغَالِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كَمَا تَقْدَمُ .

﴿ قلت ﴾ : تسامح في قوله البغال ، وإنما أراد به ذنب بغل واحد ؛ عملا
بما تقدم .

وفي كلامه بَيَّنَّ لكونه مات في شهر صفر من العام المذكور .

ودفنا في باب أبي الربيع قبلة القيروان المعروفة اليوم بمقبرة أبي عبد الله :
عُمد السَّالِّ .

* * *

وكان شيخنا أبو الفضل أبو القاسم البرزلي لما زار بنا حوطة الشيخ أبي زمعة
صاحب رسول الله ﷺ تسايما ووقف - بعد - على الحوطة اللطيفة التي هي للجوف
من حوطة أبي إسحاق بن مضار التي تقول العامة إن هذا قبر تياهة قال : « الذي وقع
في نفسى أن بها قبر أبي إسحق إبراهيم بن البرذون وأبي بكر بن هذيل ، فإنهما
ماتا شهيدين ، والناس يقولون : هذه قبور الشهداء .

فسكت عنه ؛ لأنى لم أرف على ما ذكرته من أنهما دفنا بباب أبي الربيع ؛
وإنما وقتت عليه حين نظرى لهذا التأليف - أعنى العوانى - رحمهما الله تعالى .

ومنهم :

١٥٢ ● (أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن)

ابن مسلمة الصدفي رحمه الله (١)

من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان .

أسلم جدّه علي يد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون ومحمد بن رزين ومحمد بن عبد الحكم وغيره .

﴿ قلت ﴾ : منهم عون بن يوسف .

﴿ قال ﴾ : وأخذ عن سحنون المدونة ، والمختلطة والموطأ

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بتر ؛ لأن له أيضا ثلاثة أجزاء مجالس عن سحنون .

﴿ قال ﴾ : أخذ ذلك عنه الناس . وكان ثقة .

﴿ قلت ﴾ : منهم أبو العرب ، وهبة الله بن أبي عقبة ، وعبد الله بن سعيد ،

وكان أولا يسمع كلام العراقيين ويجلس إلى محمد بن أسباط ، ثم ترك ذلك ، وصحب

سحنون وغيره .

ذكر ثناء العلماء عليه

﴿ قال ﴾ : كان جبلةً قميماً زاهداً واحداً زمانه في الزهد والورع ، وكان

(١) ترجمته مستفيضة بالمدارك (٢/٢٤٧)

والديباج (١٠٣) وكذلك ترجمه الحسني في كتابه الملحق بطبقات أبي العرب (١٤٣)

كثيراً ما يترددُ إلى قصر الطوب للرباط ، فاق أصحاب سحنون في الزهد والعبادة .

﴿قلت﴾ : وقال ابن حارث^(١) : « كان من أهل الخير البين ، والعبادة الظاهرة ، والورع والزهد ، وكان الغالب عليه النسك والزهد » .

وقال المالكي^(٢) : كان سحنون إذا قبل جبلة يقول : إن عاش هذا الشاب لقد يكون له شأن ، وكان أزهد أهل زمانه » .

« قال » : وقال أبو محمد : عبد الله بن سعيد : ما سمعته قط يذُكر الدين بدمح ولا ذم ، وحضر جنازة مع حمّاس بن مروان ، وسعيد بن الحداد ، فقال له سعيد : تقدم يا أبا يوسف ؛ فأنت أزهد منا وأعلم .

« قال » : وقال سحنون : لو تفاخر علينا بنو إسرائيل / ببغدادهم ٢ : ١٠٠٠
فاخرناهم بجبلة .

« قلت » : ذكره التحيي .

« قال » : وقال موسى بن عبد الرحمن القطان القاضى : مَنْ أراد أن يدخل إلى دار عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فليدخل دار جبلة بن حموذ ؛ زهده وتقله .
« قلت » : ظاهره أن جميع ذلك من كلام موسى ، وليس كذلك ، بل آخره فليدخل دار جبلة ، وتممه التحيي فقال : يريد زهده وتقله .

قال أبو العرب بن تميم : خرج علينا جبلة في غلّالة ومرأوبل ومنديل كأن

(١) ص ١٤٣ ، ١٤٤ باختلاف يسير عما هنا .

(٢) في الجزء الذى لم يطبع .

شياه أكلها الجراد قوومَ بعضُ الطلبة جميعَ ما عليه بثلاثة أرباع درهم .
وقال أبو بكر بن أبي عُقبَةَ « ما أوقد جيلة نارا أربعين سنة ، إنما كان له دقيق
شعير إذا كان عند إبطاره أخذ قَبْضَةَ فخرٍ كها في قدح بماء فأفطر عليها ، وكبَّرَ
للصلاة فهو راكع وساجد حتى ينادى بالفجر » .

(قلت) (١) : رواه التجيبي عن أبي بكر اللذكري .

وظاهره أنه كان لا يوقد في بيته نارا ألبتة ، لامصباحًا ولا غيره لقوله : إنما
كان له دقيق إلى آخره ، وهكذا كان زهد خواص الصالحين .

« ذكر قيامه بالحق ولا يبالى »

كان رحمه الله لا تأخذه في الله تعالى لومة لائم ، ولما دخل عبيد الله الشيعي (٢)
إفريقية ، ونزل « رقادة » ترك جيلة سُكنى الرُّبَاط ، ونزل القيروان ، فكلم في
ذلك ، فقال : كنا نحرس عدوًّا بيننا وبينه البحر ، والآن حلَّ هذا العدوُّ وبساحتنا ،
وهو أشدُّ علينا من ذلك ، فكان إذا أصبح وصلى الصُّبْحَ خرج إلى طَرْفِ
القيروان من ناحية رقادة (٣) معه سيفه وترسه وفرسه ، وسهامه ، وجلس محاذيا لرقادة
إلى غروب الشمس ، ثم يرجع إلى داره ويقول : « أحرص عورات المسلمين منهم ،
فإن رأيت شيئاً حرًّا كتُّ المسلمين عليهم » .

وكان ينكر على من يخرج من القيروان إلى سوسة ونحوها من الثغور ويقول :

(١) سقطت من م

(٢) ليست في م .

(٣) ليست في ت .

« جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك » .

قال المالكي : ولم يكن في وقته رحمه الله أكثر اجتهاداً منه في مجاهدة عبيد الله وشيعته ؛ فسلمه الله عز وجل منهم .

وإنما سلك أبو إسحق السبائي في بعض ما ذكر طريق جبلة بن حمود ،

* * *

﴿ قال ﴾ : واتصل به أن بعض أهل القيروان خرجوا ليلتقوا (١) عبيد الله الشيعي ؛ تقيه من شره ، ومدارة (٢) له - فقال جبلة : اللهم لا تسلّم من خرج يسلم عليه ، واغتم لذلك غمّاً شديداً ، فلما انتهوا إلى وادي أبي كريب جردوا وأخذت ثيابهم ، فلما عرفوا جبلة بذلك قال : ما (٣) غمّي فيهم إلا رجل واحد فيه خير ، لادنيا له ، والرجل هو : حماس بن مروان القاضي .

ولما دخل عبيد الله القيروان ، وخطب أول جمعة وجبلة جالس عند المنبر ، فلما سمع كفرهم قام قائماً ، وكشف عن رأسه حتى رآه الناس ، وخرج يمشى إلى آخر الجامع وهو يقول : قطعوها قطعهم الله ، فما حضرها أحدٌ من أهل المسلم بعد ذلك .

وهو أول من نبه على هذا . ولما ولي محمد بن عبدون القضاء مضى إلى قصر

(١) م : يلتقوا «

(٢) م : « ومدراه » وهو تحريف

(٣) سقطت من ت .

الطوب ، فخرج إليه أبو يونس ، وسعيد بن إسحق - يدارونه ، وجبلة جالس في بيته ، فأخبر بمجيئه ، وقيل له : هو يأتيك يُسَلِّم عليك ، فأبى ابن عبدون ، فوقف على باب جبلة فسَلَّمَ عليه ، فلم يرُد عليه السلام ، فقال له - وهو جالس - : « ما اسمك ؟ » فقال له : « محمد » فقال له : « يا محمد إياك أن تقول : القرآن مخلوق » فمضى ابن عبدون وهو يجرُّ أطنابه .

وحضر جبلة جنازة رجل مدني ، وحضر ابن عبدون القاضي جنازة رجل عراقي ، وجلس كل واحد منهما في أصحابه ، حتى أتى بجنازة المدني ، فتقدم جبلة فصلّي عليهما ، وصلي القاضي خلفه ، ثم جىء بجنازة العراقي فتقدم القاضي ، وقيل لجبلة الصلاة ، فقال : « كل حي ميت » وانصرف من جهة القبلة ، فشق ذلك على ابن عبدون ، فأرسل كاتبه إليه يقول : « إني صليت وراءك إذ قدّمت ، فلما قدّمت أنا انصرفت من ورأى ! أتظن أني أقولُ بخلق القرآن ؟ ما أقول به » ، فقال له جبلة : « أمرك عندي أشد ! ألسن الذي ضربت أحمد بن معتب ، وإبراهيم الدمني ، وفلاناً بالسياط ، وقطعت بهم سباط القيروان ، وأمرت أن يُنادى عليهم هؤلاء حزب الشيطان ؟ وهم رجال سحنون ، وسحنون أخذ العلم عن رجال مالك ، ومالك عن التابعين ، والتابعون عن الصحابة ، والصحابة عن رسول الله ﷺ ، فأمرك عندي أعظم من البدعة !؟ .

قلت ﴿ : وتقدم أن ابن عبدون - هذا - كان حنفي المذهب ، وأنه رجل سوء وفيه يقول إبراهيم بن أحمد : لو ساعدته على مصادمه فيمن يشكو به لجعلت له مقبرة

على حدة ، وأنه ضرب أربعة؛ بغضاً منه في مذهب مالك رحمه الله تعالى، ومات منهم ابن المديني والدمني إبراهيم بن المضا في الحال ، ولم يذكره العوانى ، وذكره الدباغ^(١) حسباً قدمناه حين التعريف بأبي إسحاق الدمني ؛ فالمعجب من تعريف العوانى^(٢) به بقوله : وقاض عادل - يوم أنه عالم صالح - فقال : أبو العباس : أحمد ابن عبدالله^(٣) بن عبدون بن أبي ثور الرعيني القاضي : كان حنفياً المذهب ، صاحباً لسليمان بن عمران القاضي وملازماً له ، وكان ذا هيئة جميلة عالية ، ولّى قضاء القيروان ، ولاه إبراهيم بن أحمد الأغلب وكان محباً فيه ، معجباً به .

ولما خرج إبراهيم إلى صقلية ، وصار الملك إلى ابنه أبي العباس أوصاه بابن عبدون وقال له : « احفظه لى ، فأعراه بعض جلسائه ، وقال لأبي العباس : « قد كان أبوك دفع إليه الف دينار ، لعمل أبواب الجامع ، فتمت في طلبه وتسأله عن حساب المال . فبعث في طلبه من تونس إلى القيروان ، فأخذ ابن عبدون معه

(١) هذا الكلام بحسب ظاهره مضطرب ، فكيف لم يذكره العوانى ، وقد أورد تعريفه به ، وعجب منه !

والذى يتجه في تقويم السياق أن المعرف به هو الدباغ ، وذلك ما أتى العجب ، لأن أصله العوانى - لم يذكره ، وهو قد عرف به .

ويدل على ذلك تعقيب ابن ناجي عليه .
فالأولى ترك التعريف به .

(٢) صوابه : « الدباغ »

(٣) هذه التسمية غير موافقة لما تقدم قريباً في محاورته مع جبلة . لما قال له : ما اسمك ؟ قال له : محمد .

وقد ذكره الحشني في قضاة القيروان (١٣٧ ملبقات) باسم أبي العباس : محمد بن عبدون ابن أبي ثور ، وهو الصواب .

من ماله ألفى دينار وحمالها ، فلما دخل على أبي العباس قال له : « آتتنا بحساب المال الذي أنفق في أبواب الجامع » ، فقال له : « أعزَّ الله الأمير ، لستُ بصاحب ديوان ١٠٢:٢ تحاسبي / وأخرج كيساً من كُمَّه وقال : هذه ألقادينار من مالي فخذوها ، ويكونُ ثوابُ عمل الأبواب التي بالجامع لي ، وقد علمت وصية أبيك بي ، ومع هذا تخف الله واحفظ أهل العلم ، فإنَّ الله يحفظك ؛ فاستحيا أبو العباس وقال : « والله ماترى مني إلا خيراً » وصرف المال .

﴿ قلت ﴾ : فالأولى تركُ التعريف به - وإن كان في هذه القضية ففعل خيراً .

وإنما ذكرت تعريف من ذكر لثلاثاً يُعتَقَد أنه رجل صالح في كل أموره كما تقدم من الإيهام بذلك ، أو يمتقد أنه رجُل آخر .

* * *

قال التجيبي : وتوفي في هذه السنة سنة سبع وتسعين ، ودفن بباب سلم جوار القاضى سليمان بن عمران ، وصلى عليه محمد بن عمر الروزى في مصلى العيد .

﴿ قال ﴾ : وفيها زال ملكُ بنى الأغب بعد مائة سنة واثنتى عشرة سنة .

قال المالكي : ولما ولي الصديقي القضاء أيام أ. العباس ، كان جبلة يصلى في مسجده يوم الجمعة الظهر أربع ركعات بأذان وإقامة ، فقال له مؤذنه : « الوقت حان أفترى أن أؤذن وأقيم داخل المسجد ؟ » فقال : « إن أذنت وأقت في الصحن وإلا فالزَم نفسك ، ولو منعنا أحدٌ من الصلاة لضربناه بالنبل » .

ووجه إليه أحمد بن أبي سليمان : « إنه بلغني أنك تصلى الظهر أربعاً بأذان وإقامة . كيف جازلك ذلك والجامع يُجمع فيه ؟ » فقال له : قل له يا أحمد ألم يمر بك قول مالك في المسجونين : إنهم يُجمعون في السجن ؛ لأنهم مُنعوا من الجمعة ؟ ونحن قد منعنا من الجمعة فأقمنا أنفسنا مقام المسجونين » فأخبر أحمدُ بذلك . فقال : « رحمك الله يا أبا يوسف ! » .

﴿ قلت ﴾ : بترحمه عليه كأنه ظاهر في رجوعه لـ قال ، وأنه أعجبه فبهه فكأنه أيقظه من غفلة ، وهو الذي تقدم عنه أنه قرأ على سحنون عشرين سنة ، وأسمع الناس ، وأذاهم مثل ذلك .

* * *

قال المالكي : « وكتب الصديقي إلى أبي العباس الأمير يخبره بما فعل جبلة ، فأرسل إليه : « مد يدك إلى من شئت واحذر جبلة » .

﴿ قلت ﴾ : « يريد لأنه مجاب الدعاء ، فخاف على نفسه من دعائه ، وكان الصديقي قاضياً » .

* * *

﴿ قال ﴾ : وجاءه صاحب المحرس ، واسمه سحنون ، فقال له لأمير : « يقول لك : كرر الإقامة وسلّم اثنتين ، ولا تقمت في الصباح ، فقال له جبلة « مرّ يالص ، سماك جدك سحنونا ، وأنت سحنون الأمير ، لا تعلمنا أمر ديننا » .

وجاءه آخر بمثل ذلك عن المروذي ، وبقراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وزيادة : « حيّ على خير العمل » في الأذان ، فقال له جبلة : « مرّ قبح الله من أرسلك وقبحك » فأخبره الرسول ؛ فسبّه وقال له : « إنا ما أرسلناك إلى جبلة تأتي إلى أولياء الله تعرض لي دعاءهم » .

وتجسس صاحبُ المحرمس عليه يوماً فأخذه جبلة، وأدخله المسجد، وضربه بالجرید حتى تاب أن لا يعود إليه .

« ذكر جملة من أخباره »

﴿ قال ﴾ : وكان جبلة قد ورث من أبيه رِباعاً كثيرة ، وأموالاً ، فترك ذلك ١٠٣:٢ كُله ؛ زُهْداً وتورُّعاً حتى تجرد من ثيابه ، وبقي عُرْياناً حتى كساه سحنون .

﴿ قلت ﴾ : هذا الكلام فيه بَترٌ من وجهين :

أحدهما : كقيمة ذلك ؟

الثاني ما هي المسألة التي تنزه فيها ؟ فقيمة ذلك نحو من ثمانمائة مثقال .

والمسألة كما ذكر المالكي عنه قال : ما علمت من أبي إلا خيراً ، ما كان يقول ببدعة - لكنني رأيتُه يقتضى من ثمن الطعام طعاماً ، وهو عنده جائز ؛ لأنه عراقي ، وعندنا غيرُ جائز ، فتركته تنزُّهاً .

وقال أبو ميسرة : كنت آتى باب جبلة بن حَمُود فأقف عليه ساعة ، فأسمع كلام آخر غير كلامه ، غير أني لا أفهمه ، فأفرغ الباب - بعد ذلك - واستأذن في الدخول ، فيأذن لى فأدخل ، فلم أجد معه في البيت أحداً ، فنقول له : أصلحك الله إنى أريد الكتاب الفلانى وما أكثر مرادى إلا اختبارُ بيته هل فيه أحد ؟ فيقول : « دونك الزير فخذهُ » .

وكانت كتبه في زير عنده ، وكان من الزهاد المنتقلين ، فأقوم فأخذ الكتاب ، وأرعى البيت فلا أرى أحداً .

قال أبو محمد : عبد الله بن سعيد التفاحى : هذا الأمر لا يخلو من وجهين .

﴿ قلت ﴾ : « وما هما ؟ » قال : « إما أن يكون الخضر أو عبداً صالحاً من الجن » . ١

﴿ قلت ﴾ : لا خصوصية للخضر في هذا وقد يكون غيره من غير الجن .

﴿ قال ﴾ : روى أن أويساً القرني رآه بعض الصالحين من أهل مجانة في النوم فقال له : « أنت الذي يدخل في شفاعتك يوم القيامة مثل ريعة ومضر ؟ » قال : فتبعته حتى وقف على قبر ، فذسك إن كان خرج إليه من القبر شيخ فقال لي : « هذا جبلة يدخل في شفاعته مثل ريعة ومضر » وكررها ثلاثاً ، فأصبح الرجل وأتى إلى القيروان - ولم يكن دخلها قبل ذلك - فقصد مسجد جبلة فوجد فيه قوما فأعلمهم بما رأى ، وسألهم أن يسيروا معه إلى قبر جبلة ، فساروا معه ، فلما قَرُب منه تقدّم حتى وقف عليه ، وقال لهم : « هذا القبر الذي أراني أويس في النوم فقيل له هو قبر جبلة » .

﴿ قلت ﴾ : شفاعاة أويس القرني فيما ذكر ، ذكرها غير واحد . وقال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد : « لئن كان أمر أويس القرني (١) صحيحاً فالجبنياني أويس هذه الأمة » فكلامه كالنص في أنه لم يصح .

ودخل جبلة على جماعة من أصحابه وهم يضحكون وقد رفعوا أصواتهم ، فقال لهم : لا تفعلوا الله تعالى بالعا ، قال ابن أبي عُميرة : فما علمت أن أحداً منهم ذكر .

﴿ قلت ﴾ : لعل دخوله عليهم - وهم في مجالس الدرس ، ينتظرونه ، فضحكهم حينئذ ازدراءً بالعلم ؛ فهم مستحقون للدعاء . والله تعالى اعلم .

ذكر وفاته رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : توفي جبلة بن حمود يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من صفر سنة تسع (١) وتسعين ومائتين ، وهو ابن سبيع وثمانين سنة ، وصلى عليه أبو سعيد : محمد بن محمد ابن سحنون في مصلى العيد .

﴿ قلت ﴾ : زاد التَّجِيبي : وكثر الناس في جنازته .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب سلم - متصلاً بقبر البهلول بن راشد من الشرق .

﴿ قلت ﴾ / : ووقف حمديس القطان على قبره صبيحة موته ، فقال له رجل : ١٠٤:٢

« لقد دفن بجوار هذا الرجل الصالح - يعني البهلول بن راشد نفع الله به - فقال له القطان : لعل البهلول انتفع بأبي يوسف .

وقبره مزار يعرفه الخاصة والعامة كالبهلول .

وأخبرت - منذ نحو من أربعين سنة - أن قبر جبلة كان وهي وبناه عمي خليفة

ابن ناجي ، فهو يبنائه إلى اليوم رحمه الله تعالى .

(١) ت ، م : « سبيع » والتصويب من المدارك ٣/٢٥٤

لأن الشيعة لم تدخل القيروان إلا في ربيع سنة ٢٩٧ كما ذكر ابن خلدون وابن الأثير والمترجم معها مواقف عديدة ، يناقضها وفاته في صفر قبل دخول الشيعة .

ومنهم م :

١٥٣ ● (أبو عبد الرحمن : بكر بن حماد بن سمك)

ابن إسماعيل الزناتي التاهرتي ، رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون بن سعيد ، وعون بن يوسف ، ثم رحل إلى البصرة سنة سبع عشرة ومائتين ، فلقى بها مسدّد بن مسرهد^(١) وعمرو بن مرزوق^(٢) وجماعة من العلماء .

﴿ قلت ﴾ : ولقي أيضا ابن الأعرابي^(٣) ، والرياشي^(٤) ، وأبا حاتم السجستاني^(٥) ولقي من الشعراء في ذلك الوقت ؛ دجبلًا^(٦) وحبيبًا^(٧) ، وصرّيفًا ، وعليًا بن الجهم^(٨) وغيرهم^(٩) .

* * *

﴿ قال ﴾ : أخذ عنه قاسم بن أصبغ^(١٠) وغيره .

(١) محدث بصرى توفى سنة ٢٢٨

(٢) حافظ بصرى توفى سنة ٢٢٤

(٣) لغوى كوفى توفى سنة ٢٣١

(٤) العباس بن فرج توفى سنة ٢٥٧

(٥) لغوى بصرى توفى سنة ٢٤٨

(٦) الخزازى المتوفى سنة ٢٤٦

(٧) أبا تمام المتوفى سنة ٢٣١

(٨) الشاعر المتوفى سنة ٢٤٩

(٩) أما مشيخته الأفارقة فسلكهم من رجال المالم

(١٠) فقيه قرطبي توفى سنة ٣٤٠

وكان ثقة عالماً بالحديث ورجاله شاعراً فصيحاً .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكره التَّجِيبِي .

وقال غيرها : كان قتيهاً ، فاضلاً جليلاً ، عالماً بالحديث وتميز الرجال ، ثقةً ، مأموناً ؛ ثبتاً ، صدوقاً ، إماماً حافظاً وشاعراً مقلقاً .

﴿ قال ﴾ : ثم رحل إلى القيروان ، فأقام بها إلى أن سافر إلى تاهرت سنة خمس وتسعين ومائتين ، ومات^(١) بها سنة ست وتسعين .

﴿ قلت ﴾ : هذا فيه بتر من وجهين :

أحدهما ما ببد جوعه إلى بلده ؟ هل هو باختياره أم لا ؟ فقال المالكي : سعى به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير ، فخرج هارباً من القيروان يريد بلده ، فلما صار بسبأطة خرج عليه قطاع الطريق ، فقتل ولده عبد الرحمن ، وجرح بكر جراحاتٍ . فما زال في بطنه فتقاً إلى أن مات .

الثاني : أنه مات وهو ابن ستِّ وتسعين سنة ، وصلى عليه موسى بن البلامي الفقيه .

﴿ قال ﴾ : قال أبو العرب بن تميم : بلغني أنه لما دخل عليه وهو في الموت ولم يستطع القيام فقال :

أحبو إلى الموت كما الجملُ قد جاءني ما ليس لي فيه حيلٌ

﴿ قال ﴾ : وكان بكر هذا يقول كثيراً من الشعر في الزهد والمواعظ وذكر الموت وهوله ، فمن ذلك ما رواه عنه أبو بكر بن اللباد قال : دخلت على بكر بن

حماد فقال لى : « اكتب » فأملى على نفسه :

زُرْنَا مَنَازِلَ قَوْمٍ لَا يَزُورُونَا إِنَّا لَفِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُقَاوِنَا

لو ينطقونَ لقالوا : الزادُ ويحكم

جَدُّ الرَّحِيلُ فَمَا يَرْجُو الْمَلَاقُونَ ؟

الموت أصبح بالدنيا يُخْرِجُهَا

١٠٥:٢

وفعلنا فعل قوم لا يموتونا

فَالآنَ فابْكُوا ؛ ففدحقَّ البكاءَ لكم

فالحاملونَ لعرشِ إلهِ باكونا

ماذا عسى تنفع الدنيا مجمعها

لو كان جمع فيها مالَ قارونا ؟

* * *

قال أبو بكر المالكى : ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى :

قف بالقبور فنَادِ الهامدينَ بها

من أعظمَ بَلِيَّتٍ فيها وأجسادِ

قومٌ تقطعت الأسبابُ بينهمُ

من الوصالِ وصاروا تحت أطوادِ

راحو جميعا على الأقدام وابتكروا

فلن يروحوا ولن يقدُّو لهم غادى (١)

والله والله لو ردُّوا ولو نطقوا

إذا قالوا: التقي من أفضل الزادِ

فيرز القوم وامتدت عسا كرمهم

كما يوافقوا ليقاتٍ وميعادٍ (٢)

ما بالقلوب حياة بعد غفلتها

والله سبحانه منها بمرصادٍ

أين البقاء وهذا الموت يطلبنا

هيات هيات يا بكر بن حمادٍ

بيننا ترى المرء في لهو وفي لعب

حتى تراه طلى نعيش وأعوادٍ !

هذا أبو بكر دنياه منفضة فيها حزازات أحشاء وأكبادٍ (٣)

فكلنا واقف منها على سفرٍ وكلنا ظاعنٌ يحدو به الحادى

(١) البكرة : الفداء ، والتبكير والبكور . والابتكار : المضي في ذلك الوقت -

قال بشامة بن الغدير :

إن الخليل أجدوا بين فابتكروا . . . لنية ، ثم عادوا ، ولا انتظروا

(٢) عطف المضارع « فيرز » على الماضي لا وجه له ، وأمل محته : « فيرز »

(٣) اضطر هنا لمنع المصروف في قوله « أبو بكر » وذلك لوزن البيت ، وفي ت :

في كل يوم نرى نعثاً نشيئهُ فرائحُ فارِقِ الأَحبابِ أوغادِي
الموت يهدم ما تبنيه من فرح فما انتظارك يا بكرُ بنِ حمادِ!

ومنهـم :

١٥٤ ● (أبو عبد الله : محمد بن إسماعيل المغربي)

رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : كان من أهل القيروان ، وأصله من سوس المغرب إلا أنه أوطن
القيروان ، وكان أحد الأوتاد ، متجرداً من الدنيا ، زاهدا فيها ، دائم الأسفار على
التجريد والتوكل ، رحل إلى المشرق فصحبه على بن رزّين ، وكان كثير الورع ،
روى أنه لم يأكل مما وصلت إليه أيدي بني آدم سنين كثيرة ، كان يتناول من
أصول الحشيش أشياء تعود أكلها ، وكان يكون محرماً فإذا تحلّل من إحرامه
أحرم ثانياً .

لم يتسخر له ثوبٌ ، ولا طال له ظفرٌ ولا شعرٌ ، وكان يقول : « يحتاج الفقير
إذا سافر إلى أربعة أشياء : علم يخرسه ، ووجد يعمله ، وورع يسوسه ، وذكر
يؤنسه » .

وقال : « أعظم الناس ذللاً . فقيرٌ داهنٌ ذاغنى ، أو تواضع له ، وأعظم الناس
عزاً : غنىٌ تذل للفقراء ، وحفظ حرمتهم » .

وسئل عن الزهد فقال : « تجريد القلب ، ونزع النفس بالانصراف
صراً وجهراً » .

١٠٦:٢ وكان ينادى إذا جن الليل ويقول: اللهم إني أسألك بيدٍ أضرعها إليك ذُلٌّ /
الافتقار^(١) أن توصلني بفضلك إلى عز كل كرامة ؛ فأنا في خناق وحشتك مأسورة
أنتظر^(٢) ما يردُّ عليَّ من فضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين .
وكان يقول : « أفضل الأعمال عمارةُ الأوقات بالموافات . »

وهو أستاذ إبراهيم الخواص^(٣) ، وإبراهيم بن شيبان^(٤) .

قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الديناري ، قال :
حدثنا إبراهيم بن شيبان قال : سمعت أبا عبد الله المغربي يقول :

« تقع في كل مائة سنة قفرة ، وتموت الحكماء والعلماء ، ثم يبعث الله في هذه الأمة
على عدد الأنبياء قوما يذكرونهم ، ويردُّونهم إلى الحق وهم أبناء الزمان . »

وقال إبراهيم بن شيبان : صحبت أبا عبد الله المغربي ثلاثين سنة فدخلت عليه
يوماً وهو يأكل فقال : « اذنُ فكلْ » ، نقلت له : « إني صحبتُك منذ ثلاثين
سنة لم تدعني إلى طعامك إلا اليوم ؟ » فقال : لأن النبي ﷺ قال :

« لا يأكل طعامك إلا تقي »^(٥) .

ولم يتبين لي نُقَالَك إلا اليوم .

(١) ت : « ذل » . (٢) م : « ماسوار انتظر » ت « ماسورا نتظر »

(٣) صوفي جليل ، من أقران الجنيد ، مات سنة ٢٩١ ، راجع ترجمته في الطبقات الكبرى

للشعراني ٢٩٧ (٤) صوفي كبير ترجمه الشعراني ١١٣ ولم يؤرخ لوفاته .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣ / ٨٣ (الجلي) والترمذي في السنن كتاب الزهد :

باب إجابة في صحبة المؤمن ٢ / ٦٢ (الأميرية) .

كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ، بلفظ : « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا
يأكل طعامك إلا تقي » .

وعقب أبو عيسى بهوله : هذا حديث حسن .

وتوفى أبو عبد الله المغربي بالطور سنة تسع وتسعين ومائتين ، وقد عمر مائة وعشرين سنة ، ودفن إلى جانب أستاذه علي بن رزّين .

وقال إبراهيم بن شيبان : كان علي بن رزّين قد أتى عليه أيضا مائة وعشرون سنة مثل عمر تلميذه ، وكان قد صحب الحسن البصرى . وكان عبد الله قد أرانى قبر علي بن رزّين وقال : ادقني بجنبه ، فدفتته بجنبه وجلست بين القبرين سنين ، فكانت فأمدتي منه بعد وفاته أكثر من فأمدتي في وقت حياته ، كنت أسأله في النوم عن مسائل فيجيبني ، فرأيت ليلة في المنام قال لي ارجع إلى بلدك ؛ فإنك تزوج ، ويكون لك أولاد ، فرجعت إلى قرميسين^(١) وتزوجت وولد لي كما قال .

ومنهم :

• ١٥٥ • ﴿ أبو عبد الله : محمد بن أبي داود : أحمد بن ﴾

« أبي موسى بن حريز الأزدي الطار^(٢) رحمه الله تعالى »

﴿ قال ﴾ : سمع من والده : أبي داود ومحمد أبي سحنون .

﴿ قلت ﴾ : وسمع أيضا من محمد بن يحيى بن سلام .

﴿ قال ﴾ : أخذ عنه الناس ، وكان فقيها عالما ثقة ، من أهل المدائنة عند القضاة

والحكام .

(١) قرميسين : بلد قرب الدينور ا ه قاموس

(٢) ليست في ت

﴿ قلت ﴾ : قال أبو عبد الله بن حرب الأندلسي : كان بيت أبي داود العطار أحد بيوتات العلم بالقيروان ، وكان جدّه موسى بن حريز مولده سنة خمس وخمسين ومائة ، فنشأ طالبا للعلم وسمع من علماء ذلك الزمان ، ثم ولد له أحد أبو داود سنة ثلاث وثمانين ، فنشأ في طلب العلم ، وسمع من أكابر الرجال كسحنون بن سعيد ، ثم ولد لأحمد محمد هذا فأقامت لهم الرئاسة وسؤدد العلم نحو مائة وثمانين سنة .

﴿ قلت ﴾ وتقدّم التعريف بوالده أبي داود^(١) .

﴿ قال ﴾ : وتوفى أبو عبد الله : محمد يوم الجمعة التاسع عشر من رجب سنة ثمانمائة .

﴿ قلت ﴾ وهو ابن ثمان وثمانين .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب سلم ، وقبره معروف .

﴿ قلت ﴾ :- وقال التجيبي : وفي هذا العام ابتدئ في بناء المهديّة .

ومنهم :

● ١٥٦ (أبو جعفر : محمد بن محمد بن خيرون المعافري)

الأندلسي الفرضي الشهيد ، رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : رحل إلى العراق ، وسمع به من محمد بن نصر : صاحب يحيى

ابن معين^(١) ، وصاحب علي المدني^(٢) ، ثم عاد إلى القيروان .
﴿ قلت ﴾ : قال المالكي : وأدخل بعض كتاب دلوود^(٣) القيروان .

* * *

﴿ قال ﴾ : واستوطن القيروان إلى أن مات بها شهيداً ، ومسجده بها مشهور .

وكان فقيهاً صالحاً عابداً من خيار المسلمين . وكان سبب قتله أنه سعى به القاضي محمد بن عمر الروذي قاضي الشيعة^(٤) إلى عبيد الله المهدي ، فأمر الحسين ابن أبي خنزير بقتله ، فعدبه إلى أن مات .

حكى الشيخ أبو الحسن القاسبي رحمه الله تعالى قال : أخبرني مَنْ أثق به أنه كان جالساً - عند ابن أبي خنزير - إذ دخل عليه شيخٌ ذو هيئة جميلة - وقد علاه اصفرار ، مع حُسنٍ سَمْتٍ وخشوع ، فلما رآه ابن أبي خنزير بكى ، فقال له : « ما الذي يبكيك ؟ » قال : السلطان - يعني عبيد الله - وجّه إلىّ بأمرني بدؤس هذا الشيخ حتى يموت - يعني ابن خيرون - ثم أمر به فأدخل إلى مجلس ، وبُطِحَ

(١) المحدث العراق المتوفى سنة ٢٢٣

(٢) المحدث المؤرخ المتوفى سنة ٢٣٤

(٣) يعني داود الظاهري المتوفى سنة ٢٧٠

(٤) هذا القاضي ورد اسمه كثيراً ، ونسبته إلى « سهالروذ » وهي سهو الصغرى ، وأما العبقرى فالنسبة إليها سهروزي بالزاي . راجع معجم البلدان لياقوت ٨ / ٣٢ وموقعهما الآن بالاتحاد السوفيتي على مقربة من حدود إيران وأفغانستان غربي بخاري .

انظر أطلس التاريخ الإسلامي لها زارد .

على ظهره ، وطلع السودان فوق سرير ، قفزوا عليه بأرجلهم حتى مات ، وذلك من أجل جهاده على دين الله تعالى ، وبُغضه لبني عبيد .

﴿ قلت : قال المالكي : ولما مات أخذوه وحلوه على بَنَلٍ وَأَقْوَه في خفير ، ونهب ابن أبي خنزير ماله ، وأخذ مولدة كانت له ، وجعلها مع خدمه .

﴿ قال ﴾ : وكانت وفاته سنة إحدى ومئتين ، وقبره الآن ظاهر بباب سلم . فلم ير - بعد - إلا أشهر حتى أخذ عبيد الله القاضي الروذى وسجنه ثم عذب حتى مات ، وكانت هناك جاريته ، وكانت تقول : « هذا الذي قتل سيدي ابن خيرون » وتزيد في عذابه وقد خاب من حَلِّ ظُلْمًا .

﴿ قلت ﴾ : كلامه فيه بتر من وجوه :

أحدها : أنه لم يبين من كان السب فيه عند عبيد الله حتى أخذه .

الثاني : لم يبين بماذا عذب .

الثالث : هل كان القاضي شيعيا في اعتقاده أم لا ؟ .

وبينها المالكي فقال : لما طال على ابن أبي خنزير كثرة من يأتي به الروذى من العلماء والصالحين ليقْتلهم سعى به عند عبيد الله ، ومضى به إلى المهديّة ، فقبل عبيد الله قوله ، ومكّنه منه ، فأخذه وألبسه ملابساً^(١) ورماه في اصطبل الدواب

(١) لا بد أن يكون ثمت وصف كاشف مناسب للعقاب تقدره « خشنا »

تمشى عليه فركضت في بطنه حتى قتلته ، فكانت تلك المولدة التي كانت لابن خيرون تأتيه - وهو تحت أرجل الدواب - فيقول لها ؟ إنك بسبي صرت عند السلطان ؟ فتقول له : « يا شيخ السوء ! قتلت سيدي ابن خيرون : شيخ القيروان ، وأزالتني من عنده ، ورددتني عند خنزير ابن خنزير ؟ » وتأمر / خدمها فيلطمونه ، ١٠٨ : ٢ . ويُعطونه قدره .

وكانت هي المتولية لعذابه حتى هلك - لعنه الله تعالى .

قيل : إنه لما ضربه ألف سوط ، وعذبه قال له : « هات الأموال التي جمعت - فقال : « والله لو أن تحت قدمي جباً مملوءاً بمال الدنيا كلها ما أخرجتُ لكم منه درهماً ، وإني قد عصيتُ الله تعالى فيكم فسأطعمكم عليّ ؛ فأضرب ما شئت وعذب كيف شئت ؟ ! » .

وكان محمد بن عمر المروزي هذا معتقداً لمذهب الشيعة ، معروفاً بذلك - فلما دخل الشيعي - لعنه الله تعالى - بادراً إليه ، ودخل في دعوته ولزمه ، وولاه قضاء إفريقية ؛ فتصلب وتكبر وتجرّب .

وكانت أيامه صعبة جداً - وأخاف أهل السنة ، ثم خرج الشيعي إلى سجلماسة ، واستخلف في مكانه أبا العباس ، فأطلق يد المروزي ، وقوى أمره ، فأخذ أبا العباس بطريقة قاضي صرابلس - وكان من الفقهاء العلماء - وأبا القاسم الطوزي قاضي صقلية ، والمحاسب بمدينة القيروان فضربهم ، وقتل ابن هذيل وإبراهيم بن البرذون ، وأول ما ولى زاد في الأذان حتى على خير العمل ، وترك الناس يصلون رمضان سنة

واحدة ثم منهم ، وترك أكثر الناس الصلاة في المساجد ، وأخذ أموال الأحياس
والحصون ، وأخذ السلاح الذي في الحصون التي على البحر ، وأمر الفقهاء أن
لا يكتبوا وثيقة ولا يفتوا - إلا من سرق وكفر - وأمر أن تزال من الحصون والمساجد
أسماء الذين بنوها ، أو أمروا بها (من) ^(١) السلاطين ، ويكتب اسم المهدي .

* * *

﴿ قلت ﴾ : وقبر ابن خيرون مزار يتبرك به ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه
اسمه واسم أبيه ، وما ضره رحمه الله ماجرى ^(٢) ؛ كأنها سنة كبرى ، ثم شاعت
مدامه كما ترى ، إنما يضرب من فهم العواقب ^(٣) ودري !!

وقد أخذ الله عدوه القاضي الروذي الذي سعى عليه - من جنس فعله بالشيخ -
بأخس الأشياء ، وهو عفسه بأرجل البهائم ، مع ما عذب به بغير ذلك . وجزى
الله مشيخة القيروان خيراً ، هذا يموت ، وهذا يضرب ، وهذا يسجن ، وهم
صابرون لا يفرون ، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة ، رحمهم الله
ورضى عنهم .

(١) ليست في م .

(٢) ما بين الرقبن ليس في ت .

ومنهم :

● ١٥٧ (أبو سليمان : ربيع بن عبد الله القيرواني)

الصوفي ، رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : كان من أهل الصدق والتخلي والانتطاع إلى الله عز وجل ، كثيرَ
السياحة والتفرُّبِ عن الأوطان . سكن جبل اللكام^(١) بالشام ومحب الأبدال .

قال أبو سليمان : سلكت بادية تبوك فاستوحشت ، فهتف بي هاتف : يا أبا
سليمان . نقضت العهد لم تستوحش؟ أليس حبيبك معك؟ .

وقيل لأبي سليمان : يا سيد الوقت : « لم لا تتكلم على إخوانك؟ » قال :
« لأنهم في سفر الوحشة وذكر الحق بينهم غيبة » .

وحكى أبو عبد الله الهمداني الزاهد قال : قال أبو سليمان : « مرضتُ مَرَضَةً ،
فاشتهيتُ الرُّمان ، فطُلب لي ، فلم يُقدَّر عليه ، فخرجت إلى البحر/ فاتكأت^(٢) ١٠٩:٢
واستقبلتُ القبلة وولَّيتُ البحر بظهري ، فأتاني آتٍ بسبع رمانات ، فوضعن^(٣)
في حجرى ، وقال^(٤) لي : « كُلْ هذه ولا تُطعم أحدًا منها شيئًا » .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي : سمعت أبا الحسن^(٥) بن أحمد يقول : سمعت

(١) هو امتداد جبل لبنان إلى الشمال عند انطاكية والمصيصة ، وفيه متعبد للصالحاء

راجع معجم البلدان ٧/٣٢٠

(٢) ت : « فاتكيت »

(٣) ت : « فوضعن »

(٤) ت : « فقال »

(٥) ت : « الحسن » وهو تعريف

أبا سليمان المغربي يقول : « ركبتُ يوماً على حمارى فضربتته على رأسه فقال : اضربه يا أبا سليمان ؛ فإنما على دماغك تُضرب ! » قال أبو الحسين : قتلته له : « بلسان فصيح ؟ » فقال : « كما تكلمنى وأكلمك » .

﴿ قلت ﴾ إما لكونه ضربه بما لا يستحقه ، وإما لكونه ضربه فى غير محل الضرب المعتاد ، وهذا هو اللائق ، به رحمه الله تعالى .

﴿ قال ﴾ : وقال أبو عبد الرحمن السلمى فى تاريخ الصوفية : أبو سليمان من مشايخ المغرب ، من أقران أبي الخير التينائى^(١) ومات بدمشق ، رحمه الله تعالى .

قال الشيخ الدباغ ، رحمه الله تعالى : شهرة أبي عبد الله المغربي ، وأبي سليمان ، وأبي عقاب بن غلبون ، وأبي الفصن الخادم - بالمشرق أكثر من شهرتهم بالمغرب ؛ لموتهم هنالك .

﴿ قلت ﴾ : لم يذكر تاريخ وفاته ، وعرف به بإثر أبي عبد الله المغربي - وهو أنسق - ولكنى أنسيت ذكره بفوره ، فتسامحت فى ذكره هنا ، لعدم ثبوت تاريخ وفاته ، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

(١) ت ه « التينائى » وهو تحريف .

وهو منسوب إلى التينات : ميناء قرب المصيصة بالشام كما فى معجم البلدان ١/٩١٠
وأبو الخير المذكور هو أبو الخير الأقطع التينائى واسمه عباد بن عبد الله صوفى كبير ما
سنة نيف وأربعين وثلثمائة

راجع ترجمته فى طبقات السلمى ٣٧٠ وانظر ما ذكره بهامشه

ومنهم :

● ١٥٨ ﴿ أبو عثمان : سعيد بن محمد الغساني المعروف ﴾

بابن الحداد رحمه الله تعالى (١)

والحداد جده لأمه ، وعوامُّ القَـبـِـرِـوان عندنا يقولون : سعيد الحداد . وإنما سمي الحداد ؛ لحدّة ذهنه ، وهو وهم ، وإمام هو ابن الحداد ، والمراد ما تقدم .

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون .

﴿ قلت ﴾ : ثم نزع أخيراً إلى مذهب الشافعي ، من غير تقليد له . بل كثيراً ما يخالفه ، وكان يسمى المدونة : « المدوِّدة » ، ونقص بعض من (٢) نقص ، فرفضه أصحاب سحنون ، وهجروه وأغرّوا به ابن طالب القاضي ؛ فهمّ به ، ثم نشأت بينه وبين ابن طالب محبة ، فكان له على بر ، وبقي مهجوراً الباب ، قليل الأصحاب إلى أن ناظر أبا عبد الله الشيعي .

وكلام الشيخ يؤم أنه لم يسمع من غيره ، وليس كذلك ، بل سمع من غيره من شيوخ إفريقية ، كأبي سنان ، وأبي الحسن الكوفي بأطرابلس (٣) وغيرها ، ولم تكن له رحلة ولا حج ؛ لأنه كان مقلاً ، وإنما اشتهر وتمول بعد الشيخوخة والزّمانة .

(١) ت : « أبو محمد : سعيد بن عثمان ... » وهو مخالف لما في مصادر الترجمة .
وقد ترجم له الحشفي ١٩٨ ، كما ترجم له المالكي بالجزء الذي لم يطبع بعد ل ٣٦/٢ - ب .
(٢) سقطت من م .
(٣) ت : « بأطرابلس »

وسمع منه ابنه عبد الله، وأبو العرب، وأحمد بن موسى التمار.

﴿ قال ﴾ : له تأليف منها: كتاب « إيضاح المشكل » ، وكتاب « المقالات »
رد فيه على أهل المذاهب أجمعين ، وكتاب « الاستيعاب » ، وكتاب « الأمالي »
وكتاب « عصمة النبيين » وكتاب « العبادة الكبرى والصغرى » وكتاب « الاستواء »
- إلى كتب كثيرة .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

﴿ قال ﴾ : كان فقيهاً صالحاً فصيحاً متعبداً ، واحد رجال زمانه في المناظرة
١١٠:٢ والرد على الفرق ، مقدماً في ذلك / ثقةٌ كثير الخشوع ، لم ير أسرع
منه دعة .

﴿ قلت ﴾ : وقال المالكي : « كان سعيد بن الحداد عابداً زاهداً ورعاً مجاب
الدعوة ، وكان حسن اللباس ، جميل الرمي ، مبالغاً في ذلك ، تقوم كسوته
بعشرين ديناراً » .

وقال ابن حارث : « كان مذهب أبي عثمان : المناظرة وفهم القرآن والمعرفة
بمعانيه » .

أخبرني بعض أصحابه أنه سمعه كان^(١) يقول : « ما حرف من القرآن
إلا وأعدت له جواباً ، ولكن لم أجده سائلاً ؟ ! » .

وكان نافذاً في النحو ، عربي اللسان ، جهوري الصوت ، إذالحن في كلامه قال :
« أستغفر الله » ثم يكرر الكلام عربياً ، وإذا تكلف الشعر أجاد .

ذكر مكانه من العلم

قال ابن حارث: أئسف الشيخ أبو عثمان: سعيد بن الحداد تأليماً ردد به على الشافعي، وبعث به إلى المزني^(١) وابن أبي سعيد، فلذا ورد على المزني رآه وسكت، فجعل رجل من البغداديين يحرّكه في جوابه، والمزني يُعرض عنه، فلما أكثر عليه رمى إليه بالكتاب، وقال: «أما أنا فقرأته وسكتُ فن كان عنده علم فليتكلم».

وقال المالكي: كان سعيد بن الحداد معظماً لمالك، ويسى الرأي في أبي حنيفة وأصحابه، وروى عنه أنه قال: «تذكرت بقلبي مسائل لأبي حنيفة، ركب فيها الحال اضطراباً نحواً من أربعائة مسألة».

قال^(٢): جاست يوماً عند ابن الحداد فسألته عن مسألة مُقفلة من كلام أشهب، فبدأ بتزليلها، والنظر فيها شيئاً فشيئاً حتى بلغ فيها ما بلغ أشهب، فقلت له: «يا أبا عثمان: كذا قال فيها أشهب»، فقال لي: «لعل أشهب ما وضعها حتى تدبرها أياماً^(٣) ونظر فيها حيناً».

وتكلم يوماً في مسألة فليل له: «إن داود قال فيها كذا؟» قال:

(١) المزني: أشهر أصحاب الشافعي متوفى سنة ٢٣٨ وأما ابن أبي سعيد فلم أجد في أصحاب الشافعي موافقاً لهذا الأسم إلا أبا القاسم: عثمان بن سعيد صاحب المزني والربيع المتوفى سنة ٢٦٤ هـ راجع طبقات الشافعية (٢/ ٥٢).

(٢) القائل ساقط من الأصل، ولا يكون الدباغ لامتناع جلوسه عنده، والزمن بينهما بعيد

(٣) م: «تدبر فيها».

« لو كان نومي كيقظة داود^(١) ما تكلمت في العلم اء . »

ذكر أخباره في مناظرته ، رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : كان يردّ على أهل البدع الخالفين للسنة ، وله في ذلك مقامات مشهورة ، وآثارٌ محمودة ، ناب عن المسلمين فيها أحسن مناب ، حتى مثله أهلُ القيروان بأحمد بن حنبل أيام المحنة ، وذلك أن بنى عبيد لما ملكوا القيروان أظهروا تبديل مذهب أهل البلد . وأجبروا الناس على مذهبهم بطريق المناظرة وإقامة الحججة ، وقتلوا رجلين من أصحاب سحنون ، فارتاع أهل البلد^(٢) من ذلك ولجئوا إلى أبي سعيد وسأله التقيّة ، فأبي من التقيّة وقال : قد أريدتُ على التسعين ومالي في العيش من حاجة ، وقتيل الخوارج خير قتيل ، ولا بد لي من المناظرة والمناضلة عن الدين ، وأن أبلغ في ذلك عذرا . ففعل ذلك وصدق ، وكان هو المعتمد عليه في مناظرة الشيعة .

روى أبو محمد : عبد الله بن إسحاق بن التبان ، - رحمه الله قال : « لما اجتمع أبو عثمان : سعيد بن الحداد بأبي عبد الله الشيعي في مجلس المناظرة - قال له أبو عبد الله : أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب الكساء غيرهم - يعني / بأصحاب الكساء محمدا ﷺ تسليما ، والحسن ، والحسين ، وعليما ، وفاطمة ، ويعني بغيرهم

أبا بكر اء . »

فقال أبو عثمان : أيما أفضل ؟ خمسة سادسهم جبريل ؟ أو اثنان الله ثالثهما ؟

صد داود بن علي الظاهري

(٢) ماين الرقين سقط من ت .

فُبِهتَ الشَّيْعى .

﴿ قات ﴾ : هذه المناظرة ذكرها التَّجِيبى قال : سمعت أبا محمد بن التبان

يقول ذلك .

﴿ قال ﴾ : روى أنه لما اجتمع مع الشيعى رقادة^(١) فى قصر بنى الأغب قرأ

الشيعى : « فتلك مَسَا كِنُهُمْ لَمْ تُسَكِّنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ
الْوَارِثِينَ »^(٢).

وتلا أبو عمان : « وَسَكَنْتُمْ فِى مَسَاكِنِ الدِّينِ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ

لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ »^(٣).

﴿ قات ﴾ : قال المالكى : قال أبو بكر بن اليباد : ووجه له مرة « عبيد الله »

فذكر له حديث « من كنت مولاه فعلى مولاه^(٤) » وقال : ما نال الناس
لا يكونون عبيدًا لنا ؟

فقال ابن الحداد : لم يرد بولاية رق ، وإنما أراد ولاية الدين ، ونزع بقوله

تعالى : « مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا

كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا

(١) فى مجم البلدان ٤ / ٢٦٧ : « بلدة كانت يفرقيها ، بينها وبين القبروان

اربعة أميال » .

(٢) سورة القصص : ٥٨

(٣) سورة إبراهيم : ٤٥

(٤) قال العجلونى - فى كشف الحفا : ٢٧٩/٢ رواه الطبرانى وأحمد والضايا فى المختارة عن

زيد بن أرقم وعلى وثلاثين من الصحابة بلفظ : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فلحديث

متواتر او مشهور .

اتلألكة والنبيين أرباباً أياً مرُّكم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون (١)؟» فما لم يجعله الله عز وجل لنبي؛ لم يجعله لغير نبي، وعلى لم يكن نبياً، إنما كان وزيراً للنبي ﷺ تسليماً» فضربه (٢) وعهد الله بكم المجلس على لسان البغدادى عنه .

* * *

ويحكى أن أبا عبد الله الشيعى قال له يوماً : إن القرآن يقول : إن محمدا ليس بخاتم النبيين ! فقال له : وأين ذلك ؟ قال فى قوله : «ولكن رسول الله وخاتم النبيين (٣)» وخاتم النبيين غير رسول الله ، فقال له : هذه الواو ليست من واوات الابتداء ؛ وإنما هى من واوات العطف ؛ كقوله تعالى «هو الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكلِّ شئٍ عليم» (٤) فهل أحدٌ يوصفُ بهذه الصفات غير الله ؟ .

* * *

وأرسل عبد الله بن عمر المروذى فى طلب العلماء - مدَّ نبيهم وعراقبهم - فقال : أنى أمرتُ أن أناظركم فى قيام رمضان ، فإن وجبت لكم حجة رجعتنا إليكم ، وإن وجبت لنا رجعتنا إلينا . قال أبو عثمان : فقلت له : «ما محتاج إلى المناظرة ؟» فقال لى : «لا بد منها» ، فقلت له : «شأنك وما تريد» فقال : أستم تعلمون

(١) سورة : آل عمران ٧٩ - ٨٠

(٢) كذا بالأصلين

(٣) سورة : الأحزاب ٤٠

(٤) سورة : الحديد ٣

وتروون أن النبي ﷺ تسليماً ، لم يبق إلا ليلة ثم قطع ، وأن عمر بن الخطاب هو الذي استنَّ القيام^(١) ؟ وقد جاء في الحديث الذي تروونه وتروونه « أن كلَّ

(١) لم يسن عمر القيام ، وإنما سن الجماعة فيه حين رأى الناس أوزاعاً متفرقين في المسجد ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي غيره بصلاته ، ثم لما رأى الناس يخفون في قيام رمضان سن لهم أن يزيدوا عدد الركعات إلى ثلاث وعشرين . بعد أن كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة

فأما عن الأمر الأول فقد قال ابن التين وغيره : استنبط عمر ذلك من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم من صلى معه في تلك الليالي - وإن كان كره ذلك - فإنما كرهه خشية أن يفرض عليهم .

وكذا قال ابن بطال : قيام رمضان سنة ؛ لأن عمر لما أخذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما تركه النبي صلى الله عليه وسلم خشية الافتراض .

وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم القيام فقال : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . قال ابن شهاب الزهري : فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس على ذلك - أي على ترك الجماعة - ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر ، وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما .

وقد روى البخاري من طريق ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال :

خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون : يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : لئن أرى لو جهت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم . قال عمر : نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله .

وأما عن الأمر الثاني فقد كان استحساناً من عمر حيث رأى الناس يتخففون في القراءة بعد أن كانوا يقرءون بالثنتين ويقومون على العصى ، ولولا هذا لما استحسنت زيادة الركعات عند نة القراءة .

وفي تعليق ابن حجر على الاختلاف الوارد في عدد ركعات قيام رمضان قال : والجمع بين هذه الروايات يمكن باختلاف الأحوال ، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها ؛ حيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس .

راجع صحيح البخاري : كتاب الصيام : باب فضل من قام رمضان ٢٠٢/٤ - ٢٠٤ وما علق به ابن حجر في الموضع نفسه .

محدثه بدعة ؛ وكل بدعة ضلالة ؛ وكل ضلالة في الذر «^(١) .

فقلت له : هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عز وجل ويذم من تركها^(٢)

فقال : وأين تجد في كتاب الله عز وجل ؟ قلت : في قوله : (وَرَهْبَانِيَّةً

ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقًّا

١١٢١٢ رَعَايَتَهَا^(٣)) فنحن نأبر على هذه البدعة - التي هي رهبانية - لثلاثيذمنا / الله عز

وجل كما ذمهم .

فقال : « مَنْ صَلَّى الْقِيَامَ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ » .

قلت له « قد قلت لك هذا أولاً : ما تحتاج إلى المناظرة ،

فلم تقبل » .

(٣) رواه مسلم في كتاب الجمعة . باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢

وابن ماجه في مقمعة السنن : باب اجتناب البدع ١٧/١ كلاهما من حديث جابر

وأخرجه أبو داود في كتاب السنة : باب لزوم السنة ٢٨٠-٢٨١

وابن ماجه في المقدمة : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١٠/١-١٦ كلاهما من

حديث الرباض سار

وفي حديث الرباض : فليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها ، وعضوا عليها

بالتواجد وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ؛ وكل بدعة ضلالة » .

وهو صريح في أن ما يسه الخلفاء الراشدون بعيد عن نطاق البدعة ، بل واجب أن يعمل

به وجوب العمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) قال ابن حجر - في الموضع السابق - تعليقا على قول عمر « نعمت البدعة » :

البدعة أصلها : ما أحدث على غير مثال سابق ، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون

مذمومة ، والتحقيق أنها إن كانت مما يندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة وإن كانت مما

يندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبة وإلا فهي من قسم المباح ، وقد تنقسم إلى

الأقسام الخمسة .

(٥) سورة: الحديد ٢٧ .

﴿ قلت ﴾ : يريد أنه - عليه السلام - إنما لم يتبادر دلي القيام ؛ لثلا يفترض على أمته ، وبموته أمن من ذلك ، فأقامه عمر للأمن من ذلك .

قال المالكي : وقال له أبو عبيد الله الشيعي : « من أين قلم بالقياس ؟ » .

فقال له أبو سعيد : « قلنا ذلك من كتاب الله عز وجل » .

قال : فأين تجد ذلك ؟ قلت : قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ) .^(١)

فالصيد معلومة عينه ، والجزاء الذي أمرنا أن نمثله بالصيد المعلوم وعينه - ليس بمنصوص ، فعلمنا بذلك أن الله تعالى إنما أمرنا أن نمثل ما لم يُنصَّ ذِكْرُ عينه : بالقياس والاجتهاد . ومنه قوله عز وجل : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾^(٢) فلم يَكاهُ إلى حاكم واحدٍ حتى جعلهما اثنين ؛ ليقيسا ويجتهدا .

ثم عطف على أبي الأسود : موسى بن عبد الرحمن القطن فقال له : أين وجدتم حدَّ الخمر في كتاب الله عز وجل ؟

فقال له موسى : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم تسليماً :

من شربها فاضربوه بالأردنية ، ثم إن عاد فاضربوه بالأبدى ، ثم إن عاد

(١) سورة المائدة : ٩٥

(٢) ليست في م .

خَرُّوْ بِالْجُرَيْدِ (١)

فقال له أبو عبد الله - على النكير منه - إيش هذا؟ أقول لكم أين وجدتم
حدّ الخمر في كتاب الله تعالى تقول: اضربوه بالأردية ثم بالأيدى ثم بالجريد؟
قال أبو عثمان: «فقت له: إنما أخذ قياساً على حد القاذف؛ لأنه إذا شرب سكر،
وإذا سكر هذى (٢)، وإذا هذى افتري، فوجب عليه ما يشول أمره إليه - وهو
حد القذف -» (٣).

فقال لموسى القطان: ألم يقل رسول الله ﷺ تسليماً: «وأقضاكم على؟» (٤).

(١) لم نجد الحديث هكذا

وقد أخرج الحثمة الاللسائي عن أنس رضى الله عنه قال: ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر رضى الله عنه أربعين .
وفي رواية للترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلده
بجريدة نحو أربعين، وفعله أبو بكر، فلما كان عمر رضى الله استغار الناس، فقال عبد الرحمن
ابن عوف: أخف الحدود ثمانون، فأصر به عمر رضى الله عنه .
وأخرج مسلم وأبو داود عن علي رضى الله عنه قال: جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أربعين؛ وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين وكل سنة
وأخرج أبو داود والنسائي عن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:
من شرب الخمر فاجلدوه لى الرابعة فاقتلوه .
وفي رواية لأبى داود، من حديث قبيصة بن ذؤيب أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى
برجل شرب الخمر فجلده، ثم أتى به فجلده، ثم أتى به فجلده، ثم أتى به فجلده - ورفع القتل،
وكانت رخصة .

(٢) ليس في ت

(٣) أخذ هنا مما أخرج مالك في الموطأ بسنده عن ثور بن زيد الديلى أن عمر رضى الله
عنه استشار في حد الخمر، فقال له على: أرى أن تجلده ثمانين جلدة فإنه إذا شرب سكر الخ
فجلده عمر رضى الله عنه ثمانين جلدة في حد الخمر

(٤) للحديث روايات كثيرة منها ما أخرجه الطبرانى من حديث جابر صرفوا «أرحم أمتى
بأمتى أبو بكر و أرفق أمتى لأمتى عمر، وأصدق أمتى حياء عثمان، وأفضى على أمتى على بن
أبي طالب؛ واعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل الحديث

فجعل موسى يقص عليه الحديث «... وأعلمكم بجلال الله وحرابه معاذ [وأرحمكم بأمتي^(١)] أبو بكر، وأشدكم في دين الله عز وجل عمر» .

قال له الشيعي : فكيف يكون أشدكم في دين الله عز وجل وقد هرب بالراية يوم حنين؟ فقال له موسى : ما سمعنا بهذا ولا نعرفه : قال أبو عثمان : «تحييز إلى فنة كما أنزل الله عز وجل «إلا متحرراً لقتال أو متحييزاً إلى فنة» فمن تحييز إلى فنة - كما أمر الله عز وجل فليس بقار» .

فمال بوجهه إلى بعض أصحابه فقال : «اسموا ما قال الشيخ ، قال : انجاز إلى فنة كما أمر الله عز وجل ، فقال - مجيباً ، وهو يشير بيده - وأى فنة أكبر من رسول الله ﷺ تسلياً؟ - وكأنه تخافت في كلامه ويسمع من يليه (٢) - .

= ومنها ما أخرجه الترمذي من حديث أنس مرفوعاً : «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأفرضهم زيد ابن ثابت ، وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل ، ألا وإن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح

وقد عقب الترمذي عليه فقال : هذا حديث حسن صحيح وراجع كتاب المناقب : باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي ، وأبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم ٦٦٥/٥ وانظر كشف الخفاء ١١٧/١ - ١١٩ فقد تحدث عن طرق الحديث ورواته جميعاً .

١ (١) ما بين القوسين ليس في ت .

(٢) هنا قص نخل بالمعنى يظهر من مقابلته بما نقله الحشني ص ٢٠٠ في الطبقات : قال : وأى فنة أكثر من النبي وقد كان حاضراً ولم يتحييز إليه ؟ ، فقلت : جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : عمر فنته ، ومن تحييز إلى عمر فقد تحييز إلى فنة ؟ فسكت ، فحركة بعض أصحابه ، وقال : ألا تسمع ما يقول هذا الشيخ ؟ فقال : صدق أو نحو هذا من القول سمعتها أنا منه ، ومن كانت يليه .

فالذي تخافت فيه الشيعي هو لفظ التصديق على الحديث الناقص من الأصل ، لا في اعراضه بقوله : وأى فنة أكبر ... الخ

(م - ٢٠ معالم الإيمان)

قال الشيخ أبو عثمان: ودخلت على أبي العباس أخيه، فأجاستني معه في مكانه وهو يقول - لرجل، ممن ينتسب إلى العراقيين: « أليس العالم أفضل من المتعلم أبدا؟ » والعراقي يقول له (١): « نعم! » وكرر ذلك ثلثيه، وهو يقول له: نعم! قال أبو عثمان: سعيد: ففهمت مراده، ومقصوده بذلك تأكيد الطعن على أبي بكر: رضى الله تعالى عنه - في سؤاله عليًّا - رضى الله تعالى عنه - عن فرض الجدة، فقلت: « إني أسمع كلاما يجب لله على أن لا أسكت » قال: « وما ذاك؟ » قلت / له: « المتعلم يكون أعلم من المعلم أبدا ويكون أفضل منه! » قال: وما دليله؟ قلت: قال رسول الله ﷺ تسليما:

١١٣:٢

« رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ (٢) غَيْرِ فِقْهِهِ . »

وآخر: ما هو متعارف، وهو أن المعلم يعلم الصبيان القرآن، فلا يزال يعلمهم حتى يكبر الصبي، فيعطى الله عز وجل الصبي من الفهم بتمام القرآن وخاصه وبظاهره وباطنه - ما لا يقدر المعلم على علمه أبدا .

فقالى لى: اذ كر من خاص القرآن وعامه شيئا .

(١) ليست في ت

(٢) للحديث طرق صحيحة منها ما أخرجه البخارى في العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رُبَّ مَبْلَغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ ١٤٥/١ من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه، وفيه: ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه ومنها ما أخرجه الترمذى في كتاب العلم: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٣٣/٥ - ٣٤ من حديث زيد بن ثابت مرفوعا: نضر الله امرأ سمع منا حديثا حتى يبلغه غيره قرب [حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه .

قال الترمذى: حديث حسن

قلت : قال الله عز وجل « وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ »^(١) .

ويحتمل أن تكون هذه الآية أراد بها عاما فلما قال الله عز وجل « اليومَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ »^(٢) « علنا بهذه الآية أن مراده في الآية الأخرى^(٣) خاص دون عام ؛ أراد : وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ غَيْرَ الْكِتَابِيَّاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ .

قال : « وَمَنْ الْمُحْصَنَاتُ ؟ » قلت : « الْعَفَافُ » ، قال : « الْمُحْصَنَاتُ :

الْمُتَزَوِّجَاتُ » .

قلت : « الإحصان في كلام العرب - التي بلسانها نزل القرآن : الإحراز ؛ فكل من أحرز شيئا فقد أحصنه » .

قال إيمان : الإحراز ؛ يُحْرَزُ دَمٌ صَاحِبِهِ وَمَالُهُ وَبَنِيهِ ، رَهُو يَحْصِنُهُ .

والعتق يحصن المملوك ؛ لأنه يحزره عن أن يجرى عليه ما يجرى على المالك .

والتزويج يحصن الفرج ، لأنه أحرزه من أن يكون مباحا مثل ما كان له

قبل التزويج .

(١) سورة البقرة : ٢٢١ .

(٢) سورة المائدة : ٥ .

(٣) ت : « علنا أن مراده بهذه الآية أن مراده في الآية الأخرى » .

فالعفاف : إحصان الفرج ، لأنها أحصنت فرجها بالعفاف .

قال : ما يكون الإحصان عندي إلا التزويج ، قلت : منزل القرآن يأتي ذلك ، قال الله عز وجل ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (١) يريد أعتته ، قال : أعتته ؟ قلت : نعم أعتته وقال ﴿ مَحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ ﴾ (٢) عفاف غير زوان ، قال : فقد قال في الإمامة : ﴿ فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفٌ مَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (٣) فكيف جعل العذاب على المحصنات وهن عنده قد يكنن عفاف ؟ .

قلت : سماهن بتقديم إحصانهن قبل زناهن قال تعالى : ﴿ وَالَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾ (٤) وقد انقطعت العصمة بالموت .

* * *

وكان رضى الله عنه لا يدخل على السلاطين ، ولا يسير إلى الشيعى حتى يوجه إليه ، ولما بعث فيه وفي أصحابه ودخل عليه قال : أين أصحابك ؟ قال : ﴿ هم أولاء على أثرى ﴾ وتكلم معه يوما ، فغضب عليه من كلامه رجل من كتابه يعرف بأبي موسى شيخ المشايخ وقام إليه بالرمح ؛ فمنعه أبو عبيد الله من ذلك ، ثم عطف على أبي عثمان وقال له : يا شيخ لا تغضب (٥) أتدرى إذا غضب هذا

(١) سورة التحريم : ١٢

(٢) سورة النساء : ٢٥

(٣) سورة النساء : ٢٥

(٤) سورة النساء : ١٢

(٥) التقدير : لا تغضب هذا بصيغة الفعل المتعدي .

الشيخ يعضب يعضبه اثنا عشر ألف سيف؟ فقال له أبو عثمان: ولكني أنا يعضب
لعضبي: الله الواحد القهار الذي أهلك عادا وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين (١)
ذلك كثيرا.

وقال أبو الأسود: / موسى القطان: لو سئمت سعيد بن محمد في تلك المحافل ١١٤:٢
يعني مناظرته للشيعة - وقد اجتمع له جهازة الصوت، وفخامة المنطق، وفصاحة
اللسان، وصوابة المعاني - لتمنيتم أن لا يسكت .

* * *

وذكر أن الشيعة قال للصقلى: « إذا اجتمع الناس فأئذن لهم بالدخول على » ،
فلما جاء سعيد بن الحداد أذن له في الدخول ، فلما دخل قال للصقلى: « ألم أقل لك
إذا اجتمع الناس فأئذن لهم ؟ » فقال له الصقلى: « هذا هو الناس كلهم ! فأنا (٢)
فعلت ما أمرتني به » وإنما فعل ذلك الصقلى ؛ لما أعجبه من كلام سعيد رحمه
الله تعالى .

وكان الصقلى مسلما ثم قتله الشيعة بعد ذلك ؛ لمدحه سعيدا .
قال أحمد بن موسى: سمعت سعيدا سنة تسعين ومائتين - وقد خوف بشيء -
قال: الثقة بالله لمن قام بحجج الله .

وخوفه ولده بمباينته للشيعة أول دخوله ، فقال له: يا بني حسبي من له
غضبت ، وعن دينه ذيت .

وقال له الشيعة أبو العباس: « يا شيخ إنك تطيل جدا » فقال: « ها أنا
أطيل . فلا يفهم عنى فكيف لو قصرت ؟ » .

(١) ت: « بعد »

(٢) ت: « فإذا »

(ذكر إجابة دعائه رضى الله عنه)

قال التميمي : قال أبو محمد : عبد الله بن التبان : « عرض لأبي عثمان : سعيد بَلِّغْهُ أَمَالَ وَجْهَهُ ، فقال : « يا جارية ناوليني المرأة » ، ونظر في وجهه ، ورمى بالمرآة ، وقام وتوضأ وصلى ركعتين ، ثم قال : « اللهم بجرمة الإسلام الذي بُسِطَ به لحي ودي إلا ما رددتَ عليّ ما عودتني من فضلك وإحسانك » ، ثم رفع المرآة فإذا وجهه على أحسن ما يكون .

وقال بعضهم : بينما أبو عثمان : سعيد جالس في أسطوانته إذ مرَّ به صاحبُ المحرس ، فنظر إليه - وحوله جُلساؤه - وزال عنه ، فقال بعضهم : « إنما مرَّ إلى العامل ليخبره خبرك ، واجتماع الناس عندك » ، فجعل أبو عثمان يستعيز بالله من شره ، فلما أمسى الليل أتاه الخبر : أن صاحب الرِّبْس أتى العامل فأخبره بشيء ما ندرى ما هو ، فأمر العامل أن يضرب وسطه بالسيف فوق نصفين ! فشكر الله أبو عثمان على كفايته .

* * *

(ذكر زهده رحمه الله تعالى)

قال الماسكي : كان رحمه الله تعالى متمتلا من الدنيا في ابتداء أمره ، حتى كان إذا باضت دجاجة في داره فرحوا لذلك لأنهم يشترون بها بَقْلًا ، وكانت كسوته حينئذ بعشرين ديناراً ، وكانت له همة يتيه بها على أهل الدنيا

ويلبس لباس الشرفاء للتيه في أعين الأعداء ؛ يعنى - عبيد الله وشيعته .

وكان متقلدا في أكله حتى إنه ورث من أخ له مات بصقلية أربعائة دينار - أغانه عليها الأمير إبراهيم بن أحمد - فلما وصلت إليه هدم داره وبنائها ، وأنفق فيها مائتي دينار ، واشترى بخمسين دينارا كسوة ، واشترى بخمسين دينارا : فرسا ونارا وما يصلح للاستخدام من الأواني / وغير ذلك ، وبقيت معه مائة ١١٥:٢ دينار ، فعاتبه بعض إخوانه على محقه الدنانير ، فقال لهم : «علمتُ ما يعملهُ أكبرُ الرجال وعقلاؤهم :

أما بناء الدار فلإنما راحة المرء في داره .

وأما الكِسوة فهي نظرة في المعيشة ؛ لأنه إذا كان عند الرجل ثوبٌ واحدٌ : هلك في أقرب مدة ، وإذا كان عنده جملة من الثياب ، بقيت عنده مدة من الزمان .

وأما المائة الباقية فأى شيء يفنيها ؟ وأنا إنما آكل من الجمعة إلى الجمعة . رطل لحم نجعل عظامه في ليلة وشرايحه في ليلة ، ثم نأكل في الليلة الثالثة : حريرة (١) ، وفي الليلة الرابعة : سلق وحمص ، وفي الليلة الخامسة : سلق وإسفنارية ، وفي الليلة السادسة : سلق وفول ، وفي الليلة السابعة لحم .

(١) قال في النهاية ٢ : ٢٨

الخريرة : لحم يقطع صفاراً ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق ، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة ، وقيل : هي حسا من دقيق ودسم ، وقيل : إذا كان من دقيق فهي حريرة ، وإذا كان من نخالة فهي خريرة .

وما هنا بالماء والرأء

وهذا القمل من أبي عثمان قناعة وتدير في المعيشة ، قنع بما في يديه عن الناس .

وكان يحض على القناعة ويرغب الناس فيها ويقول : القناعة غنى .

وقال : قدمت من طرا بئس فكنت في رقعة فيها سبعون حِلاً برباً من صدادف البصرة ، وجميع ما في الرقعة من الجمال والأحمال والأعوان لرجل واحد ، هو فيها معنا راكب على حمار محزم الوسط بمنطقة ، وكان يستظل بظل محملي - يقال له أبو عوانة - فقال لى يوما : يا أبا عثمان ما يقول أصحابكم أصحاب الحديث - في القناعة ؟ يقولون القناعة^(١) غنى ، لأنه إن قنع بما في يديه استغنى عما في يدي غيره ، لكن أصحابنا السدادين^(٢) يقولون القناعة فقر ؛ لأن من تقنع لا يطلب ، ومن لم يطلب لا يكسب ، ومن لم يكسب فهو فقير ، فسكت عنه ولم أكله ، فدخل القيروان وباع واشترى أحمالاً ثلاثين وكلها مائة ، ثم توجه فلم أسمع له خبراً ، فلما ذكرت خبره لبعض من يتوجه إلى تلك الناحية قال لى : يقال إنه نزل في بعض الرمال فأسفت عليهم الريح فدفنتهم أجمعين ! فوقع في نفسي أنه عوقب بما قال في القناعة .

ومن كلامه : دليل الضبط الإقلال ، ودليل النقص الإكثار .

(١) ليست في ت .

(٢) في تاج العروس ٣٧٤/٢ : التسديد للإبل : تيسيرها لكل مكان فيكون المراد : الجمالين .

ذكر شيء من حكمه رحمه الله تعالى

قال المالكي: كان الشيخ أبو عثمان بن الحداد رحمه الله تعالى يقول: «تقديم من أخره الله، وتأخير من قدّمه الله: فتنة في الأرض، وفساد كبير». وكان يقول: «سل ربك العافية من بلاء يضطرّك إلى معصية». وكان يقول: «إنما هودين أو مروءة فمن عرى منها فقد عرى من كل خير». وكان يقول: «التقرب من السلاطين - في غير هذا الوقت - حتف من الحتوف، فكيف به في هذا الوقت؟».

وقال: «إيس كل ذنب يجب فيه العفو، ولا كل حالة يجب فيها الحلم». وقال: «ما ينبغي للانسان أن يضيع مكسبه، ولا يسرع يده فيما يملك لو لم يتماسك بالفور - وإلا اشتمت الأعداء - لتلا يحتاج الإنسان إلى غيره». وكان يقول: «القلب الحى كاللحم الحى، اليسير يؤله. والقلب الميت كاللحم الميت، الكذير لا يؤله».

* * *

ذكر بقية أخباره رحمه الله تعالى

قال التجيبي: قال أبو محمد: عبد الله بن التبان: سئل أبو عثمان: سعيد عن قول ١١٦: ٢
الله عز وجل «وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ»^(١) فقال: مذاهب العرب يحملون الليلة

صابقة اليوم ، ومذاهب العجم يجعلون اليوم سابق الليلة .

قال أبو بكر : فسألت عن هذا : المؤدب ابن عامر الكفيف النحوى وأبامحمد الحارثى ، فقالا مثله .

﴿ قلت ﴾ : معنى فعلى الأول تكون « لا » زائدة ، وعلى الثانى تكون « لا » نافية والله تعالى أعلم .

قال شيخنا البرزلى ، رحمه الله تعالى : وسئل الشيخ أبو عثمان عن قوله عز وجل : (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (١) فقال : يتقى للزنى ، ويصبر على العزبة (٢) .

وسئل عن الاستغفار فقال : هو عبارة عن الرجوع إلى الله ، أى رجعت نادما ليغفر لى .

وسئل عن الإسلام فقال : هو الانقياد ، والإيمان : هو التصديق .

* * *

﴿ قال ﴾ : قال أبو الحسن : على بن نصر : حدثنى أبو عاصم قال : كان فى زمن الشيخ أبى عثمان بن الحداد رجل من الخوارج يقال له نصر بن زوراغ - وكان مغاليا فى مذهبه - فكان لا يذكر أباء عثمان إلا تنقصه ونال منه ، ولم يكن رآه قط ، ولا سمع كلامه ، ولا عرف موضعه ، ثم نزاع عن ذلك ، وتاب منه ؛ فسئل عن سببه ؟ فقال : رأيت فى النوم كأنى أمشى فى زقاق لا أعرفه ، إلى أن بلغ بى الزقاق إلى درب ،

(١) سورة يوسف : ٩٠

(٢) لست أدرى لم يريد أنت يفصر التقوى على هذا المعنى ؟

فدخلت الدَّرْبَ فإذا أنا بمسجد محتفل بالناس ، وفي محرابه شيخ جالس يتكلم على الجماعة ، وكلما تكلم بكلمة يخرج^(١) من فيه نور يملأ المسجد ! فعجبت مما رأيتُ ، ومن ذلك النور الخارج من فيه ، فاستيقظتُ ، فأصبحتُ مشغولَ السرِّ بالرويا ، ثم خرجتُ أمشي في بعض مآربى ، فما شعرتُ حتى أفضى بي السير إلى الزُّقاق الذى كنتُ رأيتُهُ في منامى بعينه ، ثم أفضى بي الدَّرْبَ على هيئة ما كنتُ رأيتُهُ ، وإذا بالمسجد وفيه ملاً من الناس ، فوقفْتُ على بابه وإذا بالشيخ جالسٌ في المحراب - حسبما كنتُ رأيتُهُ ، وإذا هو سعيدُ بنُ الحداد والطلبة حوله ، فتخطيتُ رقابَ الناس حتى جثوت بين يديه ، فسَلَّمْتُ ، فرد علىَّ السلام وقال : « أراك نصر بن زوراع ؟ » قلتُ : نعم - ولم يكن رآنى ولا رأيتُهُ قبل ذلك - فقال : « ما الذى جاء بك ؟ » قلتُ : « جئتُ تائباً مما كان يبلعك عنى ، فاعف عنى عفا الله تعالى عنك » قال : « عفا الله عنك ، وغفر لك ، فقمْتُ إلى الشيخ فقبلتُ رأسه ، وجلستُ مع الطلبة ، فما كان أحد عندى يعدله في الحجة والفضل » .

وتوفى أبو عثمان في رجب سنة ائمتين وثلاثمائة^(٢) ، وكان مولده سنة تسع عشرة ومائتين .

﴿قلت﴾ : ويقال سبع عشرة .

وذكر أنه لما ماتَ خرَّجَ البريد - سَجْرًا - يبشِّرُ أميرَ بنى عبِيد ، ورثى بأشعار كثيرة .

﴿قال﴾ : ودفن بيباب سلمٍ ، وقبره ظاهر معروف يُزار .

(١) ت : « خرج » [

(٢) مرآة الجنان ٣/٢٤٠

ومهم :

١٥٩ ● (محمد بن فرج بن البنا البغدادي)

مولى آل الأغلب رحمه الله تعالى (١)

١١٧:٢

كذا قال ؛ متبعا للتجيبى فى قوله : أبو على بن البنا محمد بن فرج مولى آل الأغلب .

ومثله للعوانى ، وهو وهم ؛ تقول أنى بكر المالكى : أبو على : عبد الله بن محمد ابن الفرغ المعروف بابن البنا وتبعه عياض .

(قال) : كان قتيها بارعا فى علم القضاء والأحكام ، لم يكن فى عصره أعلم منه بفنون ذلك ، وكان ثقة عدلا فى أحكامه ، كتب للقاضى ابن طالب وبه انتفع ، ثم كتب لعيسى بن مسكين وكانت له جلالة .

(قلت) : فيه بتر من وجهين :

أحدهما : أنه كان متفنا فى علوم شتى ، صرح به المالكى .

الثانى : أنه كان قتيه البدن ، صرح به التجيبى - ويعنى به أنه كان طيبا - ولفظه : كان قتيه البدن ، بارعا فى علم القضاء لم يكن فى عصره أعلم منه بفنون القضاء والأحكام ، متفنا عدلا فى أحكامه .

(١) ترجمه الديق هنا .. تبعا لأصله : العوانى والتجيبى ، كما ترجمه المالكى فى الجزء

الذى لم يطبع - بعد - وترجم له الحشى باسم حسن بن البنا ١٦١

فأشار بقوله : « متفتنا » أى فى علوم شتى ، لا أنه راجع لما قبله ؛ لأن التأسيس أولى من التأكيذ ، مع أنه منصوب لمن ذكر .

قال ابن حارث : « وولاه إبراهيم قضاء قسطنطينية ، ثم عزل - وكان ذلك قبل كتابته لعيسى بن مسكين ^(١) - .

﴿ قلت ﴾ : وقسطنطينية قاعدتها توزر وسائر بلاد « ققيوس » « وحة البهاليل »
« ونقطة » « وتامغزا » « والقرى » .

قال المالكي : قال أبو عبد الله بن الخراط : لما ولاه إبراهيم قضاء قسطنطينية سأله إسلاف أموال اليتامى فأبى عليه ؛ فحقد عليه لذلك ، فسمع بذلك أهل قسطنطينية فرفضوا عليه البنى عند إبراهيم حتى عزله ، بعد أن كان له مع جماعة من وجوه البلد قضية عجيبة ، وذلك أنه قدم البريد إلى عامل البلد بعزله وتخشيبه ورفضه إلى حبس رقادة ، فأبى العامل عليها غائباً وكاتبه فى مكانه جالس ، فقال الكاتب للبريد ^(٢)
« ما الذى جئت به فى هذا الكتاب ؟ » قال : « بعزل ابن البنا وتخشيبه ورفضه إلى حبس رقادة ، فأرسل بالبشرى ^(٣) إلى القوم الذين كانوا لآخوه ^(٤) ، وبسببهم نزلت به النازلة ، فأتوا سراً إلى دار العامل ، فاخبروا ذلك ، فصح عندهم ما أبى

(١) فى الطبقات : وولاه إبراهيم بن أحمد قضاء قسطنطينية ، فرض له فيها مثل الذى عرض لموسى الطعان مع أهل طرابلس : سعوا به ، وحطبوا فى حبله ، ورفضوا عليه البنى عند إبراهيم حتى عزله وعزل له ... الخ

(٢) ت : « لليزيد »

(٣) ت : « بشيرا » وما أئبناه هنا ، وافقنا عند الحشى .

(٤) ت : « لاغوه » وما أئبناه موافق لما فى الطبقات .

به البريد ، فاستخفهم ذلك إلى أن قالوا : نسير إليه في مجلس قضائه ففشتمه ونسفى صدورنا منه ، فاتوه في مجلس قضائه - ولا علم عنده بما أتى من عند الأمير - فصبوا عليه من قوارع السب ^(١) ما أحبوا ، فلم يشكَّ ابنُ البنا أنه لم يجسروا عليه بذلك إلا وقد أيقنوا بعزله ، ونظر إلى نفسه ، في مجلس قضائه لم يصل إليه العزل ، فقال : مَنْ ها هنا من الأعوان ؟ فابتدروهم فأمرهم بإمساكهم ثم عصبهم إلى العمود رجلا رجلا فضرب كل واحد منهم ضربا وجيعا ^(٢) ، ونكَّلَ بهم جميعا ، وأمر بتقييدهم في الحديد ، وأمر بإيداعهم الحبس ، فساعده القدر فيهم قبل أن يقدم العامل حتى نَقَدَ فيهم ما أحبَّ ، ثم أتى العامل بأثر ذلك ، فأرسل إليه فأوثقه ، وأرسله إلى رُقادة ، فلما قدم إلى رُقادة تولى مناظرته - بين يدي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله ابن عبدون القاضي ^(٣) فأبان ابن البنا عن نفسه ، وكشَّفَ عن الشُّبُه / المرفوعة عليه ، فرفع إبراهيم رأسه إلى بلاغ الفتى ، وقال له بالصقلية : إنى أرى هذا الرجل - يريد ابن البنا - يستحق أن تُنزعَ قلنسوة القاضي - يعنى ابن عبدون - وتُجَلَّ على رأسه ، ثم بعد ذلك ضمَّه إلى كتابة القاضي عيسى بن مسكين رحمه الله ؛ لطاب عيسى ابن مسكين .

١١٨:٢

* * *

وقال المالكي : « وأودعه عيسى بن مسكين ودائع ، ثم طرأت شدة عظيمة ،

(١) م : « السب » وهو تحريف .

(٢) ت : « شديدا » وما أثبتناه موافق لما في الطبقات .

(٣) الطبقات : « إبراهيم بن أحمد بن عبدون »

فقيل لعيسى بن مسكين : « ذهبت ودائع الناس من عند ابن البنا » ، قال : « ولم ؟ »
قيل : « رأيناها يقطع الميتة ! » فوجه إليه عيسى في إحضارها فأحضرها ، فقال له عيسى
ابن مسكين : تأكل الميتة وهي عندك ؟ قال : « نعم ؛ لأن الميتة أحلت لي مع
الاضطرار ، ولم يحل لي أن أخون أمانتي ! » فقال له : « ارجع بها » ، فقال له :
« والله لا رجعت إلى » ، وامتنع من قبولها ، وأسلمها إليه .

وتوفى ابن البنا - سنة ثلاث وثلاثمائة ، ومولده سنة خمس وثلاثين ومائتين -
﴿قلت﴾ : فكانت وفاته أول دولة بني عبيد .

ومنهم :

● ١٦٠ ﴿ أبو عبد الرحمن ^(١) : دحمان بن معاني ﴾

السيوري رحمه الله ^(٢)

﴿قال﴾ : سمع من محمد بن سحنون ، ومحمد بن عبدالحكم ، وحمزة بن مالك
ابن حمزة بن فروة الأسلمي .

روى عنه محمد بن عمر الحلاج ^(٣) ، وزياذ بن يونس السيوري .

(١) ت : « أبو عبد الرحمن بن معاني »

(٢) ترجم له ابن حارث ترجمة مختصرة في الطبقات ١٦٢ ، وذكر أنه توفي في صدر دولة
عبيد الله .

(٣) ت : « الحلاج » وهو تصحيف . راجع ترجمته في ترتيب المدارك ٣٥٧/٣

﴿قلت﴾ : هو لَفْظُ التَّجِيبِي .

﴿قال﴾ : وكان فقيهاً صالحاً ثقة عالماً .

﴿قلت﴾ : في كلامه بتر ؛ لزيادة التَّجِيبِي : فقيه البدن

ومنهم .

● ١٦١ ﴿ أبو القاسم : حماس بن مروان بن سماك ﴾

المدائني القاضي الزاهد^(١)

﴿قال﴾ : هو من أصحاب محمد بن عبدوس ، وسمع من سحنون وهو صغير ، ومن

ابن عبدالحكم بمصر^(٢) .

﴿قلت﴾ : هذا الكلام يوم أنه لم يسمع من غيرهم ، وليس كذلك ، بل قال

التَّجِيبِي : بل سمع من جَبَلَةَ وغيره - من شيوخ المشرق .

قال غيره : ويقال إنه لم يكمل على سحنون سَمَاعَ المدونة ، وقيل : بل بقى عليه

منها كتاب النكاح فقط .

قال أبو العرب : ذم من الناس ، قال التَّجِيبِي عنه : قال محمد بن عبد الحكم :

ولقيتُ الناسَ فرأيتُ رجلين : فقيه غير محدث ، ومحدث غير فقيه ، خلا عبد الله

ابن وهب ، فأني رأيتُهُ محدثاً عابداً ، وسمعتُ سحنون يقول من أخذ بفتيا مالك

فما ترك من الورع شيئاً .

(١) ترجمة الحشني في الطبقات (١٥٣) وابن فرحون في الديباج ١٠٨

(٤) ليست في ت .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

﴿ قال ﴾ : كان رحمه الله عدلا في أحكامه ، صُلْبًا في قضائه ، إمامًا هُدَى ،
الغالب عليه الزهد والورع والتشُّف ، لم يكن يهاب سلطانا في حق ! .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بَترٌ ؛ لزيادة التَّجِيبِي : صاحب حجة ونظر واستنباط .

﴿ قال ﴾ : وقال بعضُ الشُّيوخ : اجتمعت في حمَّاس خِصالٌ أربع / قلَّ ٢ : ١١٩
أن تجتمع في رجال سحنون : الفقه الكثير ، والورعُ الجيد ، والعبادةُ ، والزهدُ .
﴿ قلت ﴾ : وقال ابن حارث : كان أفتة أصحاب محمد بن عبدوس وأفته أهل
القيروان ، عالما أستاذًا حادقًا بأصول علم مذهب مالك وأصحابه (١) ، جيِّدَ
الكلام عليه ؛ حتى لقد قال القائل : كان الاسم في ذلك الوقت ليحيى بن عمر ،
والفقه لحماس .

وقال بعضهم : لما دخل حماس حلقة ابن عبد الحكم بمصر - وابن عبد الحكم
لم يعرفه - فتكلم حمَّاس ، فصرف ابن عبد الحكم إليه وجهه ، ثم زاده في
الكلام ، ثم سأله ابن عبد الحكم عن مسألة من الجراح (٢) فأجابه ،
ثم سأله عن أخرى فأجابه (٣) ، فقال ابن عبد الحكم : « يمكن أن تكون

(١) التي في الطبقات : « واظب على محمد بن عبدوس ، فانتفع به ، وكان من بعد -
عالما أستاذًا حادقا بأسباب مالك وأصحابه ، يحكى في معانيه ابن عبدوس ... الخ
(٢) ت : « من خارج من الجراح »

(٣) في الطبقات : « فسأله ابن عبد الحكم عن مسألتين في الجراح ، فأجابه ، ثم سأله عن
الفرق فأجاب وجود ، فقال له ابن عبد الحكم : يذني أت تكون حماس ... الخ

حماس بن مروان ؟ » قال : « نعم » فعاتبه ؛ إذ لم يقصد إليه ، ثم قرأه
وأكرمه .

* * *

(ذكر زهده وتواضعه وعبادته واجتماعه بالخصر)

عليه السلام

﴿ قال ﴾ : قال مسرّة بن مسلم : كان لحماس ولد من الأبدال اسمه « سالم »
قال لي : الليلة التي ولى فيها حماس القضاء رهنّ الفأس في خبز وزيت .

وقال أحمد بن نصر : كان أكله الشعير ، ويشترون منه بقلّاً ، وربما كان البقالون
لا يأخذونه لرائحة المطر فيه ، فيعملون منه دشيثا يجوّزون به خبز الشعير .
ووجد بعض الحجاب في سقيفة حمّاس قطعة فضة ؛ فسأل عنها حماسا فقال :
ما يملك حماس ولا آل حماس صُفراً ولا بيضاً ، وإنما يجيئنا شعير قديم من البادية
منه أكلنا ، وشراه بقلنا .

وقال أحمد بن نصر : قال لي حماس : لقد كنا نوجه الشعير ليُشترى لنا به
البقل نطبخه ؛ فكسد الشعير ونقدّ البقل ؛ فصرنا نثرّد الشعير بالشعير .

وقال أحمد بن نصر : رأيت في يوم جمعة يقوم ويقعد ويختلف ، فقلت له :
أصلحك الله أيّ شيء أخبرك ؟ فقال : عندنا شعير أخذته رائحة المطر ، ليس
يأخذ البقالون ، نعبجن منه دشيثا نثرّد فيه من خبزّه .

ورأيت البارحة خبزاً شعيراً أخرج من القرن ؛ فبكيته ، وتذكرت في بيوت

أزواج النبي ﷺ ليس فيها شيء وأنهم طالما اشتاقوا إليه (١) ، وقد أكلته فأصابني منه اختلاف (٢) فهذا أقوم وأقعد .

وروى أنه أقام رجل يراعى خرقاً في قميص حماس ، والقرو يظهر منه ، جُمعات كثيرة ، فقال له الرجل : أصلحك الله هذا خيط من أصله كذا ، ائذن لي أن أخيط لك ، قال : يا أخي لهذا الخرق سبع عشر سنة ما ضرنا بشيء ! ؟
ولما توفي حماس قال لهم : بيعوا من كتبي ما تكفنونني به .

﴿ قلت ﴾ : ذكر جميع ذلك التجبي ، وذكر الجمعة قرينة في أنه إنما

(١) اخرج البخاري في كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ٢٤٣/١١ - ٢٤٦ من حديث عائشة رضی الله عنها :
« ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض »

ومن حديث انس رضی الله عنه :
« ما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم رأى رغيفاً سرفقاً حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطة بعينه قط »

ومن حديث عائشة رضی الله عنها :
« كانت يأتي علينا الشهر ، وما نوقد فيه ناراً ؛ إذ هو التمر والماء إلا أتت نوقد بالبحيم » ،

وقد قالت لعروة بن الزبير :

« ابن أخي . ان كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أيات رسول الله عليه وسلم نار ، فقلت : ما كان يمشيكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء إلا أنه قد كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كانت لهم منافع (نوق بمنوح لبنها) وكانوا يمنعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أياتهم فيسقيناه »

(٢) إسهال ينشأ عنه اختلافه إلى المرض .

كان يلبسه يوم الجمعة فقط ، فلماذا بقي المدة المذكورة ، وأراد بقوله من أصله كذا: أى من الحليّة .

﴿ قال ﴾ : وكان حمّاسٌ من تواضعه وزهده يفتح القناة^(١) ، ويكسر الحطّابَ على باب داره ، والناس حوله يختصمون إليه ، ويسألونه .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التّجيبى ، وهذا لما كان التّعظيم بالدين ، وفي زماننا هذا^(٢) لو عمله قاض لازدروّه / ولم تمس له بعض الأحكام ، فالتواضع للقاضى مطلوبٌ ؛ حيث لا يُزرى بخطة القضاء ، وقد فعلت من التواضع ما تأتى لى بحزيرة جربة ؛ لأن ذلك لا يزرى بخطة القضاء عندهم ؛ لأهمّ برابر^(٣) كلبادية ، بخلاف غيرهم كأهل «باجة» ، وقد قال الشيخ شهاب الدين القرافى رحمه الله : من البدع المندوب إليها صون الأئمة والقضاة والولاة بالملايس والمراكب ، وهو خلاف ما كانت عليه الصحابة ؛ فإن التّعظيم فى الصدر الأول كان بالدين ، فلما اختل النظام وصار الناس لا يُعظّمون إلا بالصون^(٤) كان مندوبا حفظا ؛ لنظام الخلق .

وأراد رجل أن يبنى دُكّانةً على باب داره فمنعه جاره ، فتداعيا إلى حمّاس - وكانا لا يعرفانه - فألقياه وفى يده مُقلّة ، وهما يسألان عن دار القاضى حمّاس ، فقال : « ما تريدان ؟ » قالا : « نتحكما فى مآلة » ، قال : « تحكما » وأخذ المُقلّة

(١) قناة الفضلات لتسريحها .

(٢) م : « زماننا اليوم »

(٣) ليست فى ت .

(٤) ت : « الصدق »

ووضعها على رجله ولم يضعها بالأرض ، فقال له المدعى (١) : « ولم لم تضعها بالأرض ؟ » قال : « لأن الأرض مملوكة للمارة ، فلا أضيِّقُ عليهم » فقال : « يا سيدي فُضِّيت الحاجة » وقال في نفسه : « إذا كان القاضي لم تسمح نفسه في وضع قلة بالطريق ثم يرفعها ؛ فكيف يحكم لي أنا بأن أبنى دكانة في الطريق ؟ » وانصرف ورجع عما قصده .

سمعت هذه الحكاية من شيخنا أبي الفضل : أبي القاسم البرزلي ، رحمه الله تعالى .

* * *

﴿ قال ﴾ : روى أنه خرج ذات ليلة من بيته - وابنه سالم يتعبد في بيته ، وابنه محمد في بيته يتعبد ، والعجوز والدة هما في بيتهما تقرأ القرآن ، وتركع وتبكي ، والخادم تصلي - فوقف في القاعة فقال : يا آل حماس ألا هكذا فكونوا .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره ولفظ التعجبي ، وما ذكر من العبادة في والدة والخدمتين في العبارة (٢) ولذا عبر عن (٢) غيرها في جميع ذلك بالتعبد ، ونداؤه بما ذكر هو لما دخل قلبه من السرور .

وهذه الحكاية رواها عبد الله بن سعيد ، قال الماسي - بعد أن ذكرها عنه : وذكر أنهم باعوا الخادم ، فاشتراها قوم ، فرأيتهم لا يوصون بالليل ، وظننت أن من لم يصل بالليل ليس بمسلم ، فهربت من دارهم إلى مواليتها آل حماس ، وقالت لهم :

(١) م ، ت : « المدعى »

(٢) ت : « العبادة » ولا وجه له .

« أَيْحُلُّ لَكُمْ تَبِعُونِي مِنْ قَوْمِ يَهُودٍ ، لَا يُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ ؟ » .

﴿ قال ﴾ : قال محمد بن أخى مروان العابد : « قلت لعمرى مروان : « هل رأيت الخضر ؟ » قال : « نعم ! جئتُ إلى الجامع يومَ الجمعة فوجدته وقد امتلأ ، قعدت تحت الصومعة ، فخرج من باب البهو - رجلٌ فى زىِّ بغدادى فتخطى رقاب الناس ، حتى وصل إلى مجلس جوارى ، فلما انقضت صلاة الجمعة ؛ عطف علىَّ ، وقال لى : « قم نسلم على رَجُلٍ صالحٍ » ، فقلت : « من هو ؟ » قال : « حمَّاسُ بن مروان » ، قلت : « نعم » فضينا فسألنا عليه وانصرفنا ، فلما كان بعد ذلك دخلتُ على حماس ، فقال لى : « تعرف الرجلَ الذى جئتَ معه منذ أيام ؟ » قلت : « لا قال : ذلك « الخضر ؟ ! ويدل على أنك رجلٌ صالح !! » .

١٢١:٢ ﴿ قالت ﴾ : محمل (١) تحطيه رقاب / الناس : أنه كان قبل جلوس الإمام على المنبر ، والله أعلم .

(ذكر ولايته القضاء وسيرته وعزله نفسه)

﴿ قال ﴾ : ولى القضاء بالقيروان سنة تسعين ومائتين فى رمضان ، واستعفى منه فى شهر جمادى الأولى - سنة أربع وتسعين ومائتين ، وذلك عند تغير الأحوال . ولم يكن يهابُ سلطاناً فى حق .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره هو لفظ التَّجِيبِ ، وبَسَطَ الكلامَ في ذلك أن تقول :
ولاه زيادة الله بن الأغب القضاة بإفريقية عند عزله الصَّدِّيقُ بنى عن قضاها ، وكان
الصَّدِّيقُ بنى - حينئذ - مُعْتَزِلِيًّا ؛ فأراد زيادة الله أن يستحمد إلى العامة بولاية حمَّاس ،
وكتب إليهم : « إني قد (١) عزلتُ عنكم الجافيَ الجِلْفَ المبتدِعَ ، ووليتُ
حماس بن مروان ؛ لِرَأْفَتِهِ ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسُّنَّةِ » فرضيت الخاصة
والعامة ؛ وسرُّوا بذلك .

قال أبو العرب : فجزر الله تعالى به القلوب النافرة ، ولا كلمة مختلفة ، وفرح
به أهلُ السنة ، وكان في القيروان بولايته فرَحٌ شديد .

قال ابن حارث : كان من أفضل القضاة وأعدلهم ، وكان في علم القضاة حسن
القطرة والنظر ؛ لفضل فهمه في التفتيا من أهل الدين والفضل ، وكانت أيامه أيام
حق ظاهر ، وسُنَّةٍ ، وعدل قائم ، وأجلس معه من الفقهاء أربعة : موسى ابن
القطان ، وأبا عبد الله الضراب ، وعبد الرحمن (٢) وسألهم أن ينظروا ما يدور في
مجلسه ، ولا يحكم بين خصمين حتى يناظرهم في قضيتهما (٣) .
وكان ، رحمه الله ، لا يهابُ سلطاناً ولا غيره في حق .

وقيل : إن عامل القيروان قتل إنساناً بغير حق ؛ فكتب إليه حمَّاسُ يعظه في
سفك الدماء ؛ فأَنفَ ، وقال : « ما لحماسٍ وهذا ؟ أنا سلطانٌ أنظر في الدماء

(١) ليست في م .

(٢) بياض بالأصل وبعد هذا بالطبوعه : « الورقة » وبياض أيضا .

(٣) انظر هذا المجلس القضائي المصوري الذي كان يتقيد به قضاة العدل ٤١ :

توشبها» فتوجه حماس إلى تونس لزيادة الله بن الأغلب واجتمع به ، فعزل العامل المذكور، وصرف (١) حماساً مكرماً .

وعزل نفسه رحمه الله ، باستمفائه لما تغيرت الأحوال ، وسبب ذلك أن ابن الصائغ - صاحب البديل ، وكبير دولة زيادة الله - سعى بالكلام في حماس عنده لمخالفته المذهب ، وأنه كان لا يدخل تحت طوعه ، ويبدأ باسمه عليه إذا خاطبه ، فولى زيادة الله محمد بن أحمد بن جمال : من أهل العراق القضاء معه ، ورفع من شأنه ، ونادى مناديه : إذا تداعى الخصاص إليه وإلى حماس صاروا إليه دون حماس . فلما رأى حماس ذلك رفع ديوانه ومضى إلى رقادة ، فأقام بجامعها - ستة أشهر - يطلب المعافاة ، فقيل له : ليس لك إلا ابن الصايغ الذي سعى عليك ؛ فقصدته ؛ فلما دخل عليه قام ابن الصايغ إليه وسأله عن حاله ، فذكر أنه يرغب في للمعافاة ، فسمى له عند زيادة الله في ذلك ، وقال له : « قد خيرتُك : إن أحببت أن تكون قاضياً كما كنت ، وإن أحببت المعافاة عافيناك » فقال له : « المعافاة أحبُّ إلى » ؛ فعافاه ، وكتب له سيجلاً بخطه بمعافاته .

﴿ قلت ﴾ : إنما اختار المعافاة لوجهين .

١٢٢٤٢ أحدهما : أنه كان لا يأخذ / على قضاؤه أجراً - على ما يظهر من سيرته ؛ فهو

يتم بم بلا فائدة دنيوية .

الثاني : سياق الكلام يقتضى أنه فهم أن غرض الأمير : في عزله ، وعلم

(١) م : « وانصرف » ولا يستقيم مع ما بعده .

أنه - إن تقدم - لا ينصلح الحال - كما كان أولاً ، فنعلم ما فعل ! .
والذى يعلم في زماننا أناقف في الحق، ونذَّبُ على الرعية في مسائل الشرعيات ؛
خوفاً من النار ، فيكتب التواد إلى السلطان - نصره الله تعالى - بالكلام
الباطل ، وربما يكتب بذلك أو يباشر الكلام من سوّيت بينه وبين غيره ،
وحكمت عليه كغيره بأدب أو غيره ، حتى يقع التمهويه؛ فيشك في صدق كلام المشتكى
أو يغلب على ظنه صدقه فيعزل من يعزل بسبب ذلك .

ومن فضل سلطان وقتنا أمير المؤمنين : أبي فارس : عبدالعزيز ابن أمير المؤمنين
أبي العباس : أحمد أنه يعرض عن كلامهم في الأغلب ، فإذا كثر الكلام يشاور
قاضي الجماعة - وهو شيخنا أبو مهدي : عيسى بن أحمد الغبريني - ويكلمه بكلام
لين ، يقول له : حفظكم الله ! إن فلاناً قاضى بلدة كذا ملّوه أصحابه ، فإذا قبل كلامه
يوافقه على تبديله لبلدة أخرى ، أو على عزله دون معارضة (١) ، وإلا يقول له :
« تفافل عنهم » أو نحو ذلك ؛ فلا يعزل أحداً حتى يوافقهُ في الأغلب ، هكذا
كان دأبه معه إلى أن مات شيخنا المذكور - رحمه الله تعالى .

ولما عزل زيادة الله حمّاماً كان من كرامته : أن خرب الله ملكه ، ومُنك
عبد الله الشيعي ، وخرج هارباً أمانه إلى المشرق - هو وابن الصايغ - وما أقام
لهم منارا، حتى مات ؛ حسبها هو مبسوط في ابن الرقيق .

﴿ قال ﴾ : وتوفي حماس سنة أربع وثلاثمائة .

(١) م : « معارضة » وهو تعريف .

﴿ قلت ﴾ : وقال المالكي : توفي سنة اثنتين ، وقال غيره : سنة ثلاث .

ومولده سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب نافع ، وكثر الناس على جنازته ؛ حتى ضاق بهم الفضاء .

﴿ قلت ﴾ : وقبره من أرباب قبر سحنون بن سعيد من الجوف خارج حوطته ،

وعند رأسه عمودٌ ليس بطويل ، وليس فيه كتابة .

رحمه الله تعالى ، ونفع به آمين .

ومنه م :

● ١٦٢ ﴿ أبو العباس : إسحاق بن إبراهيم ﴾

الأزدى الصايغ ^(١)

المعروف بابن بطريفة قاضي طرابلس .

من رجال ^(٢) سحنون ، كذا قال هو والتجيبى وغيرها ، والمراد - كما صرح به

غيرهم - ابن إبراهيم بن الصايغ ^(٣) .

﴿ قال ﴾ : وكان قفيها ثقة مأمونا .

﴿ قلت ﴾ : هو ذى أبي العرب والتجيبى .

(١) ترجم له ابن حارث في الطبقات ١٦٢ ترجمة مختصرة .

(٢) م : « رجال محمد بن سحنون » وما أثبتناه عن ت هو الموافق لما في الطبقات .

(٣) يعنى تقدير كلمة الصايغ .

وقال ابن حارث : كان قبيها ، من أهل الحفظ والفهم .

وقال حبيب بن ربيع : كان من نُظَّارِ عَصْرِنَا ، وكبراء أصحابنا .

﴿ قال ﴾ : ولَّى قضاءَ الرَّابِّ لعيسى بن مسكين ، ثم ولاه « حماس » قضاء طرابلس ، وكان عدلا في أحكامه ، وأراد بالزاب : أى وسائر عمالته ؛ لقول التجيبي ولى قضاء الزاب وطينجة ^(١) وباغاية لعيسى بن مسكين أيام إبراهيم بن / أحمد ، ١٣٢:٢ وولاه حماس : القضاء أيام زيادة الله - قضاء طرابلس - وكان عدلاً : ضربه محمد بن الروذى - قبحة الله - هو وابن الطوزى في يوم واحد عند جامع القيروان ؛ عداوةً للإسلام .

وفى كلامه بئرٌ ؛ لقول غيره : ضربه وحبسه بعد عزله من قضاء طرابلس ، فأطلقه عبيد الله لما بلغه ذلك ، ذلك أن عبيد الله تخصم - بطرابلس - أول وروده مع قوم من الحمالين ، وهو لا يعرف بنفسه ، فلما نظر إليه أبو العباس قال : « وَكَلَّ مَنْ يُخَاصِمُ عَنْكَ ، وَنَزَّةٌ نَفْسِكَ عَنِ النَّظَرَةِ » فحفظ له عبيد الله هذه اليد .

﴿ قول ﴾ : ولما مات محمد بن سحنون جلس أبو العباس للفتيا فأنكر عليه عبد الله بن طالب القاضى ، ثم بعث إلى أبي الغصن السوسى أن يختبره ، فألقى عليه كتاب القراض ، فأجاب عنه كله ؛ فأباح له ابن طالب : الفتيا .

﴿ قلت ﴾ : مثل للتجيبى ، وفيه بئرٌ ؛ لأنَّ اختبارَ مَنْ ذُكِرَ كأنَّ بحضرة ابن

طالب ، وإيس فيما تقدم جلالاً بذلك ، ولما رأى أبو العصن حفظه وثب قائماً على قدميه وقال لابن طالب : القضاء والله يُسْتَحَقُّ دون الفُتْيَا .

وقيل : إن ابن غالب هو الذى اختبره بنفسه ، وزاد صاحب هذا القول : ثم أتى عليه - بعد كتاب القراض أكثر كتاب الصرف ، قال أبو العباس : حتى أتى على مسألة الخلخالين ، فلما رأى حفظى - وكنت شاباً - قال : الحمد لله الذى رأيت لأصحابنا شاباً مثلك ، نعم كذا (١) يا بنى امض واجلس فى مجلسك ، وأفتِ واتق الله ربك .

وهذا فعل أهل الدين ؛ منعه لحق المسلمين ؛ لاحتمال أن لا يصلح ، فلما اختبره وتبين له أنه يصالح فى الفُتْيَا أذن له فى ذلك ، وقول أبى العصن : « القضاء يُسْتَحَقُّ » فضلاً عن الفُتْيَا ، ظاهر كالتصريح فى أن القاضى - قاضى الجماعة - كان عندهم أرجح من الفتيا ، وإيس كذلك فى زماننا ؛ وذلك أن القاضى - ولو كان من أدين خلق الله - لا بد أن يشتمكى به بعض المحكوم عليهم ، فلا بد من ناظر فوقه ينظر فى أموره ، وذلك : المفتى ، فهو الذى يرتهن فى قاضى الجماعة ، ولا يقدم قاضى الجماعة قاضياً فى بلده من عمالته أو شاهداً أو حكماً معتبراً إلا بعد مطالعته ، فهو القاضى فى الحقيقة ، وقاضى الجماعة إنما هو كائنائب عنه .

ولا يختل هذا النظام إلا إذا كان قاضى الجماعة قدر المفتى فى العلم ، ويكون

السلطان قدّمه لنفسه ، ومع هذا فلا بدّ من موافقته له في الأمور
المُضِلّات .

وهذا من الأمور النادرة ، وإلا فالأصل : أنه تحته وهو مُظَلَّلٌ عليه كالخباء
لا يقطع أمراً دونه .

﴿ قال ﴾ : توفي شهيداً ؛ قتله اللصوص يوم الجمعة ثمان بقين من جمادى الأولى
سنة ثلاث وقيل سنة خمس وثلاثمائة .

﴿ قلت ﴾ : وقيل سنة أربع ، ولم يحك التَّحِيبي غَيْرَ الأول . وقاتلُ اللصوص
له : على أخذ ماله ، ولفظة شهيد : تقتضى ذلك .

﴿ قال ﴾ : وصلى عليه أبو سعيد : محمد بن محمد بن محنون .

﴿ قلت ﴾ : ودفن بباب نافع رحمه / الله تعالى ورضى عنه وفعننا ببركاته آمين . ٢ : ١٢٤

ومنهم :

● ١٦٣ ﴿ صدقة المؤدب الضرير رحمه الله ﴾

واصطلاحهم بالضرير : المقعد ، لا المجذوم .

﴿ قال ﴾ : كان فاضلاً مجاب الدعوة ، وكان له غلام أسود من المتعبدين ، اسمه
سالم ، وإنما انتفع مروان العابد بدعاء صدقة الضرير ، وصحبة سالم . وكان صدقة يعلم
مروان القرآن ، لا يُعرف أحدٌ على مثل طريقتة وسنته ، كثير الكدِّ والمجاهدة ،

دائمَ الرقابة، كثيرَ سرِّدِ الصيام، والسَّهْجِ بالقرآن، والحَفِينِ الملازم، والخوفِ المقلق، والرِّضَا والتسليم. وكان من دعائه: اللهم سَلِّمْنَا مِنَ النَّاسِ، وَسَلِّمِ النَّاسَ مِنَّا، واجعلنا من ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ إِذْ خُلُوا إِلَى الْجَنَّةِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

توفي سنة خمسٍ وثلاثينٍ وثلاثمائة، ودفن بباب سلمٍ رحمه الله تعالى.
﴿قلت﴾: جميع ما ذكره هو لفظ التَّجْبِيهِ بزيادة عزو، وبكونه مجاب الدعاء كَأبي إسحاق السبائي.

قال المالكي: دفن بباب تونس، وذكر أنه توفي هو والصدِّيقُ في يومٍ واحدٍ، فغسل الصديقُ المُرْعَةُ^(١) الغاسلُ ثم مضى على أن يغسل صدقة؛ فمنعه الناسُ وقالوا: اذهب لانتجسه.

كان^(٢) الناس إذا قحطوا: استسقوا به فيسقون.

ومهم:

● ١٦٤ ﴿أبو محمد المسوحي المتعبد رحمه الله﴾

﴿قال﴾: صحب سحنون، وجبلة وسعيد بن عبَّاد، وعيسى بن مسكين.
كان يلبس الشَّعْرَ، من أهل الجدِّ، والتعبد، والخوف، والانتقطاع، والإخبات، وكان قوته في رمضان ثلاثين حبةً من التين^(٣) صام حتى اسودَّ، وصلى حتى أقعد، وبكى حتى عمش! فلما حضرته الوفاة قال: «واحزني إلى أين يُسَلِّكُ بي؟»

(٢) ت: «فإن»

(١) اسم الغاسل.

(٣) يعني في الشهر كاه كما يدل عليه ما بعده

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره هو نقل التجيبي ، فسبحان من أعطاهم وخصهم بكراماته
وغذاهم بكلامه !! وإلا فحبة تين في اليوم والليله كالعدم . وانظر مع كمال اجتهاده
وبكائه واقتصاره على لبس الشعر غلب على نفسه الخوف عند حضور أجله ؛ فخاف
أن يُسَلَّك به إلى النار ! ونحن مع بطأتنا وترفها وكثرة أكلنا وعصياننا آمنون
كأننا غيرُ مخاطبين ؟! أهى مصيبة نزلت بنا على موت قلوبنا ، فنسأل الله جل
جلاله أن يوقظ قلوبنا لما يحبه ويرضاه حتى لا يحضر أجُنَّا إلا ونحن على أكل
الأحوال ، وأشرف الأوصاف .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة ست وثلاثمائة رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ومنهم :

● ١٦٥ ﴿ أبو الأسود : موسى بن عبد الرحمن ﴾

القَطَّان رحمه الله (١)

﴿ قال ﴾ : أخذ عن محمد بن سحنون ، وأخذ الناس عنه .

﴿ قلت ﴾ : ظاهره أنه لم يأخذ / على غيره ؛ كقول التجيبي : وكان من رجال ٢ : ١٢٥

محمد بن سحنون ، وليس كذلك ، بل سمع من غيره أيضاً ، ومن سمع منه : تميم بن
أبي العرب .

ذكر ثناء العلماء عليه

﴿ قال ﴾ : كان فقيهاً، ثقةً حافظاً ، بارعَ الحفظ ، ثبتاً ، رجلاً صالحاً .

﴿ قلت ﴾ : وفي كلامه بترٌّ ؛ لقول التَّجِيبِي : كان فقيهَ البدن - يعني به طبيباً - .

وقال ابن حارث : كان يُحَسِّنُ الكَلَامَ في الفقه على مذهب مالك وأصحابه ، وكان يُفْتَى ، ويُقرأ عليه .

وقال ابن الجزار : كان فقيهاً ، يُعْرَفُ بالحفظ .

وقال أبو الحسن بن القاسبي : ما أعجب أهل مصر من قدم عليهم من القيروان إعجابهم به ، وبأبي العباس بن طائب وأبي الفضل المسمى .

﴿ قال ﴾ : ولَّى قضاء طرَابلس عيسى بن مسكين ، وسئل عن رجل اشترى حوتاً فوجد في بطنه حوتاً آخر ، قال البائع : الحوت الثاني لي ، فهو للبائع وإن كان على الوزن فهو للمبتاع .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بترٌّ لنقل غيره ؛ وذلك أنه ولاه إبراهيم بن أحمد قضاء طرابلس في أيام عيسى كما تقدم ، فنقذ الحقوق وأخذ للضعيف من القوي ، فاجتمعت كلمتهم عليه بالرفع إلى إبراهيم بن الأغلب ، فعزله وحبسه ، وكان محبوباً عنده في الكنيسة بتونس شهوراً ثم إنه أطلقه .

وكان سبب عزله : أنه سأله أن يسلفه أموال اليتامى ، فأبى ؛ فخذ عليه .

وكان سبب إطلاقه أن قوماً من التجار وقع بينهم تخاصمٌ وتشاجرٌ في

مسألة، ورفعوا أمرهم إلى إبراهيم ورفعوا فتياً أهل العلم في أمرهم، فأرسل إبراهيم إلى موسى وهو في سجنه في مسألتهم، فأجاب بجواب استجسته .

وقيل : بل وقعت بين الفقهاء مسألة في رجل اشترى حوتاً فوجد في بطنه حوتاً آخر، فاختلفوا هل هو للبائع أو للمشتري ؟ فرفضها إبراهيم إلى موسى ، فقال : إن كان الشراء على الوزن فهو للمشتري ، وإن كان على الأجزاء فهو للبائع ، فقال : « مثل هذا لا يُسجن مع السرّاق » وأمر بإطلاقه .

قال التجيبي : وحكى لنا أبو بكر : [أحمد بن بكر]^(١) : أن سبب خروجه مسألة مركب عطب لإبراهيم بن أحمد ؛ فأفتاه بقول ابن القاسم وابن نافع ، فابن القاسم يقول : الكراء على البلاغ ، وابن نافع يقول : يعطى من الكراء بمقدار^(٢) ما سار .

قلت : هذا ايس باختلاف ، فهو مثل عن مسألة المركب فعرفه بالقولين ، وبعضهم لم يرجح ، وغيره اختلفوا : فمنهم من أفتى بقول ابن القاسم ومنهم من أفتى بقول ابن نافع ، وهذا هو مقتضى كلام التجيبي ، وكذلك سألته عن مسألة الحوت / معها ؛ لوقوعها معاً^(٣) دفعة واحدة ، ولذلك قال التجيبي : فيبحث ١٢٦: ٢ إليه في الجواب في مسألة المركب ، وفي مسألة الحوت ، وكذلك ما ذكر من تنازع التجار - إن كانت هي غير مسألة المركب - تكون نائلة وقعت أيضا ، ومسألة الحوت لا أعرف لأحد فيها نصاً غير ما تقدم من نقل السدري ، وفتياً

(٢) ت : « بقدر »

(١) سقط من ت

(٣) م : « في رفعة »

موسى المذكور، وقبلة غير واحد كعباض، والجارى على أصل المذهب: أن الحوت الثانى للمشترى مطلقاً؛ لأن الاسم يَصْدُقُ عليه، وذلك كوجود شَحْمٍ كثير فى بطن حوت لا يظن فيه ذلك. وإنما وقع هذا الخلاف بعد زمن هذا الشيخ فىمن اشترى حوتاً فوجد فى بطنه جوهرة، فقال أبو العباس الإبيانى: هى للمشترى كقول أصحابنا فىمن باع حجراً وهو لا يعلم ما هو فإذا هو جوهرة، وقال غيره: هى للبائع؛ لأنه باع منه الحوت خاصة - وكلاهما تله ابن يونس.

ونقل شيخنا أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد البرزلى قولاً ثالثاً - كما قاله أبو الأسود - وعزاه لنقل التَّجِيبِي عن أبي بكر الصَّوَّاف لما عرف به، ولم أجد هذا الموضع لأنظره فيه.

﴿ قال ﴾: روى عن محمد بن سحنون أن داود عليه السلام قال: « يا ربِّ كُنْ لسليمان كما كنتَ لى » فأوحى الله إليه: « قل لسليمان: يكونُ لى كما كنتَ لى أكون له كما كنتُ لك ».

﴿ قلت ﴾: هكذا نقله التَّجِيبِي، قال: حدثنى أبو القاسم السَّدرى: عن موسى عن محمد بن سحنون.

وسئل القاضى موسى عن إمامة المرأة من أين لم تجز؟ قال: لأنَّ المرأة لما لم تكن حاكمة؛ من أجل النَّقْصِ الذى فيها، وكانت الإمامة مستحقةً بكال^(١) الذين وتام الأحوال، والمرأة غير كاملة الدين والأحوال والحُرْمَة، فلذلك لم تكن^(٢) مستحقةً للإمامة. وقاله أبو إبراهيم التَّجِيبِي.

﴿ قال ﴾ : ولوسى تأليف في أحكام القرآن اثنا عشر جزءا - قد أجاده وأتقنه .

﴿ قات ﴾ : كذلك ذكر غير واحد ، وما زلت متعجبا من هذا ومثله ؛ إذ لم أر مسألة نقلت عن موسى ؛ لا غريبا ولا غيره .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة ست وثلاثمائة ، وعمره إحدى وسبعون سنة .

﴿ قلت ﴾ : في كلامه بتر ؛ لكونه توفى في ذى القعدة من العام المذكور .

قال ربيع القطان : لما غسلناه وكفناه أغلقنا عليه البيت ، وخرجنا إلى المسجد وبقي النساء في الدار ، فلما جئنا أخبرنا النساء أنهم سمعوا جلبة عظيمة وظنن أن الرجال في البيت ، فعجبنا من ذلك وتوكل : أنهم الملائكة رحمة الله تعالى عليه .

﴿ قلت ﴾ : يعنى ملائكة رحمة الله بهم الله تعالى يؤنسونه وييسرونه والله تعالى أعلم .

وقال بعض أصحابنا : رأيت صاحبنا في النوم ، فألته عن أستاذنا موسى ؟ فقال : « ذلك رجل يدخل على الله متى شاء » .

رحمه الله تعالى ، ورضى عنه . آمين .

ومنهم :

● ١٦٦ ﴿ أبو العباس : محمد بن طيب البصرى المتعبد ﴾

١٢٧:٢ ﴿ قال ﴾ / كان من أصحاب أبا سعيد : أحمد بن عيسى البغدادي ، وأبي هارون الأندلسي وابن غلبون ، وكان يقول : بركة الرجل الصالح تلحق التاسع من الولد ، وشؤم العاصي يضرُّ الرابع من الولد .

توفي سنة ست وثلاثمائة ، ودُفِنَ بباب سلم .

﴿ قات ﴾ : زاد التجيبي وسكن بسوسة ، وحدث عنه الحسن بن نصر بمكائيات .

﴿ قلت ﴾ : وكانت وفاته بالقيروان - إلا أنه توفي بسوسة ، ونقل إلى القيروان - ؛ ولذلك قال العواني : توفي بالقيروان .

رحمه الله تعالى ، ورضى عنه .

ومنهم :

● ١٦٧ ﴿ أبو حبيب : نصر بن الفتح التسورى ﴾

الفقيه (٢) رحمه الله

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون (٣) ، وكان من أصحاب حماس القاضي ، وكان

حماس يبيح له ، ويعرف حقه ، وكان رجلاً صالحاً ، فقيهاً ، ثقةً ، بارع الحفظ .

﴿ قلت ﴾ : زاد التجيبي : فقيه البدن .

﴿ قال ﴾ : توفي سنة ست وثلاثمائة رحمه الله تعالى .

(١) هذه الترجمة وما بعدها لى آخر الجزء مما انفرد به العالم عن المصادر التي بأيدينا

(٢) م « الامية » وهو تحريف .

(٣) م : « من محمد بن سحنون »

ومنهم :

١٦٨ ● (أبو عمرو: هاشم بن مسرور التميمي)

والد القاضي عبد الله^(١) بن هاشم رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : سمع من محمد بن سحنون ، ومن محمد بن عبدوس ، وأحمد بن حسان ،
وأحمد بن لبدة ، وأبي عمران القراط .

وكان رجلاً صالحاً ، فاضلاً ، كثير الصدقة ؛ يتصدق في السنة بالمال العظيم ،
ويقفئ السبايا - كسبي تونس وغيرها - ويزودهن .

روى أنه خرج ذات يوم في السحر إلى الحمام ، وعليه فرو سمور^(٢) ، ويده
سطل ومئزر ، فمرّ بشيخ يرعد من البرد ؛ فرمى بالفرو والقميص عليه ، وخلّله
بمنديله وأعطاه السطل والمئزر ، ثم تناول حصيراً كان على الشيخ فاستتر به ،
ورجع إلى داره .

﴿ قلت ﴾ : زاد التجيبي^(٣) : وحضر حلقة عبد الجبار فوقف سائل ، قال :
« مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضاعفه له أضعافاً كثيرة » فزع
هاشم عمامته عن رأسه ، قطعها بائنتين ورمى بالنصف إليه ، فلما ولي قال هاشم :
هذه قلابة^(٤) ورمى إليه بالنصف الآخر^(٤) .

(١) م « عبد بن هاشم » وهو تحريف وترجمة عبد الله بن هاشم في الديباج وانظر هاشمه .

(٢) في اللسان ٤٦/٦ : السمور : فابة معروفة تسوى من جلودها فراء غالية الثمن .

(٣) ما بين الرقين ليس في ت

(٤) ما بين الرقين ليس في ت

﴿ قال ﴾ : وكان يذهب إلى دار الجذمي بالدمنة - فيصنع الحلوى في القطر والأضحية - ويجعلهم صفوفاً فيطعمهم بيده ، ويقلى خرقهم ، ويدهن رؤوسهم ، ويدعو لهم وينصرف .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التجيبي ، وعزاه لنقل أبي محمد التفاحي ، وكذلك ما يأتي من سخائه جيمه ، ذكره التجيبي كالمقدم .

وليس العجب من صنعه^(١) الحلوى ، إنما العجب من كونه يطعمهم بيده وما بعده .

﴿ قال ﴾ : وكان أول ما تدخل الفاكهة يقف بالمكتب ثم يقول للمؤدب

١٢٨:٢ | أخرج إلى من عندك من الأيتام ، فيشتري لهم / الفاكهة ويطعمهم^(٢) ويدهن رؤوسهم^(٣) ، ويقبل بين أعينهم ويقول : « ما عسى أن أصنع لكم ؟ اللهم هذا الجهد مني » .

وكان إذا حضر جنازة جلس على شفير القبر ، فإذا نظر إلى اللحد قال . ما أحوج هذا القبر إلى فراش فينصرف فيتصدق بجزء ثيابه ، وإذا نظر إلى التراب يهال على الميت قال : « ما أحوج هذا القبر إلى ضياء ونور » فيذهب فيتصدق بالزيت على الأرامل والضعفاء .

﴿ قلت ﴾ : عز التجيبي كونه إذا حضر جنازة . . إلى آخره - لنقل الزعفراني .

﴿ قال ﴾ : وكان يشتري الكتان ، فيجعل في كل ربطة رطلاً^(٤) ويصبر معها

(٢) ت : « يطعمهم »

(١) ت : « طعمه »

(٣) ت : « ويقبلهم »

(٤) تمييز الرطل مبهم : ولا شك أن المراد : الموزون لا وحدة الوزن ، وليس بين أيدينا ما يبين هذا الموزون ، ولعل لبهامه لاشتهاره في ذلك العصر بلايسة مشتري ذلك النوع من القماش

حدها ويخرج إلى بيوت الأرامل فيدفع إلى كل بيت رطلا مع ما يَصْرُ معه من الدرهم ؛ حتى يَمَّ كل من يعرف .

وكان يقف كل خميس^(١) عند سوق الدجاج ، فإذا رأى امرأة بيدها هرة^(٢) أو فرخ ، أو دجاجة ، أشار إليها ويقول لها : « مادعاك إلى بيع هذا ؟ » فإن شكت إليه فآفة أعطاها على قدر ما يراه من حالها ، فلا ينصرف حتى يذهب آخر الناس .

ويقف بالعشى بسوق الغزل ، فإن رأى امرأة خرجت بمخضلة يقول لها : « مادعاك إلى بيع هذه ؟ ألا تركتها حتى تسكلى عليها ؟ » فإن قالت : أنا مضطرة بكى ؛ رحمة لها^(٣) حتى تخضل^(٤) لحيتها^(٥) ، وذهب معها ليرى منزلها ، فيبعث إليها^(٦) من القمح والزيت ما يقوم بها ، ويشتري لها من الكتان ما يراه صلاحاً لها . وكان يخرج في الشتاء فيقف كل يوم على باب من أبواب المدينة ، فإذا بصّر بشيخ أو شاب خرج في الريح والبرد والمطر بمجبل^(٧) يحتمطب أو يحش^(٨) قال له : « ارجع من هذا البرد وهذه نفقتك وفتقة عيالك » .

وكان يمشي في الأسواق على الباعة ، فيجلس عند الرجل الضعيف ، فيقول له : نعطيك دراهم تجعلها رأس مالك ؟ فإذا ربحت ترد إلى الدراهم ! فيدفع إليه ما يراه ، ثم يقوم فلا يعود إليه .

(١) م : « كل يوم الخميس »

(٢) ما بين الرقين ليس في ت .

(٣) م : « هدة »

(٤) ليست في ت

(٥) ت : « لها »

﴿ قات ﴾ : عزّا التّجيبى هذا لنقل الزعفرانى أيضا .

﴿ قال ﴾ (١) : وقال أبو بكر بن أبى عقبة الفقيه : باع هاشم مطمراً شعيراً فيها (٢)

زهاء مائتى قفيز ، ثم أخذ المالك وركب دابته ، فكان يدخل من باب أبى الربيع ويعطى ، [ويدخل من باب سوق الأحد ويعطى (٣)] ويمشى فى الشارع ويعطى ، ويدخل من باب سلم ويعطى ، حتى نفذ ثمن الشعير . فتمرض له شيخ وقال : « تصدّق على » فنفض له الخريطة فوق منها نصف درهم وثمان ، فدفع ذلك إليه ، فلما كان الليل وقف به شخص فقال له : رحمتك الله بالذى أعطيت الشيخ ؟

﴿ (٤) قات ﴾ : قال المالكى ويروى أن أهل السّجن بعثوا إليه يذكرون ما هم

فيه من ضيق الحال ، ولم يكن عنده شيء إلا مهراس (٥) من (٦) نحاس من تركة أبيه ، فباعه بثلاثة دنانير ، وأخذ بها قحاً وجهلاً خبيراً ، وبث به إليهم ، وجعل ثواب ذلك لأبيه ، فرآه فى المنام (٧) فقال له : جزاك الله عنى خيراً يا بنى أفضل ماجازى / ولداً عن والده قد كانت بين يديّ عقبات عظيمة أعنتنى على جواز أعظمها بثمن ذلك المهراس .

ويروى أنه كان عنده ألف دينار فتصدّق بها حتى لم يبق منها إلا خمسة دنانير ، ثم إنه اتّجر بها إلى أن عادت ألفاً ، وخرج عنها ثانياً ، ثم ثالثاً قال : فعلت إن الله أوقفنى لعباده ، فأنا أدفع ولا أتوقف .

(١) ليس فى ت

(٢) م : شعيراً زهأ مائتى قفيز ، ت : شعيراً فيها مائتين قفيزاً

(٣) ما بين القوسين ليس فى ت .

(٤) ما بين الرقعين ليس فى ت

• هاوون

(٥) ت : « النوم »

(٦) ليست فى م .

﴿ قال ﴾ : وكان له في كل شهر رمضان تسعون ختمة في ليله ونهاره ، وأما في سائر^(١) الأيام فكان له في كل يوم مائة ختمة - على أنه يتصرف في حوائجه وضيافته .

﴿ قلت ﴾ : ذكره التجيبي .

فهذا الشيخ هاشم جمع بين ثلاث خصال : العلم ، والعمل ، والسخاء التام ! فسبحان من أعطاه وأعاه ونسأله سبحانه وتعالى أن يُعطينا مما أعطاه .

﴿ قال ﴾ وتوفي في يوم السبت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة وهو ابن أربع وسبعين سنة ودفن بباب سلم .

﴿ قلت ﴾ : وقبره مزار ، وعند رأسه سارية كبيرة لا كتب^(٢) فيها ، وقبره غربي قبر ولده عبد الله القاضي .

رحمهما الله تعالى ، ورضى عنهما .

ومنهم م :

١٦٩ ● (أبو سعيد : محمد بن محمد بن محزون)

ابن سعيد التنوخي رحمه الله

﴿ قال ﴾ : سمع من رجال جده .

﴿ قلت ﴾ : ظاهره أنه لم يقرأ على والده ، وهو كذلك .

قال أبو بكر الماسكي : قال أبو عبد الله الخراط : لم يسمع أبو سعيد من أبيه

وسمع من رجال جده .

وقال الطبري له سمع من أبيه ، وهو عندي وه ؛ لأنه وُلِدَ في العام الذي مات فيه أبو محمد . وكان والده اشترى أمة اسمها « قراطيس » بمصر ، سمع

(٢) ت : « لا كتابة »

(١) ت : « فأما سائر... »

بكاءها في القافلة فسأل عنها فقيل له : جارية لأندلسي يريد بيعها ، ولها أبوان بالمغرب ، فاشتراها وأرسلها إلى إفريقية وقال : والله ما اشتريتها رغبة فيها ، ولكن لأجمع بينها وبين أبويها ، لعل الله أن يجمع بيني وبين أبي ، ففسرها وأولدها أولاداً .

قال أبو عبد الله الخراط : وخرج والده محمد مع الأمير محمد بن أحمد بن محمد ابن الأغلب إلى سوسة ، فلما صلى الصبح جلس بعد الصلاة فقال لمن حوله : يأتيني اليوم بشير من القيروان يخبرني بأن جاريتي قرطيس وضعت حملاً وأتت بغلام ، وأنا أسميه إن شاء الله تعالى باسمي ، وأكنيه بكنية أبي ، ويكون رجلاً صالحاً ، فما انتصف النهار حتى أتاه غلامٌ له فبشّره بأن أم ولده قرطيس ولدت غلاماً ، فزرع ثوباً كان عليه له قيمة فرمى به إليه ، فلما صار الثوب بيد الغلام قال له : اختر : إما أن ترُدَّ الثوب وأعتقك ، أو تحبس الثوب وأنت / مملوك ؟ ١٣٠ : ٢ فردَّ الغلامُ الثوبَ ، وأعتقه .

وإنما كانت رؤيا رآها محمد في المنام .

﴿ قال ﴾ : (١) وكان رجلاً صالحاً فاضلاً ذا ورعٍ وعقلٍ وصلاحٍ مشهوراً بالفضل ، أوجدَ زمانه ؛ عبادةً وفضلاً ،

وسئل عن معنى قوله عليه الصلاة والسلام :

(١) سقطت من م

«جَبَلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا»^(١).

قال: واعجباً ممن لم يَرَ مُحْسِنًا غَيْرَ اللَّهِ كَيْفَ لَا يَمِيلُ بِكَلْبَتِهِ إِلَى اللَّهِ؟ كَيْفَ لَا تَحِبُّ رَبَّكَ وَمَا انْفَكَّكَتَ قَطُّ مِنْ بَرِّهِ؟ مَا أَقْبَحَ الْفِئَلَةَ عَنْ طَاعَةِ مَنْ لَمْ يَنْفَعُلْ عَنْ بَرِّكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟!

﴿ قلت ﴾: وقال أبو محمد: عبد الله بن محمد بن سعيد التُّفَاحِي: كان أبو سعيد

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، وابن حبان في روضة العقلاء والخطيب، وآخرون أن الحسن بن عماره بلغه أن الأعمش وقع فيه، فبعث إليه بكسوة؛ فمدحه، فقيل للأعمش ذمته ثم مدحه، فقال: حدثني خيثة عن ابن مسعود فذكره، وأخرجه ابن عدي في كامله والبيهقي في شعبه عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً قال البيهقي وهو المحفوظ، وقال ابن عدي وهو المعروف، ورواه ابن الجوزي في اللعل المنتاهية مرفوعاً وموقوفاً وهو باطل من الوجهين، وقول ابن عدي والبيهقي إن الموقوف معروف عن الأعمش يحتاج إلى تأويل؛ فإنهما ذكراه بسند فيه متهم بالكذب والوضع يجلب الأعمش عن مثله؛ فقد كان زاهداً ناسكاً تاركاً للدنيا حتى وصفه بعضهم بقوله: مارأيت الأغنياء والسلطانين عند آخر منهم عنده مع فقره وحجته، بل كان صبوراً مجانياً للسلطان ورعاً عالماً بالقرآن، وروياً أنه لما ولي الحسن بن عماره مظالم الكوفة - بلغ الأعمش فقال: ظالم ولي مظالمنا، فبلغ الحسن، فبعث إليه بأثواب وحققة؛ فقال الأعمش مثل هذا ولي علينا علينا يرحم صغيرنا. ويعود على فقيرنا، ويوقر كبيرنا، فقال رجل يا أبا محمد: ما هذا قولك فيه أمس، فقد حدثني خيثة وذكره موقوفاً، وأخرجه الحمصاني فقال حدثنا محمد بن عبد الرحمن القرشي أنه قال: كنت عند الأعمش فقيل إن الحسن بن عماره ولي المظالم، فقال الأعمش يا عجبا من ظالم ولي المظالم، ما للعائنك ابن الحائك و ظالم ابن نظام، فخرجت فأثيت الحسن فأخبرته، فقال علي بمنديل وأثواب، فوجه بها إليه، فلما كان من الغد بكرت إلى الأعمش، فقلت أجز الحديث قبل أن يجتمع الناس، فأجريت ذكره، فقال بخ بخ هذا الحسن بن عماره ولي العمل ومازانه، فقلت: بالأمس قلت ما قلت واليوم تقول هذا؟ فقال دع عنك هذا حدثني خيثة عن ابن مسعود مرفوعاً، قال في التناصد وربما يستأنس له بما روى: اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة يرعاه به بها قلبي، وبحديث الهدية تذهب بالسمع والبصر وهو ضعيف.

كثيرا ما يقول: « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١) »
 وكان كثيرا ما يقول: « إن زلزلة الساعة شيء عظيم » (٢) ثم يقول: « وَأَتَّقُوا
 يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا » (٣) ثم يقول: ابن آدم إنك مسئول .

﴿ قال ﴾ : وكان يقول إنى لأذهب إلى الخلاء فأقنع رأسى حياء من ربى .
 وحكى أبو محمد النفايحى : أنه كان كثيرا ما يجتمع بأبى العباس الخضر .

﴿ قلت ﴾ : قال الماسكى : وامتنحن على يدى المروذى قاضى الشيعة - لعنه الله -
 وقال له : « بلغنى عنك أشياء أقل ما يجب فيها سفك الدماء ، فاشتغل بما
 يعينيك » وأمر غلامه فضربه (٤) أسواطاً ، وكان يقول : ما دفعت عنه بهذا
 إلا كثيرا ، وما فعلته إلا شفقة عليه ، فإن المشارقة أكثروا فيه ، فأردت أن
 أرضيهم بما فاعته ، خوفاً أن يرفعوا خبره إلى السلطان ؛ فيكون فى أمره
 أكبر ، وما عاقبت أحداً مثلما عاقبته إكراما لجدّه .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة سبع وقيل : سنة ثمان وثلاثمائة .

﴿ قلت ﴾ : مثله نقل التجيبى ، ولم يذكر الماسكى غير الأول ، وقيل :

توفى سنة ست .

﴿ قال ﴾ : وهو ابن أربع وخمسين سنة - مثل سن أبيه - ودفن بجوار أبيه محمد

(١) سورة الانقطار : ١٠ - ١٢ .

(٢) سورة الحج : ١ .

(٣) سورة البقرة : ٤٨ ، ١٢٣ .

(٤) م : « فقتله »

﴿ قلت ﴾ : وقبره غير ظاهر في زماننا . وكونه دفن بجوار أبيه يتنزل منزلة رؤية قبره رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ومنهم :

● ١٧٠ (أبو عبد الله : محمد بن سليمان بن بسيل)

رحمه الله

﴿ قال ﴾ : كان من أصحاب سحنون وله منه إجازة ، وله سماع كثير بالمشرق وإفريقية .

﴿ قلت ﴾ : كاسم من سحنون ، سمع من أبيه سليمان ، ومن محمد بن عبد السلام ، ومن محمد بن رباح بمصر وغيرهم .

وكانت رحلته إلى المشرق ، وهو دون العشرين سنة ، وسمع منه أبو العرب ابن تميم ، وربيع القطان ، وأبو القاسم ، بن جبران وغيرهم .

﴿ وقال ﴾ : وكتب عن محمد بن رباح .

﴿ قال ﴾ : وكان ذا علم وفضل ، ولد سنة عشرين ومائتين / وتوفي في ذي الحجة سنة سبع وثلاثمائة .

﴿ قلت ﴾ : وهو خلاف قول التميمي : « توفي في الحرم منها ، ودفن بباب سلم » ، وهو خلاف قول غيره : « دفن بباب أبي الربيع » رحمه الله .

ومنهم:

● ١٧١ (أبو جعفر: أحمد بن خليل العسال رحمه الله)

﴿ قال ﴾ : كان أمام جامع القيروان ، وَ كَانَ فاضلاً جداً من المتعبدين .
﴿ قلت ﴾ : ما ذَكَرَ : مِثْلُهُ لِلتَّجِيبِ ، وفيه قُصُورٌ ؛ لقول غيرها : كان رجلاً صالحاً ، فاضلاً ، ورعاً ، صَوَّاماً قَوَّاماً ، من المتعبدين الْمُتَبَتِّتِينَ القانتين ، المشهورين بالعبادة والفضل وإجابة الدعاء ، وكان ذا سَمْتٍ وَنُسْكٍ .
﴿ قال ﴾ : وتوفِّي سنة ثمان وثلاثمائة ، ودُفِنَ بِيَابِ سَلَمٍ ، وقَبْرُهُ معلوم ، رحمه الله .

ومنهم:

● ١٧٢ (أبو إسحاق: إبراهيم بن يونس الخشاب)

القاضي رحمه الله

﴿ قال ﴾ : كان ثقة فاضلاً .
﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : جليلاً عدلاً .
﴿ قال ﴾ : وولاه عيسى بن مسكين مظالم القيروان .
﴿ قلت ﴾ : في كلامه بتر لكونه كان كاتباً لابن طالب ، ولحماس بن مروان ، وولى قضاء مدينة «رقادة» وكان كاتبه أبو بكر : محمد بن محمد بن اللباد الفقيه ، ولذلك وصفه غيره بالقاضي .
﴿ قال ﴾ : توفِّي سنة ثمان وثلاثمائة رحمه الله .

ومنهم :

١٧٣ ● (أبو عبد الله : محمد بن نصر المتعبد)

كذا قال ، وقال غيره : المعروف بابن التميمي .

﴿ قال ﴾ : من رجال محمد بن سحنون ، وكان قتيها زاهداً عابداً حاذقاً
مجاّب الدعاء ، طويل الفصمت ، كثير التهجّد .

روى أنه كان يَشُدُّ فَمَافَ عَلَى ساقيه ، لقيام الليل ، وكان يَحْتَمُ كُلَّ
ليلة ثلاث ختم .

﴿ قات ﴾ : في كلامه بَثْرٌ ، لقول أبي بكر التُّجَيْبِي : أخبرني والدي رحمه الله
تعالى أنه كان يَحْتَمُ ثلاث ختم كلَّ ليلة ، ويطأ زوجته ثلاث مرات ، ويفتسل
ثلاث مرات .

قال أبو بكر الماسكي : وهذا كما روى عبد الله بن وهب الفقيه أنه قال : كان
سليمان بن غُثَم التُّجَيْبِي يَحْتَمُ في كل ليلة ثلاث مرات ، ويطأ زوجته ثلاث مرات
وفتسل ثلاث مرات ، فكانت امرأته خاف نَفْسَهُ تقول : رحمك الله لقد كنت
تُرَضِّي ربك ، وتسرع زوجتك .

﴿ قال ﴾ : وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يَقِفُ عَلَى رَأْسِهِ قَنَدِيلٌ مِنَ السَّمَاءِ ، يُزْهِرُ
لَا مَعَانِيْقَ لَهُ ، وَتَمْجِدُ لَيْلُهُ بِالْمُنْشِيرِ بِخَمْسِ خِطَمٍ .

﴿ قلت ﴾ : هذا كما قال يقتضي أن كثرة القراءة أفضل من قلة القراءة مع

١٣٢١٤ تفهم المعنى ، وهذا أَحَدُ طريقَي الشيوخ ، والذي عليه النُّقُولُ / :
العكس أفضل .

وكان أحمد بن نصر - هذا مع اجتهاده - قُوْتُهُ في اليوم والليلة رُبْعُ خبزة ،
ثَمَنَ جميع الخبزة ربعُ درهم .
نقلته من حفظي .

﴿ قال ﴾ : روى أنه قال : « سألتُ محمد بن سحنون عن الرجل يجلس على ثوب
الرجل في الصلاة ، فيقوم صاحب الثوب ، وهو تحت الجالس فينخرق خرقاً فاحشاً
فقال : ليس عَلَى الجالس ضَمَانٌ ؛ لأنَّ ذلك مما لا يجد النَّاسُ منه بُدْءاً في صلاتهم .
﴿ قلت ﴾ : مثله نقل التُّجِيبِي ، ونقل مثله ابنُ يونس ، عن نقل ابن حبيب ،
عن مُطَّرَف ، وابن المَاجِشُون ، وبه الفُتْيَا .

وقال بعض الموثقين : الجالس يَضْمَنُ ، وأخذه بعضهم من قول المدونة في
الأكرية ، والديات في المتصادين فَرَسُ كُلِّ واحدٍ منهما في مال الآخر ، واختار
شَيْخُنَا أبو عبد الله : محمد بن عرفة الوَرَعَمِي : أن الضَّمانَ منهما كمُحْرَمٍ حَبَسَ
صيداً للحلال قتله .

﴿ قال ﴾ : وتوفي سنة تسع وثلاثمائة ، ودفن بباب سلمٍ ، رحمه الله تعالى ،
ورضى عنه ، ونفع به .

ومنهم :

● ١٧٤ (أبو القاسم : الحسن بن مفرّج مولى مهريّة)

رحمه الله

كذا قال ، ومعنى بها كما قال التّجيبى : بنت الأُغلب بن إبراهيم .
﴿ قال ﴾ : كان من العباد الزّهاد البُدلاء الموثرين ، يفتحلُّ التوكّل ، كثيرَ الحجّ ، والأسفار والتّغريب عن الأوطان .

﴿ قلت ﴾ : زاد التّجيبى بعد قوله الموثرين : العاملين ، وكان الشّيخ رأى أن قوله : « من العباد » يُفنى عن ذلك ، وكذلك المالكي زاد : العاملين ، وجعل عيوضَ الموثرين : المرّيين ، وهى أخصّ .

﴿ قال ﴾ : روى أنّه كان فى السّياحة مع أصحابه فاشتدّ بهم الجوع ، فزلوا على رجل ؛ فأتاهم بطعام كثير ، فلما أكل لُقمة أو لُقمتين قام وهو يقول : « حصر الطّعام وغاب ذكر الربِّ !؟ » ولم يأكل .

قيل : يَحتمل أن يكون نسى التسمية ، فأراد أن يؤدّب نفسه ، ولما كان جائعاً كان ذا كراً لله ، وعند الطّعام غفل عن الذّكر .

﴿ قلت ﴾ : نقل الحكاية عنه أبو محمد التّفاحى . والوجه الأوّل ذكره التّجيبى ، ولم يذكر غيره ، قال : أراه نسى التسمية ؛ فأراد أن يؤدّب نفسه .

قال : أبو الحسن بن الخلاف : قال له تيمان بن يونس : قتيه ^(١) تونس - لما رأى به من الفاقة مارقاً له فيه - : يروى فى الحديث أنه :

« من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تُصِبْه فاقة أبداً » . ^(٢)

(١) م : « يوسف فقير » .

(٢) أورده ابن كثير فى التفسير ٤ / ٢٨١ عن ابن عساكر وأبى يعلى وغيرهما .
(م - ٢٣ - معالم الإيمان)

فنظر إليه بوجهه ، ثم قال له : **لله على لولا أهدر سورة** من كتاب الله عز وجل ما قرأتها أبداً .

﴿ قال ﴾ : مات أبو القاسم شهيداً ، قتله عبيد الله المهدي . وكان سبب قتله أنه رأى أموراً لا يحلُّ المقام عليها لمسلم ، فخرج مع جماعة على عبيد الله ، فأخذ / ١٣٣:٢
وقتل معه محمد بن عبد الله السدري ، وصُلِبَا جميعاً ، فكان يُرى على خشبته بالليل نورٌ ، ويُسمع منه قراءة القرآن ؛ فأمر به فأنزل ودُفن ، وذلك سنة تسع وثلاثمائة .

وقيل : إنما قُتل ؛ لأنه نُقل عنه تفضيلُ بعض الصحابة على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وكرَّم وجهه .

قال التجيبي : ولما سُجن رأى كأنه أتى بقصة من شهد ، فتحسَّأها ، فأصبح يحكيها ، فقال له رجلٌ : أي شيء ؟ هذه الشهادة أتتكَ فما تُضحى نهار ذلك اليوم حتى قتل (١) فكانه جزع ، فقيل له : تكررهُ القدوم على الله ؟ فوثب كأنه حلٌّ من عقال ، يقول : لبيك لبيك ، حتى ضربت عنقه !!
وقال المالكي : قتيلاً بالرماح ، وصُلِبَا برملة المهديّة .

﴿ قلت ﴾ : وقال بعضهم : كان أبو عبد الله : محمد بن عبد الله (٢) السدري (٣)
هذا قتيماً ، ناسكاً ، زاهداً ، عابداً ، من العبّاد الزاهدين ، المريدين ، العاملين الخائفين
الوجلين ، المتوكلين ، الصّامئين ، القائميين ، القانتين ، السّامحين ، ساح في البلدان ،

(١) إمله : حتى تقتل .

(٢) ليست في م .

(٣) ت : « السري » .

وتغرب عن الأوطان؛ وحجَّ حَجَّجًا كثيرة، وجاورَ، وأقامَ بالشرق سنين عديدة بعد أن أقام بالغرب مدة .

روى عن أبي القاسم : الحسن بن مفرج المذكور أنه قال : صحبتُ أبا عبد الله السدري طويلا بالشرق ، فانتَهتُ صُحْبتي معه إلى أن صَعَدنا الطُّورَ ، فلما اتَّهينا إلى الموضع الذي قيل إن الله كلم فيه موسى عليه الصلاة والسلام - خرَّ صِعقًا ، فاستعنتُ - ببعض من كان بنوع - على حمله ، وإنزاله ، فأقام مَغْشِيًا عليه باقى يومه وليلته ، قال : ثم دخلنا إلى الموضع الذي يقال إن الشجرة التي سمع موسى الكلام من ناحيتها كانت فيه ، وقد بُنيت ^(١) عليه بيت ، وله حفظة وقوَام ، فلما دخل أبو عبد الله السدري الموضع بقى مبهوتينَا كالولهُمان ، لا يُطيقُ كلامًا ولا يردُّ جوابًا .

وروى عنه أنه رضى الله تعالى عنه ، كان في السياحة مع أصحابه ، فنزلوا على رجل ، فاتاهم بكسفاة ؛ فمد السدري يده لينا كل مع أصحابه ، ثم نصبها قبل أن يمسَّ الطعام ، وقال لأصحابه : « كلوا رحمكم الله تعالى » فقالوا له : « وكل أنت معنا » فقال لهم : « كما أقولُ لكم فليست آكل شيئًا منها » فقالوا : « ولم ؟ » فقال : « غلبت على شهوة نفسي ؛ فمددتُ يدي ، ولم أذ كر ربي عز وجل » .

قال المالكي : وروى عن أبي بكر بن شراحيل الصدفي أنه قال : صحبتُ أبا عبد الله السدري في طريق الجزيرة ، حتى اتَّهينا إلى شجرة لها ظلٌّ ، فوقف السدري يصلى تحت الشجرة ، واضطجعت إلى جنبه فأقبل سُبُعٌ ، فقلت له : أصلحك الله سُبُعٌ جاءنا ! فقبل على صلاته ، ولم يشتغل بكلامي ، والسُبُعُ يقربُ منا ، فلما رأيته لم يشتغل بكلامي تعاقَّتْ بأغصان الشجرة ، وصرتُ فوقها

(١) هكذا في الأصول ونعلما : « بنى » .

١٤٣:٢ وقبیتُ أنظر ما الذى / يعمل له فنظرتُ إلى السَّبْعُ ، وقد دار من خلفه ، فشمتُهُ
ثم دار عن يمينه ، وشماله ، ثم بسَطَ ذراعيه ، وجعل يجرُّك ذَنَبَهُ ، فزَاح السَّدْرَى ،
وسلمَ ثم جلس ، وقال : خيرا شَعَلتُ قلوبنا : إن كنتَ أَمَرْتِ فينا بشىء فامتثلْه ،
وإلا فاذهبْ ، فقام السَّبْعُ وتمطَّى وذهب ، فمدَّ السَّدْرَى يَدَهُ إلى ، فجدَّ بنى من
فوق الشَّجَرَةِ ، ولكزنى بيده من خلفى ، وقال : أو تخافُ غيرَ الله عز وجل ؟ ! .
* * *

ومنهم :

● ١٧٥ أبو بكر بن بشير المعلم رحمه الله

﴿ قال ﴾ : سمع من يحيى بن عمر ، وأحمد بن أبى سليمان ، وأحمد بن يزيد ،
ومعبد بن إسحاق .

وكان من أهل العلم ، والتعبُّد ، والتلاوة ، والتهجد ، معلِّماً للقرآن :

وتوفى ليلة الجمعة لعشر خلون من شعبان سنة تسع وثلاثمائة ، ودفن بباب سلم
وقبره معروفٌ فى قبلة المقبرة .

* * *

ومنهم :

● ١٧٦ أبو عمرو : ميمون بن عمرو القاضى الزاهد

﴿ رحمه الله ﴾

قال أبو بكر المالكي : سمع من سحنون ، وكان معدوداً فى أصحابه ، وكان
رجلاً صالحاً ، ذا فضلٍ ودين .

﴿ قال ﴾ : قال أبو بكر الزويلي : لما ولى أبو عمرو وصل إلى سوسة ، فقال :
يا أهل سوسة هذا كسانى وجمعتى وخرجى ، فيه كُتُبى ، وهذه السوداء تخدمنى
معها كساؤها وجمعتها ، بهذا خرَّجتُ ، وانظروا بأى شىء أرجع ؟ ! .

فلما وصل صقنية قيل له هذه دار القضاة تنزل فيها . قال : هذه دار عظماء أى شيء أعمل بها ؟ فنزل في حجرة ، فكانت السوداء تغزل وتبيح غزلها وتطعمه ، فإذا قرع أحدٌ بابه خرجت السوداء وقالت : الساعة يخرج إليكم القاضى ، فيخرجُ فيقضى بين الناس على بابه ، ثم يدخل ، أقام على ذلك سنين إلى أن اعتل فأقام ثلاثاً لم يخرج ، وتكاثر الناس على بابه ، فخرجت السوداء ، فقالت : ادخلوا ؛ عودوا القاضى ؛ فإنه مريضٌ ، فدخلوا عليه - وتحتة حصير ، وعند رأسه وسادةٌ محشوةٌ بالتبن - فبكى وقال : « يعلمُ الله لقد اجتهدتُ ما استطعتُ ، وقد سألتُ الآن الأمير ، ورجبتُ إليه في المعافاة ، وأنا شيخٌ كبيرٌ منصرفٌ إلى القيروان » فبكى الناس وأعولوا ، ثم خرج عنهم وهو عليل ، فلما وصل إلى سوسة قال : يا أهل سوسة كما خرجنا رجعتنا ١٩ هذا كسائى وجبسى وخرجى وكتبي ؛ وهذه السوداء كذلك ، والله ما تلبستُ بشيء من دنياكم حتى انصرفتُ .

ثم وصل إلى القيروان ، فتوفى بها سنة عشر وثلاثمائة .
﴿ قلت ﴾ : ودفن بياب سنلم .

وأبو بكر : هو : أبو بكر : أحمد بن بكر الزويلي .

وأراد بقوله : بهذا / خرجتُ : أى عنكم وتبع في لفظه التَّجِيبِي ، ولفظ المالكى : ١٣٥ : ٢
بهذا دَخَلْنَا عَلَيْكُمْ ، وزاد : بعد كسائى وفروى .

* * *

ومنهم :

١٧٧ ● أبو عبد الله : محمد بن حريونة المتعبد رحمه الله

﴿ قال ﴾ : كان من المجتهدين في العبادة ، معروفًا بالزهد والإجابة ، منسوباً إلى الحجة ، وكان إذا استغاث به أحدٌ من ظلم سلطان قام ؛ فصلَّى ركعتين ، ثم يدعُو بشيء خفيف ، ثم يقول للمستغيث : اذهب ؛ فإنك لا ترى بلاءاً .

حُكِيَ إِنَّه جَلَسَ فِي جَمَاعَةٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنْ فَلَانَا كَثُرَ
أَذَاهُ لِي فَقَالَ : «اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ ، بِلا ضَرَرٍ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ » فَأَحْدَثَ اللَّهُ
فِي قَلْبِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْحُجَّجَ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَوَصَلَ مِنْ حِينِهِ إِلَى الشَّيْخِ ، فَوَدَّعَهُ
وَانصَرَفَ إِلَى الْحُجَّجِ .

﴿ قُلْتُ ﴾ : مَا ذَكَرَهُ : نَقَلَهُ التَّجِيبِيُّ وَعِزَّ حِكَايَةَ الرَّجُلِ لِنَقْلِ أُنَى الْحَسَنِ ،
ويعنى به ابن الخلاف ؛ لتصريح غيره بذلك .

قال التَّجِيبِيُّ : رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَسْلِيمًا أَنَّهُ قَالَ :
« مَنْ صَلَّى عَلَيَّ ؛ تَعْظِيمًا لِي ، وَشَوْقًا إِلَى خَلْقِ اللَّهِ مِنْ تِلْكَ الصَّلَاةِ مَلَكًا
رَجَلَاهُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى وَرَأْسُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَلَّى
عَلَيَّ بِدَى ؛ كَمَا صَلَّى عَلَيَّ نَبِيٌّ . فَهُوَ يُصَلِّي عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

* * *

وَمِنْهُمْ :

● ١٧٨ (أَبُو مُحَمَّدٍ : سَعِيدُ بْنُ حَكْمُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ)

﴿ قَالَ ﴾ : كَانَ مِنْ رِجَالِ مُحَمَّدِ بْنِ سَخْنُونَ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ
الْفَقْهِ وَالرِّوَايَةِ .

﴿ قُلْتُ ﴾ : زَادَ التَّجِيبِيُّ وَالتَّحَقَّقِي (١) .

﴿ قَالَ ﴾ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّدْرِيُّ : حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ : سَعِيدُ بْنُ حَكْمُونَ : أَنَّهُ
سُئِلَ عَنْ قَوْمٍ بَيْنَهُمْ يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ
الْجُمُعَةُ بِدَخُولِهِ .

قال : ينبغى أن يكون إمامهم عبداً أبق - لهذا الرجل ، فلما دخلت الجمعة ؛
لأن العبد لا يقيم الجمعة .

(١) ما بين الرقنين ليس في ت .

﴿ قلت ﴾ : ذَكَرَهُ التَّجِيبِيُّ : « بَلَفِظَ حَدِيثِي بِهَذَا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ السُّدْرِيِّ » .
﴿ قلت ﴾ : وَالْمُرَادُ بِدُخُولِهِ : ظُهُورُ كَوْنِهِ عَبْدًا ، وَإِلَّا فَلَيْسَ بِشَرَطٍ ، وَالْحَاصِلُ
مَهْمَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ عَبْدٌ يَعْبُدُوا : سِوَاهُ دُخُولِ عَلَيْهِ مَسِيدِهِ أَمْ لَا .

﴿ قلت ﴾ : رَوَى كِتَابُ الزَّهْرِيِّ لِسُحْنُونَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَحْنُونَ ،
عَنْ أَبِيهِ ، وَكِتَابُ الْوَرَعِ لِابْنِ عَبْدِوَس .

تَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِبَابِ أَبِي الرَّبِيعِ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ .

* * *

ومنهم - م :

● ١٧٩ (أبو زيد : عبد الرحمن بن عبد الله القيسي)

التعبّد - رحمه الله

﴿ قال ﴾ : كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَةِ وَالْحُزْنِ وَالْخَشْيَةِ وَالزُّهْدِ وَالتَّهَجُّدِ ، أَصِيبَ

فِي بَصْرِهِ / قَبِيلَ لَهُ « أَلَا تَدَاوَيْتَ ؟ » فَقَالَ : « الْأَمْرُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ » . ١٣٦:٢

وَكَانَ يَقُولُ : مَا يُؤَمِّنُكَ أَنْ تَكُونَ بَارَزْتَ اللَّهَ تَعَالَى بِعَمَلٍ يَمْتَقُّكَ عَلَيْهِ ،

فَأَعْلَقَ دُونَكَ أَبْوَابَ الْمَغْفِرَةِ وَأَنْتَ تَضْحَكُ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ ؟ ! .

رَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْبَلَادِ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمَرْجِيِّ أَنَّهُ قَالَ : فَتَحْتُ

الْمَصْحَفَ وَأَنَا أَبْصَرُ ، فَقَرَأْتُ : (طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذَكُّرًا

لِمَنْ يُخَشَى تَنْزِيلًا مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوَى) حَتَّى بَلَغْتُ (وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) وَكَانَتْ لِي

مِرَاةٌ مِنْ حَدِيدٍ فِي كُوَّةِ فِطَارَتِ مِنْ أَرْضِ الْكُوَّةِ ، فَضْرَبْتُ سَقْفَهَا ، ثُمَّ سَقَطَتْ

فَأَخَذْتُهَا وَدَفَعْتُهَا فِي الْكُوَّةِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَقَرَأْتُ : (طه) حَتَّى بَلَغْتُ : (اللَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ الْإِسْمَاءُ الْحُسْنَى) فِطَارَتِ ثُمَّ سَقَطَتْ فَجَعَلْتُهَا فِي الْكُوَّةِ ، ثُمَّ أَعَدْتُ

القراءة فعملت ذلك ثلاث مرات ؛ فانصرفت عن القراءة ، وسكنت المرأة .
﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر المالكي والتجيبى . ومحل المرأة : أن الله خلق لها
إدرا كما فهمت به ما دلّ عليه معنى ما قرأ من التلاوة ، والله أعلم .
وتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة رحمه الله تعالى ، ونفع به آمين .

* * *

ومنهم :

● ١٨٠ أبو عبد الله : محمد بن قطنية المتعبد

﴿ رحمه الله ﴾

﴿ قال ﴾ : جمع له العلم بالله ، والفقه ، والزهد ، والورع .

وكان له اجتماع بالخضر عليه السلام .

قال أبو محمد بن أبي عيسى : سألته عن ذلك قال : بكرت في يوم جمعة إلى
الجامع ، فجلست في أحد ركنيه من الصف الأول ، فلما أذن المؤذن ختمت ختمة
وإذا برجل قد دخل بيني وبين الرجل الملاصق لي ، فأحرم ، فقلت في نفسي :
ما وجد موضعا إلا هذا ؟ فأخذت تنلى وقت ، فأتيت الركن الذي قبالة من
الصف نفسه ، فلم أحرم إلا والرجل قد أحرم إلى جنبي ، فأخذت إلى ما كنت
فيه ، فلما انقضت صلاتي عطفت على وقال : « أتعرفني ؟ » قلت : « أنت الخضر »
فسلمت عليه ، فجعل يعظني إلى أن قال لي : عليك بخدمة الله في الأرض ، يعنى
الصلاة ، ثم غاب غنى فلم أره ، واجتمعت إلى أصحابي ، فأخبرتهم الخبر ، فأقت
عشرين سنة - لم أره . فأنا جالس في الجانب الشرقى إذ أقبل ، فسلم على ، ثم جالس

وجرى بيننا حديثٌ فقات له : بعد عشرين سنة ؟ فقال : خشيتُ عليك الفتنةَ لم آقم
حنك حتى أخبرت أصحابك ، فهو يحدثني إذخرج علينا مروان بن نصر من سَفْرِ
الجامع ، فقال لي : هذا أبو عبد الملك ، وأنا ذاهبٌ إليه ، فودعني ، وانصرف ،
فأتبعته ببصرى ، حتى اتى أبا عبد الملك ، فمشى معه ، حتى خرَّج من الجامع .

* * *

﴿ قلت ﴾ : ذكرُ جميعه التجيبي ، وقف على هذا ؛ فإن صلاة أبي عبد الله

- هذا - تقتضى جوازَ النافلة والإمامُ على المنبر . إلا أنه يحتمل / ما لم يخطب ٢ : ١٣٧

الإمام ، ويحتمل : وإن خطب - كما قاله الشيخ أبو القاسم السيورى .

قال ابن شاس : ورواه محمد بن الحسن عن مالك .

قال شيخنا أبو عبد الله : محمد بن محمد بن عرفة الورغى : ولا أعرفه لغيره .

وهو قصور ؛ لنقل ابن العربى إياه فى العارضة .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

اتهى الجزء الثانى من كتاب معالم الإيمان فى معرفة أهل القبروان
من تجزئة أربعة أجزاء ، ويليه الجزء الثالث . وأوله ترجمة : أبى حبيب :
سعید بن سحنون رحمه الله ما

فهرس الجزء الثاني

الصفحة	الإسم	رقم الترجمة
٣	أبو عبد الله: أسد بن القرات بن سنان	٨٧
١٩	ذكر ولايته القضاء وغزوة صقلية	
٢٧	أبو خالد : عبد الخالق يعرف — بالقتات	٨٨
	أبو محرز : محمد بن عبد الله بن قيس [بن مسلم	٨٩
٢٩	[الكنانى القاضى]	
٤٠	: أحمد بن أبى محرز — المتقدم ذكره الآن	٩٠
٤٩	أبو زكرياء : محمد بن رشيد مولى عبد السلام بن مفرج العابد	٩١
٥١	أبو جعفر : موسى بن معاوية الصهادى	٩٢
٥٨	أبو محمد : عبد الله بن أبى حسان اليعصبى	٩٣
٦٢	أبو الحجاج : رباح بن ثابت الأزدى	٩٤
٦٣	أبو زكرياء : يحيى بن سليمان الفارسى الحفرى	٩٥
٦٤	: عباس بن عبد الله الضرير	٩٦
٦٥	: زرارة بن عبد الله	٩٧
	أبو عمرو : البهلول بن عمرو بن صالح بن عبيدة	٩٨
٦٦	التنجيبى .	
٦٨	أبو زكرياء : يحيى بن الحكم الأخمى	٩٩
٦٩	: يزيد بن محمد الجمحى	١٠٠
٧٢	أبو محمد : عون بن يوسف الخزاعى	١٠١
	أبو سعيد : سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخى	١٠٢
٧٧	رحمه الله تعالى	
٨١	ذكر ثناء العلماء عليه	
٨٤	ذكر ولايته القضاء ، وسيرته فيه	
٩٣	ذكر محنته رحمه الله تعالى	

رقم الترجمة	الاسم	الصفحة
	ذكر بقية أخباره	٩٦
	ذكر وفاته - رحمه الله - وما يتعلق بذلك	١٠١
١٠٣	: حبيب بن سعيد التنوخي : أخو سحنون ابن سعيد	١٠٤
١٠٤	أبو الوليد : مروان بن شحمة البلوي	١٠٥
١٠٥	أبو عبد الله : حمدون بن عبد الله العسال	١٠٥
١٠٦	أبو سنان : زيد بن سنان الأسدي	١٠٨
١٠٧	أبو خلف : مطروح بن قيس الخياط الزاهد	١٠٩
١٠٨	أبو يحيى : أحمد بن محمد بن قادم	١١١
١٠٩	دحيم الضرير المتعبد	١١١
١١٠	أبو محمد : عبد الله بن سهل القبرياني	١١٢
١١١	: سعيد البكاء الضرير المتعبد	١١٣
١١٢	أبو محمد : الأنصاري الضرير	١١٣
١١٣	أبو عثمان : سعيد بن عباد السرقى	١١٨
١١٤	أبو سليمان : داوود بن يحيى الصواف	١٢٠
١١٥	جعفر بن محمد بن عياض المعلم	١٢١
١١٦	أبو عبد الله : محمد بن سحنون التنوخي	١٢٢
١٢٢	ذكر ثناء العلماء عليه	١٢٢
١٢٥	ذكر جملة من أخباره	١٢٥
١٣١	ذكر بقية أخباره	١٣١
١٣٤	ذكر وفاته رحمه الله تعالى	١٣٤
١٣٧	أبو عبد الله : محمد بن إبراهيم بن عبد الله (ابن عبدوس صاحب المجموعة)	١٣٧
١٣٧	ذكر ثناء العلماء عليه	١٣٧
١٣٩	ذكر بقية أخباره	١٣٩
١٤٤	أبو جعفر : أحمد بن لبدة رحمه الله	١٤٤

رقم الترجمة	الاسم	الصفحة
١١٩	محمد بن يحيى بن سلام التميمى رحمه الله	١٤٥
١٢٠	أبو عبد الله : محمد بن شوال الطائى (رحمه الله تعالى)	١٥٠
١٢١	أبو ابراهيم : إسحاق بن ابراهيم بن عبدوس	١٥١
١٢٢	: سليمان بن عمران القاضى رحمه الله تعالى	١٥١
١٢٣	أبوداود العطار ، واسمه : أحمد بن موسى	١٥٨
١٢٤	أبو العباس : عبد الله بن أحمد بن طالب	١٥٩
١٥٩	: ذكر ثناء العلماء عليه	١٥٩
١٦٠	: ذكر ولايته الصلاة والقضاء	١٦٠
١٦٤	: ذكر ما كان عليه من السخاء	١٦٤
١٧٣	: ذكر محنته رحمه الله تعالى	١٧٣
١٢٥	أبو إسحاق : ابراهيم بن المضاء الضير	١٧٤
١٢٦	أبو محمد : عبد الله بن خليل التونسى المقعد	١٧٦
١٢٧	أبو جعفر : أحمد بن معتب بن أبى الأزهر	١٧٧
	عبد الوارث بن حسن الأزدي رحمه الله تعالى	
١٨١	ذكر بقية أخباره	١٨١
١٢٨	أبو عبد الله : محمد بن زرقون بن أبى مريم	١٨٤
	المعروف بالطيارة	
١٢٩	أبو حفص : عبد الجبار بن خالد بن عمران السرقى	١٨٥
	رحمه الله	
١٣٠	أبو أحمد : معتب بن رباح	١٩٣
١٣١	محمد بن محمد بن يحيى بن سلام التيمى	١٩٥
١٣٢	أبو زيد : سهل بن عبد الله بن سهل	١٩٦
	(القبريانى رحمه الله تعالى)	
١٣٣	أبو حفص : أحمد بن وازن الصواف الفقيه المتعبد	١٩٧
١٣٤	حبيب بن نصر بن سهل التيمى صاحب	١٩٨

رقم الترجمة	الاسم	الصفحة
	مظالم سحنون ومعدود في أصحابه رحمه الله	
١٣٥	أبو جعفر: محمد بن أبان الحميري رحمه الله تعالى	٢٠٠
١٣٦	أبو عبد الله: أحمد بن يزيد المعلم رحمه الله تعالى	٢٠٠
١٣٧	أبو جعفر: حمديس القطان رحمه الله تعالى	٢٠١
١٣٨	أبو الربيع: سليمان بن سالم الكندي القطان الفقيه	٢٠٦
١٣٩	أبو جعفر: أحمد بن أبي سليمان داود الربيعي الصواف	
٢٠٧	رحمه الله تعالى	
١٤٠	أبو عقاب: غلبون بن الحسن بن غلبون رحمه الله تعالى	٢١٤
١٤١	أبو محمد: عبد الله بن محمد بن سعيد بن الأشج الفقيه	٢٣٢
١٤٢	أبو زكرياء: يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني	٢٣٣
	الأندلسي، من أهل جيان	
٢٣٥	ذكر ثناء العلماء عليه	
٢٣٧	ذكر جملة من أختاره	
٣٤٢	ذكر محنته رضي الله عنه	
١٤٣	أبو زكرياء: يحيى بن عون بن يوسف الخزاعي	
٢٤٦	الزاهد رحمه الله	
٢٤٧	أبو عبد الله: محمد بن زرزر رحمه الله	
٢٤٩	أبو سهل: فرات بن محمد العبدي رحمه الله	
٢٥٠	أبو عبد الله: محمد بن أبي حميد السوسي المستجاب رحمه الله	
٢٥٥	أبو عثمان: سعيد بن إسحاق الكندي رحمه الله	
٢٥٧	أبو عياش: أحمد بن موسى غفقي رحمه الله	
٢٥٩	أبو عبد الله: محمد بن مسرور انصيري رحمه الله	
١٥٠	أبو إسحاق: إبراهيم بن محمد بن مسرور بن حسين الضبي	
٢٦١	الشهيد المعروف بابن البرذون رحمه الله تعالى	
٢٦٦	أبو بكر: بن هذيل تميمي رحمه الله تعالى	
١٥٢	أبو يوسف: جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن مسلمة	
٢٧٠	الصادق رحمه الله	

الترجمة	الاسم	الصفحة
	ذكر ثناء العلماء عليه	٢٧٠
	ذكر قيامه بالحق ولا يبالي	٢٧٢
	ذكر جملة من أخباره	٢٧٨
	ذكر وفاته - رحمه الله تعالى	٢٨٠
١٥٤	أبو عبد الرحمن : بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل	
٢٨١	الزناقي التاهرتي رحمه الله تعالى	
١٥٤	أبو عبد الله . محمد بن إسماعيل المغربي - رحمه الله تعالى	٢٨٥
١٥٥	أبو عبد الله : محمد بن أبي داود : أحمد بن أبي موسى	
٢٨٧	ابن حريز الأزدي العطار رحمه الله تعالى	
١٥٦	أبو جعفر : محمد بن محمد بن خيرون المعافري	
٢٨٨	الأندلسي الفرضي الشهيد رحمه الله تعالى	
١٥٧	أبو سليمان : ربيع بن عبد الله القيرواني الصوفي رحمه الله تعالى	٢٩٣
١٥٨	أبو عثمان : سعيد بن محمد الغساني المعروف	٢٩٥
	ذكر ثناء العلماء عليه	٢٩٦
	ذكر مكانه من العلم	٢٩٧
	ذكر أخباره في مناظرته رحمه الله تعالى	٢٩٨
٣١٠	ذكر إجابة دعائه رضي الله عنه	
٣١٠	ذكر زهده رحمه الله تعالى	
٣١٣	ذكر شيء من حكمه رحمه الله تعالى	
٣١٣	ذكر بتمية أخباره - رحمه الله تعالى	
١٥٩	محمد بن فرج بن البنا البغدادي مولى آل الأغلب	
٣١٩	رحمه الله تعالى	
٣١٩	أبو عبد الرحمن : دحمان بن معاني السبيوري رحمه الله	
٣٢٠	أبو القاسم : حماس بن مروان بن سماك الحمداني	
	القاضي الزاهد	
٣٢١	ذكر ثناء العلماء عليه	

	ذكر زهده وتواضعه وعبادته واجتماعه بالخضر	
٣٢٢	عليه السلام	
٣٢٦	ذكر ولايته القضاء وسيرته وعزاله نفسه	
٣٣٠	أبو العباس : إسحاق بن إبراهيم الأزدي الصايغ	١٦٢
٣٣٣	صدقة المؤدب الضرير رحمه الله	١٦٣
٣٣٤	أبو محمد : المسوحى المتعبد - رحمه الله	١٦٤
٣٣٥	أبو الأسود : موسى بن عبد الرحمن (القطان رحمه الله)	١٦٥
٣٣٦	ذكر ثناء العلماء عليه	
٣٤٠	أبو نعبس : محمد بن طيب البصرى	١٦٦
٣٤٠	أبو حبيب : نصر بن الفتح التسورى الفقيه رحمه الله	١٦٧
	أبو عمرو : هاشم بن مسرور التيمى والد القاضى	١٦٨
٣٤١	عبد الله بن هاشم رحمه الله	
	أبو سعيد : محمد بن محمد بن يحيون بن سعيد التنوحى	١٦٩
٣٤٥	رحمه الله	
٣٤٩	أبو عبد الله : محمد بن أسحاق بن بسيل رحمه الله	١٧٠
٣٥٠	أبو جعفر : أحمد بن خليل العسال رحمه الله	١٧١
٣٥٠	أبو إسحاق : إبراهيم بن يونس الخشاب القاضى رحمه الله	١٧٢
٣٥١	أبو عبد الله : محمد بن نصر المتعبد	١٧٣
٣٥٣	أبو القاسم : الحسن بن مبرج مولى مهورية رحمه الله	١٧٤
٣٥٦	أبو بكر : بن بشر العمير رحمه الله	١٧٥
٣٥٦	أبو عمرو : يحيون بن عمرو القاضى الزاهد رحمه الله	١٧٦
٣٥٧	أبو عبد الله : محمد بن جربونة المتعبد رحمه الله	١٧٧
٣٥٨	أبو محمد : سعيد بن حكيم رحمه الله	١٧٨
٣٥٩	أبو زيد : عبد الرحمن بن عبد الله القيسى المتعبد رحمه الله	١٧٩
٣٦٠	أبو عبد الله : محمد بن قطانية المتعبد	١٨٠

رقم الإيداع ٤٧٠٣ / ١٩٧٢

مطابع الدجوى - القاهرة